



مجلس شورای اسلامی
جمهوری اسلامی ایران

کتاب

فِي الْأَخْلَاقِ وَالْعِرْفَانِ

لِإِخْتِافِ الْحَفَاطِ

مِنْ أَعْلَامِ الشَّيْخَةِ الْإِمَامِيَّةِ

فِي الْقَرْنِ الثَّامِسِ أَوَّلِ السَّادِسِ

تَحْقِيقِ

وَضْعِ الْأَسْتَاذِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كتاب في الأخلاق والعرفان

لأحد الحفاظ

من أعلام الشيعة الإمامية

في القرن الخامس أو السادس

تحقيق

رضا الأستاذي

... في الأخلاق والعرفان / لأحد الحفاظ من أعلام الشيعة الامامية في القرن الخامس أو السادس؛ تحقيق رضا الأستاذي. - - مشهد: مجمع البحوث الإسلامية، ١٤٢٩ق. - ١٣٨٧ش.

ISBN 978-964-444-817-1

٣٨٨ص: نمونه.

عربي.

فهرستویسی بر اساس اطلاعات فیبا

کتابنامه: ص ٣٨٢-٣٨٤.

١. عرفان - متون قدیمی تا قرن ١٤ ٢. اخلاق اسلامی - متون قدیمی تا قرن ١٤.
٣. اخلاق عرفانی. ٤. احادیث اخلاقی. الف. استادی، رضا ١٣١٦ - . مصحح.
ب. بنیاد پژوهشهای اسلامی. ج. کتاب في الأخلاق والعرفان.

٢٩٧-٨٢

BP ٢٨٢ / ٦ / ٩

م ٨٤-٩٤١١

کتابخانه ملی ایران



کتاب في الأخلاق والعرفان

لأحد الحفاظ من أعلام الشيعة الامامية (في القرن الخامس أو السادس)

تحقيق: رضا الأستاذي

الطبعة الثانية: ١٤٢٩ق. / ١٣٨٧ش

١٠٠٠ نسخة / الثمن ٤٨٠٠٠ ريال

الطبعة: غومرغ

مراكز التوزيع

مجمع البحوث الإسلامية، ص ٢٦٦-٩١٣٥

هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلامية: ٢٢٢٠٨٠٣

معارض بيع كتب مجمع البحوث الإسلامية، (مشهد) ٢٢٣٢٩٢٣، (قم) ٧٧٣٢٠٢٩

شركت بهنشر، (مشهد) الهاتف ٧-٨٥١١١٣٦، الفاكس ٨٥١٥٥٦٠

Web Site: www.islamic-rf.ir

E-mail: info@islamic-rf.ir

حقوق الطبع محفوظة للنشر

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

جلب إلى مدينة قم قبل سنوات عدد من المخطوطات من آذربيجان، و من مدينة مرند على الأظهر، وعرضت في إحدى المكتبات للبيع، وانتقى أمين تلك المكتبة بعضها ودفع ثمنها، وحاز ما فضل منها - باعتبارها ليست من نفائس المخطوطات - أحد أصدقائي، وهو سماحة حجة الإسلام علي أكبر زماني نژاد، فعرضها علي من باب الاحتياط؛ إذ لعل من بينها كتاباً نفيساً، فأعينته له. وكان فيها كتاب سقطت من بدايته و نهايته أوراق، و كتبت في الصفحة الأولى منه هذه العبارة: «كتاب في الأخلاقيات والمواعظ»، وكان يبدو عليه أنه كتاب قديم، فاسترعى انتباهي، واستعرت منه. واستنتجت بعد تصفّحه و مطالعة بعض محتوياته أنه من المصنّفات النفيسة لعالم من علماء الشيعة، ولعله من أعلام القرن الخامس، و اشتغلت بتصحيحه و تنقيحه وإعداده للطبع في فترات متباعدة خلال هذه السنوات، و فرغت منه في صيف هذا العام - ١٣٨٣ هـ. ش - بعد تصرّم فترة طويلة، ولكن ممّا يؤسف له أنه لازال الكتاب و مصنّفه و تاريخ تصنيفه مجهولاً، رغم أنني بذلت قصارى جهدي في الاستقصاء والتأمل، فاضطرت إلى أن أطبع الكتاب بكونه نسخة من أثر مجهول.

تعريف الكتاب و وصفه

يضمّ مخطوط الكتاب ٢٩٢ صفحة بحجم أصغر من الوزيريّ.

سقطت من أوله و آخره و وسطه أوراق لا يعلم عددها؛ لأنها غير مرقمة.

لم يرد في أيّ موضع منه تاريخ تصنيفه أو استنساخه، غير أنّي أحسبه قد حرّر في القرن الثامن أو التاسع، و لم يكتب بخط مؤلفه، وليس فيه ما يدلّ على أنّه قد قوبل أو نَقح.

نسخت بعض كلماته بصورة يتعذّر قراءتها في بعض الموارد، رغم أنّ الناسخ - كما يبدو - من العلماء، كما يتعذّر في موارد أخرى - وهي قليلة - إصلاحها قياساً بنظائرها. كان لمصنّفه إمام تامّ بآيات القرآن الكريم، وازدانت صفحات الكتاب بحوالي ٤٥٠ آية.

يمكن عدّ المصنّف من مفسّري القرآن الكريم أيضاً؛ لأنّه فسّر الآيات في كثير من الموارد تفسيراً مزجياً.

لقب كاتب النسخة المصنّف بلقب «الحافظ» إذ ذكر في بداية أبواب الكتاب هذا اللقب بقوله: «قال الحافظ» ثمانين مرّة تقريباً.

وقد ورد في الرسالة القشيرية - المؤلف في حوالي القرن الخامس - بضعة أعلام باسم «الحافظ» استناداً إلى فهرس أعلامها، وهم:

١. سمعت محمّد بن الحسين يقول: سمعت محمّد بن عليّ الحافظ يقول: سمعت أبا معاذ القزويني... ص ٣٠. إنّ هذا الحافظ الذي روى القشيري عن تلميذه، هو من أعلام القرنين: الرابع والخامس.

٢. سمعت محمّد بن الحسين يقول: سمعت عليّ بن عمر الحافظ يقول: سمعت ابن رشيقي... ص ٣٨. وهذا الحافظ من أعلام القرنين: الرابع والخامس أيضاً.

٣. أخبرني محمّد بن الحسين، قال: سمعت عبدالرحيم بن عليّ الحافظ ببغداد... ص ٤٢. وهذا كالعلمين السابقين من القرنين: الرابع والخامس أيضاً.

٤. سمعت الشيخ أبا عبدالرحمان السلمي يقول: سمعت أبا أحمد الحافظ... ص ٦٤. وهذا كسابقه الثلاثة أيضاً

٥. سمعت محمد بن الحسين عليه السلام يقول: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: سمعت أباسهل بن زياد... ص ٣٨. هذا هو الحافظ الثاني من هذه القائمة.

٦. أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي عليه السلام قال: حدّثنا عبدالله بن عدي الحافظ... ص ٣٧٤. وهذا كسائر الأعلام من القرنين: الرابع والخامس أيضاً.

٧. سمعت حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني يقول: سمعت أبا أحمد بن علي الحافظ... ص ٥٢٢. وهذا هو الرابع من هذه القائمة.

إن هؤلاء الحفاظ الخمسة كلهم من العرفاء و من مشايخ القشيري المتوفى عام ٤٦٥ للهجرة بواسطه واحده، وهم من أعلام القرنين: الرابع والخامس، الوارد ذكرهم في الرسالة القشيرية.

أفلا يكون مصنف هذا الكتاب واحداً منهم؟ أو ليس تشييعه ينفي هذا الاحتمال؟ لأن عرفاء هؤلاء ومشايخهم من العامة غالباً.

ولعله كان من حفاظ الحديث، فقد نقل في هذا الكتاب مئات الأحاديث والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن أمير المؤمنين عليه السلام، ونقل في مواضع أخرى من الكتاب أيضاً أحاديث عن الإمام الحسن، والإمام الباقر، والإمام الصادق، والإمام الرضا عليهم السلام ولم تكن كثيرة، و كأن مصادر أحاديث الشيعة ما كانت منتشرة في كل مكان حين تأليف هذا الكتاب، أو ما كانت في متناول يد مصنفه؛ لأن هناك قرائن تدل على أنه روى كثيراً عن كتب العامة، كما ذيل كل عنوان بمطالب عرفانية مع أسماء أصحابها أو بلفظ «قيل» فضلاً عن الآيات والروايات.

وذكر كتاباً باسم «الميزان» في موضعين؛ قال في موضوع «الورع»: قال صاحب الميزان: الورع: ستر بين العبد والشبهات، والتقوى: ستر بين العبد وبين الحرام...

وقال في موضوع «ذكر الأولياء والأعداء»: وذكر صاحب الميزان أن الفقر للأولياء كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، وحب الله لذتهم، وإلى الله حاجتهم...

ولم أستطع للأسف أن ألم بهذا الكتاب و بمصنفه.

وقال في موضوع «اللوح والقلم»: ذكر صاحب كتاب الاعتقاد أن اللوح والقلم هما ملكان. وجاء في اعتقادات الصدوق ص ٤٤: باب الاعتقاد في اللوح والقلم، قال الشيخ أبو جعفر عليه السلام: اعتقادنا في اللوح والقلم أنهما ملكان.

ونقل في موضعين مطلباً عن تفسير في ذيل آية، قال في موضوع «الدين ومعناه»: ومن معاني الدين الجزاء؛ قال الله تعالى: ﴿ملك يوم الدين﴾ قال صاحب التفسير: يوم يدان الناس بأعمالهم.

وقال في موضوع «الملة»: و قد ذكر الله تعالى إبراهيم بالوفاء، فقال: ﴿إبراهيم الذي وفى﴾ قال صاحب التفسير: قام لربه باستكمال الطاعة.

وقال في موضوع «الأخوة»: قرأت في «المفتخر» تصنيف أبي محمد الحسن بن حمزة العلوي عليه السلام، روى عن رجاله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.
وردد في رجال النجاشي أنه من القرن الرابع.

وقد ذكر أسماء الأئمة الاثني عشر، و ذكر مصائب أهل البيت بصورة مجملة، و روى فقرة من الخطبة الفدكية لفاطمة الزهراء كشاهد لظلم أبي بكر، و مع ذلك فقد لقب أبابكر بلقب «الصديق» في موضعين، و كأنه عمل بالتقيّه إلى حدّ ما^١، ولكن لا يشكّ في تشييعه رغم ذلك.

وقال في موضع من الكتاب: وجرى بين بعض أهل ناحيتنا و شيخ يقال له: ماجد بن محمد مناظرة في باب التوحيد، فكتب ماجد إلى شيخ الحجازيين: و هو أبو سهل محمد بن سليمان الحنفي... فورد الجواب...

عرف أبو سهل محمد بن سليمان الحنفي في كتب التراجم أنه من القرن الخامس، إلا أنه كان في نيسابور.

وإن كان هو شيخ الحجازيين، اتضح أن زمان تأليف الكتاب في القرن الخامس تقريباً.

١. ولعله من إضافة الناسخ.

وقال في موضع أراد فيه أن يمثل للنسبة إلى مكان: كقولهم: عراقي أو حجازي أو شامي أو مغربي أو يمني وأشباهها.

ويستشف من هذه العبارة نفي كونه إيرانيًا أو ساكنًا في إيران.

وذكر أسماء هؤلاء الأشخاص ونقل عنهم مطالب:

١. أبو محمد الحسن بن حمزة العلوي، مؤلف كتاب «المفتخر».

٢. الشبلي المتوفى عام ٣٣٤.

٣. أبو موسى الدبلي أو الدبيلي الذي ورد اسمه في الرسالة القشيرية.

٤. الجنيد بن محمد المتوفى عام ٢٩٧.

٥. أبو يزيد البسطامي المتوفى عام ٢٦١ أو ٢٣٤.

٦. الصفار عن سعيد بن عطاء الشيباني، عن أبي العباس بن عطاء: إذ توفي الثالث عام

٣٠٩.

٧. حسين بن منصور الحلاج المتوفى عام ٣٠٩.

٨. عبيدالله بن حسين الكرخي المتوفى عام ٣٤٠.

٩. ذوالنون ابن إبراهيم المصري المتوفى عام ٢٤٥.

١٠. سري السقطي تلميذ معروف الكرخي المتوفى عام ٢٥٧.

١١. أبو عبدالله المحاسبي أو الجاسبي المتوفى عام ٢٤٣.

١٢. الجبائيان: الأب والابن عاشا في القرن الرابع.

١٣. محمد بن حسن الشيباني المتوفى ١٨٩.

١٤. أبو العباس ثعلب المتوفى عام ٢٩١.

١٥. صاحب الاعتقاد، وهو الشيخ الصدوق المتوفى عام ٣٨١.

١٦. القتيبي المعاصر للفضل بن شاذان حسب الظاهر من القرن الثالث.

١٧. يحيى بن معاذ الرازي المتوفى عام ٢٥٨ في نيسابور.

١٨. ابن جريح المتوفى عام ١٥٠.

١٩. حمزة بن حمزة العلوي المعاصر ليحيى بن معاذ، من القرن الثالث.

٢٠. طلق بن حبيب المذكور في الرسالة القشيرية.

وأغلب هؤلاء الأعلام من العرفاء، كما ذكرت أسماء أخرى لبعض الأعلام أيضاً، ليسوا من متأخري القرن الرابع أو الخامس.

ونقل تسعة أدعية منسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وكلها تضاهي أدعية الصحيفة السجادية بتلخيص واختلاف في الكلمات والجملات وفي التقديم والتأخير، وهذا الأمر يسترعي الانتباه ويحتاج إلى دراسة وتحقيق^١.

وما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام يختلف عما جاء في نهج البلاغة، وهذا يدل على أن المؤلف نقل عن كتاب غير نهج البلاغة.

وليس للروايات والأخبار سلسلة سند، سوى مورد أو موردين، وكثيراً ما وردت مواضيع في روايات الخاصة والعامة بلفظ «قيل».

وأشار أحياناً إلى بعض المسائل الكلامية، وبحثها وفق مبادئ الشيعة، كما أشار إلى المسائل الأدبية، واستشهد بشعر لم يرد في الكتب اللغوية كلسان العرب.

وجاءت مطالب في موضوع «الأفلاك والكواكب» وفي «الطب وطبائع الإنسان» وفي «أنواع العلم»، تشهد بوسعة علوم المؤلف وتعدّد فنونه.

وكتب المؤلف بقلمه عبارات ذات صبغة أدبية وعرفانية، فقد جاء في موضع من كتابه مثلاً: «ولقد قلت في بعض كلامي: رؤية العاقل تفيده الحكمة، ورؤية الجاهل تبيد الخطرة. صحبة العاقل طرب، وصحبة الجاهل كرب. موت الجاهل حيرة، وموت العاقل حسرة. خاتمة العاقل السعادة، وعاقبة الجاهل الشقاوة».

وأنشأ في موضع آخر: «ولذا قلت في بعض كلامي: علامة العارفين عشرة أشياء...». ويستفاد من هذه العبارات أن له مؤلفات أخرى أيضاً.

١. أيضاً أورد ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة دعواتاً من الصحيفة السجادية ونسبها إلى أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه.

و يحوي الكتاب ثمانية وسبعين موضوعاً أصلياً، وعدداً من المواضيع الفرعية. وقد طلبت من الأستاذ الكبير سماحة الشيخ واعظ زاده الخراساني أن يلاحظ الكتاب ويبدي رأيه فيه، ويكون ذلك مقدمة الكتاب، فوافق على طلبي، و تفضل بكتابة مقدمة تلي هذه السطور. وأرى من الواجب أن أقوم بشكره و أذيع فضله.

شكر و تذكّار

هنا، أرى لزاماً عليّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل لصديقي الأعزّ حجّة الإسلام والمسلمين محسن الأحمدى حيث أزرني في تحقيق المتن، و حجّة الإسلام الشيخ محمّد باقریان لتحمله عناء تخريج أكثر المرويّات من المصادر، والشيخ عبد الله العُفراني للمراجعة وإعمال الإصلاحات النهائية في تصحيح الكتاب. ولا يخفى أنّه كلّما وردت في الهوامش كلمة «راجع» فالمراد أنّ الحديث بعينه لم يوجد في المصادر، بل وجد بعضه أو مثله أو قريب منه في المفاد.

رضا الأستاذي

قم المقدّسة ١٣٨٣ش

مقدّمة الأستاذ واعظزاده الخراساني حفظه الله

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

لقد طالعت هذا الكتاب النفيس تلبية لرغبة آية الله الأستاذي، ودوّنت خلال ذلك ملاحظات كثيرة، وأجزتها على النحو التالي:

إنّ هذا الكتاب أثر لبعض علماء الشيعة الإمامية في القرن الخامس أو السادس، وقد قضى عمره ملازماً للتصوّف والعرفان، و حليفاً للقرآن والحديث، و مولعاً بكثير من العلوم، نحو: الهيئة والنجوم والرياضيات والطّب. وناهيك من أنّه كان من شيوخ المتصوّفة وعلماء الحديث، واشتهر بلقب «الحافظ».

ولكن ممّا يؤسف له أنّ اسمه و مكان نشأته و سابقته الدينية والعلمية مجهولة بدون شكّ و ريب، وإنّ وفّقنا لإدراك هذه المواصفات بالحدس والظنّ وفق بعض القرائن. وقد حصلنا على الملاحظات التالية من ثنايا الكتاب:

١. نقل عن كتاب «المفتخر» لأبي محمّد الحسن بن حمزة العلويّ (٣٥٨) المعاصر للشيخ الصدوق (٣٨١)^١، إلّا أنّه كان معاصراً للسيد المرتضى علم الهدى (٤٣٦)، والشيخ الطوسيّ (٤٦٠) على الظاهر.

٢. لم ينقل من كتب الشيعة الإمامية، عدا كتاب «اعتقادات الصدوق» الذي ذكره

بلفظ «قال صاحب الاعتقاد»^١، واقتبس روايات الأئمة وخطب الإمام عليّ عليه السلام من مصادر أخرى.

٣. هناك شواهد تدلّ على أنّه استقى بعض هذه الآثار من كتب الإسماعيلية، مثل: «دعائم الإسلام» للقاضي نعمان (٣٦٣) إذ ينبغي مقابلتها مع الروايات الأولى لهذا الكتاب.

وهذه الشواهد هي:

أ. قال في موضع، نحو «دعائم الاسلام» الذي كانت رواياته مرسلّة: «رؤينا»، وهو يقول أيضاً: «خبرنا».

ب. كان يثني على الإمام الصادق بقوله: «سلام الله على ذكره»^٢ بدلاً من «عليه السلام» حسب طريقة الإسماعيلية كما هو مرسوم بينهم حالياً.

ج. نقل عن كتاب «الميزان»^٣ مراراً وتكراراً، ويحتمل أن يكون «ميزان العقل»^٤ للقاضي نعمان.

٤. إن كان هذا الرأي صائباً، تحتم القول بأنّه كان إسماعيلياً ثم تشييع، وقد ذكر أسماء الأئمة والإمام الحجّة المهديّ عليه السلام، وعقائد الشيعة، غصب الخلافة، ومنع الزهراء عليها السلام إرثها، والعترة، عدّة مرّات^٥.

٥. ومع ذلك فهو صوفيّ بحت، بل كان من مشايخ الصوفية. وذكر في «فصل ذكر التصوّف» أقالاً في تعريف التصوّف، وقال: «والتصوّف عندي يرجع إلى سبعة معانٍ»^٦. وقال في مواضع أخرى: «من أقسام العلم علم التصوّف، وهو بحر عميق»^٧، و

١. الصفحة ١٤٤.

٢. الصفحة ٢٧٩.

٣. الصفحة ٢٦٨ و ٣٢٧.

٤. انظر مقدّمة «دعائم الاسلام» طبعة مصر.

٥. الصفحات: ٢٤٧ و ٢٦ و ٢٨١ إلى ٢٨٣ و ٣٠٥ و ١٣٩ و ١٥٢ و ١٥٨.

٦. الصفحة ٢٨ و ٣٠.

٧. الصفحة ١٠٦.

«معنى المعرفة على لسان التصوف»^١، و «معنى العرش عند أهل التصوف والتحقيق القلب»^٢، و «قال بعض المحققين وأهل التصوف: المراد باللوح المحفوظ القلب»^٣، و «قال أهل التصوف: العالم اثنان: الكبير والصغير»^٤.

كما ذكر «العارفين» مرات عديدة أيضاً؛ قال: «قلت: علامة العارفين عشرة أشياء»^٥، وكذا الحكمة والحقيقة؛ قال: «والحكمة عندي - والله أعلم - عبارة عن الوجدانية»^٦، «ولقد قلت في بعض كلامي: رؤية العاقل حكمة»^٧، «تريد الجواب بلسان الشرع أم بلسان الحقيقة أم بلسان الحق». واستعمل لفظ «المريدين» مرات أيضاً^٨.

٦. وفي مضممار التصوف ذكر أسماء شيوخ التصوف مراراً، منهم: أبو يزيد البسطامي، و ذوالنون المصري، والشبلي، و شقيق البلخي، وإبراهيم بن الأدهم، والجنيدي، والحسن البصري، بقيد «رحمهم الله» وغيرهم^٩.

٧. وذكر الصحابة والإمام والسلطان العادل - الذي يعني به الحاكم الإسلامي^{١٠} - مع علي وأهل البيت عليه السلام؛ قال: «ومنها حق الصحابة من أهل الهجرة والنصرة، وهو ذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، وإقالة عثرتهم، وستر عوراتهم، وتعظيم أحوالهم... وحفظ اللسان عما يشينهم». و روى أحاديث في الأنصار، وعن أبي بكر، و أنس بن مالك، و ابن مسعود، و ابن عمر، و أبي هريرة، و عن فقهاء العامة كالشافعي، و محمد بن الحسن

١. الصفحة ١٢٢.

٢. الصفحة ١٦٧.

٣. الصفحة ١٦٥.

٤. الصفحة ١٧٤.

٥. الصفحة ١٢٥.

٦. الصفحة ١١٧.

٧. الصفحة ١١٥.

٨. الصفحات: ٢٩ و ٨٠ و ٩٣ و ٢٠١ و ٢٥١ و ٢٩٨.

٩. الصفحات ٧٥ و ٨٠ و ١٢٠ و ١٢١ و ٢٨١ و ٢٩٣ و ٣١٠ و ٣٢٣ و ٣٣٥.

١٠. الصفحات: ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٨١.

الشيباني، و عن آخرين، و قيّد أسماءهم بذكر «رحمهم الله»^١.

٨. يختصّ المؤلف بمسلك خاصّ. ويربط الشيعيّ بالتصوّف بنهج خاصّ، يقول: «فينبغي للعبد أن يصل ولايته بولاية وليّ الأمر الذي هو الوساطة بين الرسول والأمة. والمفزع في الأحكام والشريعة، و ولاية وليّ الأمر بولاية الرسول الذي هو صاحب الشريعة»^٢، و قال في الشيخ الحسين بن منصور الحلاج: «كان صوفيّاً بالحقيقة، مفتدياً بالأئمة»^٣، رغم أنّه مردود عند الشيعة الإماميّة.

٩. يحتمل أنّه كان من محدّثي بلخ و حفظها و متصوّفها؛ إذ قال: «يحيى بن معاذ الرازيّ، دخل على حمزة بن حمزة العلويّ ببلخ، فقال له: ما تقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طينة عَجَنَت بماء الوحي»^٤. ولعلّه عنى بلخ بقوله: «وجرى بين بعض أهل ناحيتنا و شيخ يقال له: ماجد بن محمّد مشاجرة، فكتب ماجد إلى شيخ الحجازيين، و هو أبو سهل محمّد بن سليمان الحنفيّ» المتوفّي عام ٣٦٩، و رغم ورود عدّة محدّثين في كتاب «مشايخ بلخ» للدكتور محمّد المحروس^٥ ما استطعت أن أوفّق بين أحوالهم و حال المؤلف.

وكان مذهب أهالي بلخ الحنفيّة حتّى القرن الرابع، و غلب عليهم التصوّف أيضاً. إلّا أنّ ناصر خسرو العلويّ القباديانيّ (٣٩٤ - ٤٨١هـ) قد نشر المذهب الإسماعيليّ في تلك الناحية و في نفس الفترة، و لعلّ المؤلف كان متتمياً إلى هذه الفرقة. ثمّ اتّقى بالشيعة الإمامية و صار شيعياً. ولكن ما كان لديه من كتب الشيعة - كتّيب الإسماعيلية - غير كتاب «عقائد الصدوق» لأنّ الصدوق قد سكن هذا الصقع بضع سنوات^٦، كما جاء

١. الصفحات: ٢٦ و ٣٧ و ١٠٧ و ١٢١ و ١٦٣ و ١٧٢ و ٢٧٧ و ١٧٠.

٢. الصفحة ٢٧٠.

٣. الصفحة ٣٣٢.

٤. الصفحة ٢٥٢.

٥. طبعة العراق ٧٢/١.

٦. راجع مقدّمنا لكتّابي «المقنع» و «الهداية».

في مقدّمة «كتاب من لايحضره الفقيه»، وأنّه أجاز الشريف الدّين السيّد نعمة في «إبلاق» من نواحي بلخ، وكانت كتبه هناك أيضاً.

وعلى هذا، فإنّي أحتمل أنّ المؤلّف انتمى إلى مذهب الإمامية بعد عدوله عن الفرقة الإسماعيلية، بيد أنّه بقيت آثار ورواسب من عهد عقيدته الإسماعيلية، تظهر في مواضع من الكتاب، ولا تزال الطريقة الإسماعيلية باقية في منطقة «بدخشان» أيضاً.

١٠. يبدو أنّ ناسخ الكتاب قد تصرّف فيه، فتارة استعمل في «الحافظ» مؤلّف الكتاب لفظ «رحمة الله» وتارة «حفظه الله»^١.

فهذا الكتاب مجمع للأدب والأخلاق والعرفان، ويرجّح على كتاب «إحياء العلوم» للغزالي، رغم وجازته، ويمكنك في هذا المجال مقايسة باب «الصبر» في كلا الكتابين.

محمّد واعظ زاده الخراساني

خراسان - مشهد المقدّسة

في ١٣٨٣/٨/٢٨

نماذج من تصوير النسخة الأصل

فتب لنا يقيناً صادقا تكفيماً ~~أمامه~~ ~~والله~~ ~~المنهنا~~ ثقة خالصة
تعفيننا به شدة التعب واجعل ما صرحت به ~~وهو~~ في وحيدك
واتبعته من قسمك في كتابك قطعاً لا يمتاننا بالذي ~~الذي~~
تجملت به وجسماً للاشغال بما ضمنيت الكفاية له فقلت ~~وتوكل~~
واقسمت وقسمك ليس الأوفى وفي السماء رزقكم وما توعدون ~~في~~
السماء والأرض أنه لحق مثل ما أنتم تنطقون **ذات التوكل**
والنفويض والتسليم قال أجا فؤد التوكل ذات الأنبياء
وسراير الأولياء وأثار الأصفياء بهما استقام المرید على باب به
ورقى المدرج الى قرب سيده وعبراً لقناطر الى حوار مولاه وفاز
بخطه في أولاه وآخره وظفر ببعيته في مبداه ونشأه والتوكل
على وجهين توكل المؤمنين وموعاه لمن شمل اسم الايمان قال الله
هم ذكروه وعلى الله فليتوكل المؤمنون وتوكل المتوكلين وهو
البلغ النهاية وشاهد الملكوت وأطلع على المعجيات قال الله
على قول المرسل صلوات الله عليهم وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا
~~على~~ التصير على ما اذيتونا بأواع البلية وعلى الله فليتوكل

والآخرين أو لا في موت أبويه الإيوين وابتلاء ~~بالحرب~~ وتحملة الثقال
النبوة مع قلة عدده وضعف شوكته وجلسه في الشعب واستناره
عن أعدائه واحفائه الدعوة النبوية أعواماً من وحيه ومفارقته
للأوطان على كبر سنه ومناذته الأقرباء إظهاراً ~~للسنة~~ ~~بالمسيرة~~ ~~بالمسيرة~~
إعلاناً لدعوته وتقريبه الفقراء وترجيبه بالضعف رأسوة بأحواله
من الرسل وإيثاره الأبعدين على محبة الأقربين ابتغاء لرضا الله وإتماماً
لامره مع سائر محنة التي لا تحصى بذكره وما جرى على الأوصياء من نكث
بيعتهم ونكس حقه ومنع الأهرار إرثاً بها بحضرتهم واستبدال المقوم
بأبياتهم دون مشورته وقتل ابن بلح في صلوته وتعتظه بما أصاب المسموم
المرحوم والشهيد المظلوم سبعل المصطفى وشبلى المرتضى وما امتحن به العترة
الطاهرة والذرية الهاذية من الطرد والتبديد والجنس والتقييد
والضرب والتشديد والقتل والصلب والحرق والسبي ويأبى الله إلا أن
يظهر دينه ويعلى كلمته وينصر أوليائه ويخذل أعداءه فعلى قريب
يخلى الأرزاق من الظالمين ويجعل اللعنة على الفاسقين ويورث الأرض
عباده الصالحين إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وهدى لجمعة البالغين

وحكمتها والمحنة والبليّة والامتحان والابتلاء والمنهق والمبتلى واحد
وان الله تعالى جعل تعظيم المصطفى صلى الله عليه والتسليم لحكمه والنزول
عند امره دلالة على المحلصين واعلام الصادقين واثار المتقين فقال
هذه ذكركم ان الذين يخضون اصواتهم عند رسول الله اجلا للحق واعظاما
لامره اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يعني اخلص قلوبهم للحقايق
ما فيه التقوى ولزوم ما هو شرط الاتقياء لهم مغفرة لذنوبهم في الدنيا
واجر عظيم في العقبى فعلى العبد ان يتقابل المحن بالصبر والتسليم حتى تنفض
اياها فانها اذا انقلبت اعيث الجليل دونها وقد قال امير المؤمنين عليه السلام
يكل امر من الامور نهاية فمعالجته قبل نهايته زيادة في المحنة وقد
قال الصادق سلم الله على ذكره المستحسن كالمترجل كلما ارشاد تخلصا
ازداد توحلا وليس من اثار العقلار دفع المحن بالجيل الباطلة فان
اسباب القضاء اذا اردت من قاضيا العادل الحكيم استسلم لها
العبد المنيب وفوض الامر اليه العالم الاريب خضع لحكمه الفاضل الغيب
ايقانا بالثواب العظيم وطلب للاجر الكريم واسوة بالعباد الحكيم ويعتبرنا
جرى على الانبياء والمرسلين والاوصياء الصديقين لاسيما على سيدنا الامير

على دينه وشهدا على خلقه وامننا على وحيه وخزنته الامر واركنا
لبلائه واعلانا لعباده فطهرهم من العلة وعصمهم من الذل والايهم
بالكرامات وخصم بالمعجزات ائمة الهدى ومصابيح الدجى واعلم
التقى والطواحيه والحق والكورف لورى ونورا للذى لم يتدنوا بالدنيا
ولم يتلصقوا بالطلع ولم يركبوا الهوى ولم يخالفوا الهدى وحفظوا
منزلة الرسول وتمسكوا بافضل الاصول ودلوا على حسن القبول
اولهم امير المؤمنين على بن ابي طالب سيد الاوصياء ووارث
علم الانبياء ثم السبط المجمل الامام المفضل ابو محمد الحسن بن على عليه السلام
ثم الشهيد المظلوم الامام المعصوم ابو عبد الله الحسين بن على عليه السلام
ثم الامام الفاضل الزاهد العاقل ابو الحسن على بن الحسين زين العابدين
وفور الزهاد ثم الامام المويد العالم المسدد ابو جعفر محمد بن على
الباقر عليه السلام ثم الامام المطهر الامين المهذب ابو عبد الله جعفر بن
محمد الصادق عليه السلام ثم الامام الناصح العبد الصالح ابو ابراهيم موسى
بن جعفر عليه السلام ثم الامام العادل الشهيد الفاضل ابو الحسن
على بن موسى الرضا عليه السلام ثم الامام المتقى العالم ازينى ابو جعفر

محمد بن علي المختار عليه السلام ثم الامام الرضا العادل المصطفى
ابو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام ثم الامام الوفي الصادق
الصفي ابو محمد الحسن علي الصامت الاثني عشر عليه السلام ثم تمت الامامة
وبلغت الحجة وقامت الدلالة بالخلف المنتظر القائم المنتصر
جهدتي الامة وسيدا اعداء بني المصطفى وكسبه عليه واياه السلم
فمولاد الائمة بحج الله بعد رسول رب العالمين المنكر لاخرتم
كالمنكر لا اولهم لا يحتم الا السعداء الكرام ولا يبغضهم الا الاشقياء
اليوم ذكر عن الصادق عليه السلام قال لحن شجرة النبوة وبيت
الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومخلف
الملايكه وموضع سراة ولحن وديعة الله في عباده ولحن حرم الله الاكبر
ولحن ذمة الله ولحن عهد الله من فاعهدنا فقد وفانا ومن وفاذمتنا
فقد وفنا ومن خفرتنا فقد خفرتنا الله وعهدك فتلذرجح الله
واتبعها قال الله يسأل العبد يوم القيامة عن حجته فان اقامها رفع الى
النعيم المقيم فان لم يقيمها رده الى نار الجحيم جعلنا الله واياك من المصمير
بحبله المتمسكين بدينه المتبعين للحجة المستبصرين بانوار الناطقين في حقوته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[الحمد لله الذي توخّد بالوحدانيّة، وتفزّد بالإلهيّة، وفطر العباد على معرفته، وكَلّ الألسن عن صفته، الذي علا عن صفات المخلوقين، وجلّ عن معاني المحدودين، فلا مثل له في الخلائق أجمعين، ولا إله غيره لجميع العالمين.

و صلّاته و سلامه على خير خلقه محمّد سيّد الصّفوة و المنتجبين، و على آله قرناء القرآن المبين.

اللّهم اجعل لنا نوراً يرينا الخير و الشرّ بصورتيهما، و يعرّفنا الحقّ و الباطل بحقيقتيهما، حتّى نكون من المتّبعين للحقّ و العاملين بالخير، و المجتنبين عن الشرّ و الباطل، و لا نكون من الضّالّين المضلّين.

و بعد: فهذا الكتاب يشتمل على شرح عدّة من العناوين الواردة في القرآن و كلمات المعصومين عليهم السلام بنحو بديع، فخذ و كن من الشّاكرين. و الحمد لله ربّ العالمين [1].

1. كدياجة للكتاب، من عمل المحقّق.

[ذكر حسن الخلق]

قال الحافظ:

صَفُو العيش مع المداراة، وكَدَّر العيش مع الممارسة^١.
وقيل: الذَّهر يفيد من دارى وبيد من مارى. اتَّسعت دار من يدارى وضاقت
أبصار^٢ من يمارى.

وذكر عن المأمون قال: من حسن خلقه ساءت آداب خدمه.
وقيل: لا يحسن خلق المرء إلا بالنظر في آداب الملوك وسيير الحكماء وسنن
الأنبياء وأخلاق الأوصياء، ورياضة النفوس وحملها على العادات الجميلة ومقاساة
المحن الشديدة، والغيبة عن الأوطان في الأيام الطويلة.
وفي حسن الخلق راحة النفس وسعة الدار وطيب العيش وأمن الخدم وحب
الأحرار وريح مائدة المحتسبين، وسلامة الأواني من الكسر والثياب من الخرق
والصبيان من الضرب والدواب من التضييع.
وفيه عمارة البيت وكنس الدار ونظافة الثياب ومراعاة الأسباب وفتح
الأبواب.

وهو القربة والنجاة من الفُرقة والداعي إلى الوصلة، وهو من سنن المرسلين وآثار
النبيين وأوصاف الصديقين ودلالة رب العالمين.

١. الممارسة: النزاع واللجاج.

٢. كذا. ولعل الصحيح: أنصار.

ذكر حسن الجوار

قال الحافظ:

إن الله تعالى عظم حقَّ الجوار وقرنه ببرَّ الأقربين، فقال عزَّ ذكره: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾ وهو الرِّفيق في السَّفَر، وقيل: المرأة في البيت ﴿وابن السَّبيل﴾ وهو الصَّيف النَّازل ﴿وما ملكت أيمانكم﴾^١ مثل العبيد والإماء وغيرهم ممَّن وجبت رعايتهم. فهذه حقوق مؤكَّدة لا يسع تضييع واحدة منها.

ابتدأ بحقه وهو أعظم الحقوق لأنَّه التَّوحيد المعلوم بالعقل السَّليم والخبر الصَّحيح وبه يقبل الأعمال، ثمَّ برَّ الوالدين وهو أوكد الحقوق بعد التَّوحيد لحقَّ التربية، ثمَّ حقَّ القرابة وهو ألزَمها بعد حقوق الوالدين للوصلة الواقعة، ثمَّ حقَّ الجار القريب؛ وله حقَّان: حقَّ القرابة وحقَّ الجوار، ثمَّ حقَّ الجار الجنب؛ وله حقَّ واحد وهو حقَّ الجوار.

فعلى العبد أن يحافظ على هذه الحقوق، فقد نطق بتأكيدها الكتاب ووردت فيه السَّنة واتفقت عليه الأئمة^٢ العادلة.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: حرمة الجار كحرمة الأم^٣.

١. النساء: ٣٦.

٢. في الأصل: الإمامة.

٣. راجع البحار ١٥٤/٣٣ وفي مكارم الأخلاق: عن النبي ﷺ: حرمة الجار على الإنسان كحرمة أمه.

وقيل: من أعظم الذنوب أن تزني بحليلة جارك.

وقيل: النَّظَرُ فِي الدَّوْرِ وَالحِجْرَاتِ مِنْ تَضْيِيعِ الأَمَانَاتِ.

وقيل: حسن الجوار عمارة الدَّارِ.

وذكروا أَنَّ أباحنيفة دخل على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: ما ترك العرب

شيئاً من المثل!

فقال الصادق عليه السلام: لا تقل مثل هذا يا نعمان، ولكن قل ما ترك الله شيئاً من الحكم.

قال: يابن رسول الله، أين قول العرب في كتابه: أعط أخاك تمرة فإن أبى فجمرة؟

قال: ذلك قوله عز ذكره: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾^١.

قال: أين قول العرب في كتابه: من أذى جاره ورّثه الله داره؟

قال: ذلك قوله عز ذكره: ﴿لنهلكن الظالمين ولنسكتنكم الأرض من بعدهم﴾^٢.

قال: فتعجب نعمان وخرج^٣.

وقرأت في حكمة لقمان أنه قال لابنه: يا بني، الجار ثم الدَّار، الرفيق ثم الطَّرِيق،

السَّلام ثم الكلام^٤.

وحقَّ الجار مؤكِّد في الشريعة بدلالة قول المصطفى عليه السلام: الجار أحقَّ بصقِّه^٥.

وعن عائشة قالت: يا رسول الله، إن لي جارين؛ إلى أيِّهما أهدي؟ قال: إلى أقربهما

منك باباً^٦.

١. الرِّخْف: ٣٦.

٢. إبراهيم: ١٤.

٣. لم نثر عليه في المصادر المتناولة ككتاب الاحتجاج للطبرسي وغيره.

٤. في الاختصاص في مواظ لقمان لابنه: يا بني الجار ثم الدَّار، يا بني الرفيق ثم الطَّرِيق. وفي الدعوات

للزاوندي عن النبي صلى الله عليه وآله: السَّلام قبل الكلام. راجع البحار ٤٢٨/١٣ و ٣١٣/٩٠ و ١٢/٧٣.

٥. أي الجار أحقَّ بما يليه ويقرب منه. والحديث أورده السيوطي في الجامع الصَّغير ٢٤٧/١ نقلاً عن

البخاري وأبي داود والنَّسائي.

٦. جامع الأصول ٦٤٠/٦ نقلاً عن صحيح البخاري ٣٧٤/١٠ و سنن أبي داود رقم ٥١٥٥.

وحسن الجوار حفظ^١ الأسرار ونشر الآثار وتوقير الشيخ وتقريب الشاب وتبنيه الغافل وتعظيم العاقل وزور^٢ الأنب وتشييع الغائب ومراعاة الشاهد وتفقد الأحبة ولزوم الجماعة والتعزية عند المصيبة والتهنية عند النعمة وعبادة المريض وأتباع الجنائز والدعاء للميت والثناء على الحي وملاطفة الصبيان ومحافظة النسوان.

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر الجيران: اللهم تولني في جبراني بإقامة سنتك والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم وسد خللتهم وتعهد قادمهم ومناصحة مستشيرهم وهداية مسترشدهم وكتمان أسرارهم وستر عوراتهم وحسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجنة، والإفضال عليهم بالنوال وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال. أغض طرفي منهم عفة، وألين جانبي لهم تواضعاً، وأرق على أهل البلاء منهم رحمة، وأسر لهم بالغيب مودة، وأحب بقاء النعمة عندهم نصحاً، وأوجب لهم ما أوجب لحاقتي وأرعى لهم ما رعيت لخاصتي.

اللهم وارزقني مثل ذلك منهم، واجعل لي أفضل الحظوظ فيما عندهم حتى يسعدوا بي وأسعد بهم يا إله العالمين^٣.

١. في الاصل: «و حفظ» والظاهر أنّ الواو زائدة

٢. الزور: الزيارة.

٣. هذا الدعاء هو الدعاء ٢٦ من الصحيفة السجادية مع تفاوت بالتقص والزيادة فراجع.

ذكر الأُخُوَّة

قال المحافظ:

الأُخُوَّة على أربعة أوجه:

أخُوَّة الدِّين؛ وهي أوكدها وأشرفها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في ترك حقوق الإخوان ﴿لِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾^١.

وقال الصادق عليه السلام: المؤمن أخ المؤمن لأب وأم، أبوه نور وأمّه رحمة^٢.

[ثم] أخُوَّة النسب؛ وهي ثلاثة أوجه: أخُوَّة من قبل الأب دون الأم، وأخُوَّة من قبل الأم دون الأب، وأخُوَّة لأب وأم، قال الله تعالى في ذكر المواريث: ﴿إِن مَرَأًهُ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا﴾ إن كان أخوها لأب، أو لأب وأم، فإن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان ممّا ترك وإن كانوا إخوة ﴿لأب وأم، أو لأب﴾ رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين بيّن الله لكم ﴿أمر المواريث﴾ أن تضلّوا^٣ كي لا تتحيروا في القسمة ولا تعدلوا عن الصواب.

وقال: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ من الأم دون الأب ﴿فلكل واحد

١. الحجرات: ١٠.

٢. في نور الثقلين ٨٨/٥ عن بصائر الدرجات عن الصادق عليه السلام في ذيل حديث: فالؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه، أبوه النور وأمّه الرّحمة، وإنما ينظر بذلك النور.

٣. النساء: ١٧٦.

منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث^١ لا يزداد على الثلث ولا ينقص من السدس.

ثم أخوة الرضاع؛ وهي مثل النسب في الحرمة إلا في المواريث.

فقد صحّت الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: يحرم من الرضاع ما يحرم من

النسب^٢. وعلى هذا إجماع الأمة العادلة.

ثم أخوة المواخاة مثل ما وصى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وعثمان بن عفان

وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة والزبير، وواخي سيّد الأوصياء مع نفسه إذ لم يكن

له كفو في الصحابة ولا نظير [له] في العترة الطاهرة، أظهر بها شرفه قبل أن أبان له

الولاية وعقد البيعة، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا

الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر^٣.

وأخوة المواخاة أوكد من أخوة الأنساب؛ لأن في الأنساب شبهاً لا يعلمها إلا الله

وأهل الأنساب....^٤

فلو لم يتحقّق عنده بالوحي المنزل والامتحان الصادق نزاهة الوصي عن عيوب

البشر، لما قدّمه على النجوم الزواهر والكواكب المسعودة من أهل الهجرة والنصرة

بمواخاته.

وما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في أصحاب صفين: إخواننا بغوا علينا^٥. أراد به

أخوة النسبة التي كانت بينه وبين قريش وسائر العرب من قبل إسماعيل بن

١. النساء: ١٢.

٢. الكافي ٤٣٧/٥ عن الصادق عليه السلام وأيضاً ٤٤٦/٥ عن رسول الله ﷺ والجامع الصغير ٣٦٩/٢ نقلاً عن مسند

أحمد و سنن النسائي وأبي داود وابن ماجه وصحيح مسلم والبخاري.

٣. نقله البحراني في غاية المرام ٦٤٧ عن الكشف والبيان للثعلبي.

٤. هنا سقط من الأصل سطران.

٥. رواه الحميري في قرب الإسناد والعياشي في تفسيره والطبرسي في الاحتجاج. راجع البحار ٣٢٤/٣٢ و

٣٤٤ و ٣٤٥. وللشيخ المفيد كلام في هذا الخبر؛ انظر الرسالة الكافية.

إبراهيم عليه السلام، والكفر لا يزيل النسب فكيف البغي. وما جرى بين سيد الأوصياء وأهل البغي من قريش لم يكن بأعظم مما كان بين هود وعاد، وصالح وثمود، وشعيب ومدين. قال الله تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾^١. ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾^٢. ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾^٣.

فكفر هؤلاء الماضين بالمرسلين لم يبطل نسبتهم مع المرسلين، كذلك بغي الأمويين وظلم الهاشميين لا يبطل أخوة النسب بينهم وبين الأئمة الطاهرين عليهم سلام رب العالمين.

وفي المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية أعداء السريرة. قيل: يا رسول الله، ولم ذاك؟ قال: لرغبة بعضهم إلى بعض ورهبة بعضهم من بعض^٤.

وإن الرحمة الغريزية تتحرك عند ذكر الأخوة؛ يدل عليه قول يوسف لابن يامين عليه السلام: ﴿إني أنا أخوك فلا تتبس بما كانوا يعملون﴾^٥.

وللأخوة من الطرفين حق ليس لها من الطرف المفرد؛ يدل عليه قول الله تعالى حيث قال: ﴿ولمّا دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾^٦.

وقول يوسف: ﴿أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا﴾^٧ بالجمع بيننا بعد الغيبة الطويلة. وعلى المؤمن أن يعامل أخاه في الدين والنسب معاملة الصديق مع إخوته حيث

١. الأعراف: ٦٥.

٢. الأعراف: ٧٣، هود: ٦١.

٣. الأعراف: ٨٥، هود: ٨٤، العنكبوت: ٣٦.

٤. راجع مسند أحمد ٢٣٥/٥.

٥. يوسف: ٦٩.

٦. يوسف: ٦٩.

٧. يوسف: ٩٠.

تمكّن منهم و اعترفوا له بالفضل؛ قال: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»^١.

ثم أمرهم بإحضار أهاليهم حتّى يشركوه في الملك العظيم والمجد الرفيع، فلمّا عادوا أدخلهم مصره آمنين وأنزلهم مكرّمين وأنسهم بنفسه مقرّبين، فلمّا ذكر منّة ربّه لم يذكر الجبّ الذي ألقوه فيه، إزالة للوحشة وتعظيماً للمنة^٢ و قال: «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان» يعني أفسد الشيطان «بيني وبين إخوتي إنّ ربّي لطيف لما يشاء إنّه هو العليم الحكيم»^٣.

وخبّرت أنّ زيد بن موسى عليه السلام^٤ بعد ما فعل بأهل البصرة ما فعل؛ حضر باب المأمون [فقام المأمون] من مجلسه توفيراً لزيد، وسلمّ زيد على الرضا عليه السلام ومدّ يده إليه ليصافحه، فلم يردّ عليه السلام ولم يمدّ إليه يده، فقال: لا تردّ سلامي و أنا أخوك من أبيك؟! فقال: أنت أخي ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا إخاء بيني وبينك. لعلّك غرّك سفلة أهل الكوفة حيث رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرّيّتها على النار. هذا للحسن والحسين ولمن عمل بمثل أعمالهما^٥.

وقرأت في المفتخر^٦ تصنيف أبي محمّد الحسن بن حمزة العلوي عليه السلام^٧ روى عن رجاله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ولد جعفر بن محمد فسّمّوه الصادق لأنّه يولد منه

١. يوسف: ٩٢.

٢. في الأصل: «للنقمة» والتصحيح من عندنا.

٣. يوسف: ١٠٠.

٤. هو زيد المعروف بزید النار.

٥. ملخصه في المناقب ٣٦١/٤ لابن شهر آشوب كما في البحار ٢٢١/٤٩ وأيضاً ذيله ومثله في البحار ج ٤٣ و ٤٦ و ٤٩ و ٧٥ و ٩٣ والخبر بكامله في مقاتل الطالبين للإصفهاني وكتاب الجليس الصالح الكافي للجريري.

٦. ذكره النجاشي في الرجال ٦٤.

٧. مات سنة ٣٥٨. راجع رجال النجاشي: ٦٤.

ولد يقال له: جعفر الكذاب، ويل له من جرأته على الله و بغيه على [ابن] أخيه صاحب الحق إمام زمانه و مهدي أهل بيته^١.

فأخوة النسب لا تنفع إلا مع أخوة الدين، وأخوة الدين تنفع بغير النسب، و عليه أئمة الهدى من آل المصطفى ﷺ.

ذكر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: والله ما بيننا وبين الله قرابة، و لا الله مع أحد هوادة، من أطاع الله فهو لنا ولي و من عصى الله فهو لنا عدو، و الله ما يتقرب إلى الله إلا بالطاعة^٢. و في المأثور عن رسول الله ﷺ قال: رَجِمَ اللهُ أَخِي لوطاً؛ كان يأوي إلى ركنٍ شديد^٣.

و قال: رحم الله أخي يوسف؛ لو دعيت إلى ما دعيت إليه لأجبت الداعي^٤.

و قال: لا تفضلوني على أخي يونس بن متى^٥.

و سمى جميع المرسلين إخوانه حيث قالوا له: لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يكف عنك الجوع. فقال: إن إخواني من أولي العزم صبروا على ما هو أشد من ذلك حتى قدموا على ربهم فأكرم مشواهم^٦.

فأسس الإخاء بالنصح و أثنى عليه بالشفقة و أعمرها بالحفاظ، فإن حق الأخوة

١. توجد مثله في الخرائج للزراوندي ص ١٩٥ كما في البحار ج ٤٧ ص ٩. و لا يوجد كتاب المفتخر في المكتبات.

٢. مثله في الكافي ٧٤/٢ و ٧٥. و انظر مشكاة الأنوار للطبرسي ١٢١ و نهج البلاغة ٣٩٦/١ و البحار ٤٦٦/١٤ و فيهما: «و ما بين الله و بين أحد من خلقه هوادة» و الهوادة: الرخصة و الميل و اللين.

٣. تفسير جامع البيان للطبري ٥٣/١٢.

٤. راجع جامع البيان ١٣٩/١٢ و فيه: لو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم جاءني الداعي لأجيبته إذ جاءه الرسول فقال: ارجع إلى ربك...

أقول: لو صح هذا الحديث و أمثاله لدل على حسن تواضع نبينا و ثنائه على يوسف.

٥. و ذيله كما في الكتب: بأن كان عروجه من بطن الحوت و عروجه كان في السماء على العرش.

أقول: صحة هذا الخبر أيضاً غير معلومة.

٦. إحياء العلوم ٣٤٧/٣ مع تفاوت يسير.

الدَيِّية إظهار المحاسن وستر القبائح وترك الحقد عند الأذى وإظهار العذر عند العطاء. وحقَّ أخوة النَّسب حفظ شرائط الشَّرْع معه ورفع أسباب الحشمة عنه وبذل آثار الفضل له وإظهار معاني الشَّفقة عليه.

وقيل: إذا صحَّ الإخاء سقط التَّجَمُّل.

وقيل: الإخاء بلا نصح كالطَّعام بلا ملح.

وذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: السَّرور سبعة: سرور ساعة، و سرور يوم، و سرور جمعة، و سرور شهر، و سرور سنة، و سرور دهر، و سرور الأبد^١. أما سرور ساعة فالجماع، وأما سرور يوم فدخل الحَمَام، وأما سرور الجمعة فلبس الغسيل، وأما سرور الشَّهر فالغربة، وأما سرور السنة فالزَّوَج، وأما سرور الدَّهر فللقاء الإخوان، وأما سرور الأبد فنعيم الجنَّة.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يُسْمِعُ فِيهَا نَصَبٌ﴾ وهو تعب المعيشة وفراق الأحبة وزوال النِّعمة ﴿وما هم منها بمخرجين﴾^٢.

ومدح الله المستغفرين لإخوانهم الماضين السابقين إلى الدِّين؛ فقال مثنياً عليهم وهم الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^٣.

وفي المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الأنصار أحبَّائي، وفي الدِّين إخواني، وعلى الأعداء أعواني^٤.

وكان سلمان رضي الله عنه إذا نظر إلى أصحابه قال: أنتم الإخوان في الدِّين، والجيران في الدَّار، والأنصار على الأعداء.

١. في الأصل: لا يبيد، والمثبت أظهر.

٢. الحجر: ٤٥.

٣. الحشر: ١٠.

٤. راجع كنز العمال: ١٢/١٤ ح ٣٣٧٤٦، ميزان الاعتدال ١/٤٨٠، لسان الميزان ٢/١٨٩.

فاحفظ الأخوة، ولا تفسدها بذكر المنن وتضييع الحقوق ونسيان الأيادي وهدم الصنعة؛ ينفعك الأخ المؤمن في الدنيا ويشفع لك في القيامة ويرافقك في الجنة، وقر من إخوانك من يرشدك في الدين ويدلك على الخير ويخبرك بعثرتك ويعينك على إصلاح أمورك ويشركك في المكاره ويسد خللك ويراعي أحوالك ولا ينسأك في المهمات ولا يخذلك في النأبات، واغتنم صحبته وأنخ رحلك عنده ولا تعدل عن رأيه ولا تستبدل به، فإنه أخوك في الدنيا وشفيحك في العقبى وأنيسك في دار البقاء مع النبي المصطفى والوصي المرتضى وأنمة الهدى عليهم سلام الملك الأعلى.

ذكر التَّصَوِّفِ

قال الحافظ:

التَّصَوِّفُ إطاعة المحبوب واجتناب المكروه وتعظيم الأمر وسخاوة النَّفس وسلامة الصِّدْر والشَّفَقَة على الخلق وترك الإنكار ومعرفة الأصول وحسن القبول واتباع الرِّسُول ورؤية المنن وشكر النِّعم ورفض الدَّعوى ونسيان الدُّنيا. وأصله الفناء عن الخلق والبقاء مع الحقِّ.

وسئل الشُّبلي^١ عن التَّصَوِّفِ، قال: ترويح القلوب بمراوح الصِّفا، وتجليل الخواطر بأردية الوفاء، والتخلُّق بالسَّخاء، والبشر في اللقاء، ثمَّ أنشأ يقول:

القرب منك تباعد والبعد قربي نحوكا
أنت الذي أفنيتني قلبي فصرت به لكا

وقال جنيد بن محمد^٢: حقيقة التَّصَوِّفِ أن لا تنظر إلى أحد بعين الإنكار، فإنَّ الإنكار ثمرة الدَّعوى وهو الوحشة عن الحقِّ.

وعن أبي موسى الدُّنبلي^٣ قال: سألت أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي^٤ عن

١. كان شيخ الصوفية في وقته وهو مالكي المذهب، عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة ٣٣٤ و قبره ببغداد.

٢. جلَّله: غطَّاه.

٣. سيّد هذه الطائفة، وهو فقيه شافعي، مات سنة ٢٩٧.

٤. أو الدُّبيلي أو الدُّبيلي، راجع الرِّسالة الشِّعرية ص ٢٦٢ واللباب لابن الأثير في حرف الدَّال.

٥. كان قطب الصوفية في زمانه، مات ٢٦١ أو ٢٣٤.

التَّصَوُّفُ ماهو؟ فقال: يا أبا موسى، تريد الجواب بلسان الشَّرْع أم بلسان الحقيقة أم بلسان الحقِّ؟ قلت: عن الثلاثة سألت.

قال: أما بلسان الشَّرْع؛ فتصفية القلوب عن الأكدار، واستعمال الخلق الحسن مع الخليفة، واتباع الرسول في الشريعة.
و أما بلسان الحقيقة؛ فعدم الحدّاث^١ والخروج من أحكام الصفات، والاكتفاء بخالق السماوات.

و أما بلسان الحقِّ؛ فالأصل أنّ الحقَّ اصطفاهم بصفاته عن صفاتهم و صفّاهم، فسَمّوا صوفيّة.

وسئل بعضهم^٢ عن التَّصَوُّف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطَّبِيعِيَّة، وإخماد الصفات البشريَّة، ومجانبة الدَّعاوي النفسانيَّة، ومناولة الصِّفات الرُّوحانيَّة، والتعلُّق بالعلوم الحقيقيَّة، واستعمال ماهو أولى على السَّرمديَّة، والنصح للأمة الحنيفيَّة، والوفاء بالعهود، واتباع الرُّسول في الرُّكوع والسُّجود.
وسئل بعضهم عن الصُّوفيِّ، قال: من لا ينقض الله عهداً ولا يخلف له وعداً، سكوته فكرة ونظره اعتبار، والتَّصَوُّف ترك التكلّف.

وسئل آخر متى يكون الرُّجل صوفيّاً؟ قال: إذا لبس الصُّوف على الصِّفاء، وأذاق نفسه طعم الجفاء، وتمسك بحبل الوفاء، وجعل الدُّنيا خلف القفا، وسلك طريق المصطفى ﷺ.

وروى الصَّفَّار عن سعيد بن عطاء الشَّيباني عن أبي العباس بن عطاء^٣ أنّه قال: مذهب التَّصَوُّف مبنيٌّ على عشر دعائم؛ وهي السُّخا والرُّضا والخوف والصُّبر والإشارة والغربة والرياضة والسَّياحة والفقر والشَّجاعة. ولهم في كلّ واحدة في هذه

١. كذا في الأصل.

٢. راجع العوارف للسَّهروردي المطبوع بهامش إحياء العلوم ٣٢٨/١.

٣. هو أحمد بن محمَّد بن سهل بن عطاء من كبار مشايخ الصُّوفيَّة، مات سنة ٣٠٩.

الخصال العشر إمام؛ فالسّخا لإبراهيم عليه السلام، والرّضا لإسماعيل، والخوف لداود، والصبر لأيوب، والإشارة^١ لزكريّا، والغربة والوحدة ليحيى، ورياضة النفس ولبس الصوف وغيره لموسى، والسّياحة لعيسى، فإنّه لم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب، والفقر لمحمّد صلى الله عليه وآله فإنّه اختار ذلك بعد أن عرضت عليه خزائن الأرض، والشّجاعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و عن جنيد قال: اصلنا اصلنا^٢... ثلاثة: لا تأكل إلا عن فاقة^٣، ولا تتكلّم إلا عن ضرورة، ولا تنام إلا عن علة.

والتصوّف عندي - والله أعلم - يرجع إلى سبعة معان:

صفاء الأشباح عن كدورة الشّهوات. و صفاء الأرواح عن موافقة الهوى. و صفاء القلوب عن الخواطر الرّديّة. و صفاء الألسن عن الدّعاوي الكاذبة. و صفاء الأعمال عن آفة العجب والكبر والرّياء. و صفاء الأحوال عن النّظر إلى الخلق. و صفاء الآمال عن التعلّق بالأسباب.

فمتى ما صفا العبد بالكليّة عن الكلّ، و لبس الصّوف على صفاء همّة دون التصنّع للبريّة، و اغتذى بلطائف الحكمة، و شرب بكأس المحبّة خمر المودّة، و قطع مفاوز الصّبر، و رتع في رياض المنة، و أبصر حقائق البرّ، و نطق بلسان الحقّ - وهذا منزل الشّيخ الحسين بن منصور^٤ و أهل التصوّف الحقيقيّة لارسميّة - كان صوفيّاً على الحقيقيّة، مقتدياً بالأئمّة، متمسكاً بالشّريعة.

و من خالف هذا الوصف، بقي في ظلمة الدّعوى و كدورة الأحوال، و غرق في بحر الأماني، و تاه في أودية الشّبّهات، قد تمكّن منه وساوس الشّيطان، ليس معه نور العلم

١. كذا. وفي القرآن: فأوحى - أي زكريّا - إليهم، أي أشار إليهم.

٢. كذا. ولعلّ الصحيح: أصلنا أصلنا على ثلاثة.

٣. الفاقة: الحاجة.

٤. هو الحلاج، المقتول سنة ٣٠٩.

فيستضيء به، ولاسراج المعرفة فيهتدي أمامه. تراه مجرداً في الدعوى، عارياً عن المعنى، بعيداً عن الحق، متصنعاً للخلق، همته بطنه و فرجه.

فنعوذ بالله من أحوال ليس لها حقيقة، وأعمال ليس فيها إخلاص، و آثار ليس معها بصائر. و نسأله النظر فيما هو أولى بنا و أعود علينا، وأهدى لنا إلى السبيل الأقوم والطريق الأعظم، وإنه الهادي لمن استهداه، والكافي لمن توكل عليه و نجاه، والمجيب لمن أناب إليه و دعاه، وهو ولي العبد و مولاه.

ذكر معاملات فاضلة تجري بين العباد لا بدّ من حفظها والوقوف عليها

[قال الحافظ:]

...^١ والحلم والحياء والوفاء والحرية والسياسة والرئاسة والسؤدد.
قال الحافظ: أمّا الألفة؛ فهي نتيجة التأليف، والتأليف على وجوه:
منها تأليف الأجسام، وهي جمع الأجزاء المتشتملة من الكنائف واللطائف.
ومنها تأليف الأعراض، مثل ضمّ الكلام بعضه إلى بعض.
ومنها تأليف القلوب في المحبة والعقائد.
و ثمرة الألفة: اتفاق القلوب واجتماع الأبدان ومطابقة الألسن والمشاركة في
الشدة والمساعدة في النعمة وترك الأحقاد القديمة والضغائن المكونة.
ولا يظهر الألفة إلا بعد ملاقات الأرواح قبل الأشباح؛ يدلّ عليه قول المصطفى ﷺ
قال: كانت الأرواح جنوداً مجنّدة؛ فما تعارف هنا ائتلف، وما تناكر هنا اختلف^٢.
وأما القرابة؛ فهي المودة الصادقة والنسبة السابقة، ولا تصلح القرابة إلا بحسن
العشرة ولزوم الحرمة وأداء الحقوق، والقرابة تحتاج إلى المودة، والمودة تستغني
عنها.

١. هنا سقط من الأصل بقدر سطر كما هو ظاهر ممّا يأتي.

٢. راجع البحار ج ٥٨ باب خلق الأرواح قبل الأجساد، وفيه روايات كثيرة منها ما رواه الصدوق ﷺ في
العلل: عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنّ الأرواح جنود مجنّدة؛ فما تعارف منها ائتلف ها هنا، وما
تناكر منها في الميثاق اختلف ها هنا، الخ.

و ذكر عن زين العابدين عليه السلام قال: معرفة ساعة موَدَّة، و ثلاثة أيَّام قرابة. و أشرف القرباب من أوجب الله موَدَّتها و فرض محبَّتها، و تدلُّ على طيب الولادة و إخلاص التَّوحيد، و هي قرابة الرُّسول عليهم السلام. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^١ و إذا قامت القيامة بطلت الأنساب و زالت الأحساب و تقطَّعت الأسباب إلا نسب سيِّد الأنبياء صلوات الله عليه و آله و نسب...^٢ و أمَّا الرِّئاسة... المستحقَّ اسم الرِّئاسة، و الكياني كتسليط الذكران على الأنثى، و الاعتيادي كتسليط العلماء على أتباعهم، و الجنسي^٣ كتتمليك الملوك غيرهم، و القسري كتسليط الدُّعار^٤ و اللصوص على من يظفر بهم.

و أمَّا السِّياسة؛ فهي النَّظر في الدَّفائق و معرفة الحقائق، و هببة الخاصَّة مع صدق المحبَّة، و اقتياد قلوب العامَّة مع إظهار الشَّفقة و العدل في الرِّعيَّة و القسمة بالسَّويَّة، و إكرام الأعداء و ترك التَّعافل مع بذل الفضل، و تقريب أهل الحقِّ و تبعيد أهل الباطل، و سوء الظنِّ بالمتمَّهم و الوقف عند الشَّبهة.

و أصل السِّياسة حفظ المملكة و الرِّعاية لأسبابها بحسن التَّقدير و لطف التَّدبير. و هي عند الفلاسفة ثلاثة أقسام: مملكيَّة و عاميَّة و إهيَّة. أمَّا المملكيَّة؛ فهي التي يحفظ فيها صورة العدل على ما شرَّعته السِّياسة الإلهيَّة، و تتقبَّل في جميع أفعالها و أحوالها ما أنت به تلك الشريعة. و أمَّا العاميَّة؛ فهي التي بها يحفظ المعاملات و المشاركات و المعاشرات بين الكلِّ. [و أمَّا الإلهيَّة] فهي التي تحفظ صورة العدل و صورة شكر المنعم في جميع أجزاء العالم في سائر الأوقات و في جميع أحوالهم و حركاتهم و متصرِّفاتهم.

١. الشورى: ٢٣.

٢. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٣. كذا. ولعلَّ الصحيح: الحسبي.

٤. الداعر: الخبيث المفسد.

وأما السؤدد؛ فهو العصمة من الذنوب، والطهارة من العيوب، وشرف النسبة وكمال الخلقة، وصيانة العرض و عفاف الطعم^١، وسد الخلل والتجاوز عن الزلل، وعلو الهمة وحسن النية، والنظر في العواقب والصبر على النوائب، وأداء المفروضات وحفظ الواجبات، وسخاوة النفس وشجاعة القلب، وكظم [الغيظ] وكف الأذى وبذل الندى، والعدل في الأحكام والرأي عند التجارب، والسبق إلى المكرمات والرغبة في الخيرات، وحسن الإشارة ولطف العبارة، وشرح المعضلات وإيضاح المشكلات وكشف الشبهات.

ومن أراد شرائط السؤدد فلي تأمل آثار الأنبياء وسير الأوصياء، فإنهم السادة الكرام عليهم أفضل التحية والسلام.

قال الله يصف العبد المعصوم يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٢. وصحت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع^٣.

وقال صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما^٤. فأهل الجنة سادة لأنهم المؤمنون، والحسن والحسين سيدا السادات، والوصي سيدهما وأفضل منهما، فهو في الدرجة البالغة من السؤدد.

وفيما أوحى الله إلى داود: يا داود، أنا الله لا إله إلا أنا، ومحمد رسولي إلى العرب فيقهر العجم ويفتح مشارق الأرض [و] مغاربها. هو آخر الأنبياء وسيدهم، وأفضل الخلق وأكرمهم عليّ. فطوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، وطوبى لمن هاجر معه، وطوبى لمن اقتدى به.

١. كذا.

٢. آل عمران: ٢٩.

٣. رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ١٧٠، وعنه البحار ٣٢٦/١٦. وانظر الأمالي للصدوق ٢٥٤، مسند أحمد

٢٨١/١، سنن الترمذي ٣٧٠/٤.

٤. رواه الحميري في قرب الإسناد: ٥٣، وعنه البحار ٩١/٣٩.

٥. في الأصل: إلى.

فرسول الله ﷺ سيد الأنبياء، ووصيه سيد الأوصياء، وابنته سيّدة النساء، و سبطاه سيّدا شباب أهل الجنان، وعترته سادات الأمة، وأمتة سادة الأمم.

له النبوة والرّسالة والإمامة والخلافة والسّيادة والشّهادة، ولوصيه الوصاية والتّقابة والإمارة والإمامة والخلافة والسّياسة والحكومة والقضيّة^١. وهو الظّلّ الممدود والسّبب المقصود، والباب والحجاب، وعنده علم الكتاب وفصل الخطاب. له فصاحة اللسان وحلاوة المنطق وسعة الصّدر ونور السّرّ وغازاة العلم وفضيلة الحلم وقوّة الحفظ و نفاذ^٢ الفهم و صفاء الدّهن وكمال العقل و ردّ الجهل، ورؤية العواقب والصّبر على التّوائب، ونصرة المصطفىّ والزّهد في الدّنيا والرّغبة في العقبى والأنس بالمولّى وصدق الدّعوى وحصول المعنى، وهو المرتضى في الآخرة والأولى عند النّبىّ المصطفىّ وأئمة الهدى عليه وذريّته صلوات الملك الأعلى.

١. أي القضاء.

٢. في الأصل: نفاذ.

ذكر الحسب والنسب

قال الحافظ:

النسبة على وجوه:

نسبة الأصول كالعناصر الأربعة؛ وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة،

ونسبة الولادة كقولهم: ابن فلان و فلانة،

ونسبة التربية كقولهم: ربيب فلان و فلانة،

ونسبة التعليم والتأديب كقولهم: تلميذ فلان و خريجه،

ونسبة الزمان كقولهم: ولد في سنة كذا في شهر كذا في يوم كذا في ساعة كذا،

ونسبة المكان كقولهم: عراقي أو حجازي أو شامي أو مغربي أو يمني أو أشباهها،

ونسبة البلاد كقولهم: بصري و كوفي و مكّي و مدني و أشكالها،

ونسبة الأفعال كقولهم: ضرب فلان أو نقشه أو بناه أو غرسه،

ونسبة العمر كقولهم: ابن عشرين و ابن ثلاثين و ابن أربعين و نحوها،

ونسبة الشرف كقولهم: عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي و أمثالها،

ونسبة الملك كقولهم: ملك فلان أو عبده أو داره و نظيرها،

ونسبة قرابة كقولهم: أخو فلان أو أخته أو عمّه أو خاله،

ونسبة نكاح كقولهم: امرأة فلان أو عياله و أهله،

ونسبة أحوال كقولهم: صحّة فلان أو سقمه و فقره أو غناه.

و على هذا ينصرف^١ وجوه الانساب.

و النسبة و الإضافة قريبتان في المعنى؛ لأن النسبة إضافة الشيء إلى الشيء، و الإضافة في اللغة: الإمالة، و منه الضيف لميله إلى من يختص به قرابة أو مودة أو معرفة.

و ذكروا أن رجلاً من أصحاب الشافعي رحمه الله عليه^٢ دخل على الشيخ أبي الحسن الكرخي رحمه الله^٣، فقال: أتيتك بمعضلة فاثبت لها. قال: و ما هي؟ قال: قول رسول الله ﷺ: من باع عبداً و له مال؛ فماله للبائع إلا أن يشترط المبتاع^٤. فقد أثبت النبي ﷺ المال للعبدا!

فقال الشيخ: أقول فيها قولاً مقنعاً عند ذوي التحصيل و التمييز: إن الإضافات تنحو أربعة أنحاء و تنشعب أربع شعب:

منها إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: نفس اليمين و عين اليقين.

و منها إضافة البعض إلى الكل كقولك: عرصة الدار و رأس الجدار.

و منها إضافة علم و تشهير كقولك: ثمر النخلة و لجام البغلة.

و منها إضافة تملك و تسليط كقولك: دار زيد و مال هند.

فلما جاز انتزاع المال من يد العبد من غير رضاه و بيعه من [غير] هواه^٥ علم أنه إضافة علم و تشهير لا إضافة تملك و تسليط.

فهذه وجوه الإضافات لا غير.

و أفضل الأنساب نسبة العرب لنزول أفضل الكتب بلغتهم و بعثة أفضل الرسل في

١. في الأصل: يتصرف.

٢. عبارة الترخم، لعلها من عمل الناسخ.

٣. عبيدالله بن الحسين الكرخي أبو الحسن، فقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بالعراق، مات سنة ٣٤٠. انظر الأعلام للزركلي ١٩٣/٤.

٤. رواه الصدوق في الفقيه ١٣٨/٣ و الشيخ الطوسي في أماليه ٣٩٧/١ و عنهما الوسائل ٣٥٣/١٨.

٥. في الأصل: هوى.

جملتهم ووضع أفضل الشرائع بألفاظهم وكون أشرف القبائل^١ فيما بينهم، ثم نسبة قريش لأنها أصل^٢ الهاشميين، وإيهم أشار الرسول بالإمامة بقوله ﷺ: الأنمة من قريش ما بقي منهم اثنان، خيارهم تبع لخيارهم، وفجارهم تبع لفجارهم^٣، ثم نسبة الهاشميين لقربها من سيد الأنبياء صلوات الله عليه وسيد الأوصياء سلام الله عليه، ثم نسبة الرسول ﷺ....^٤

١. في الأصل: أشرف القبل.

٢. في الأصل: أصول.

٣. راجع غاية المرام ١٩١. وفي صحيح البخاري: قال رسول الله ﷺ: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان. وفي صحيح مسلم: ما بقي من الناس اثنان.

و في البحار ١٥٧/٢٤ نقلاً عن بصائر الدرجات عن علي ﷺ: الأنمة من قريش، أبرارها أنمة أبرارها، وفجارها أنمة فجارها، الخ.

٤. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

[ذكر السَّخَاء]

قال الحافظ:

السَّخَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ: ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ. أَمَّا الظَّاهِرُ؛ فَالْبَذْلُ وَالْإِعْطَاءُ، وَأَمَّا البَاطِنُ؛ فَطَيْبَةُ النَّفْسِ عِنْدَ البَذْلِ وَسَعَةُ الصَّدْرِ مَعَ العِطَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: أَرْضٌ سَخَاءٌ^١؛ إِذَا كَانَتْ لَيْتَةً طَيِّبَةً. وَقَوْلُهُمْ: سَخَوْتُ نَفْسِي وَسَخَيْتُ بِنَفْسِي، أَي طَيَّبْتُهَا.

وَضَدُّهُ البَخْلُ، وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ مَنَعَ الشَّيْءِ عَنِ الْمَسْتَحَقِّ، وَشَكَلَهُ التَّبْذِيرُ وَهُوَ البَذْلُ لِغَيْرِ الْمَسْتَحَقِّ، وَفِي البَاطِنِ ضَيْقُ الْقَلْبِ عِنْدَ البَذْلِ وَكَرَهُ النَّفْسُ مَعَ الإِعْطَاءِ. وَشَكْلُ السَّخَاءِ الْجُودُ، وَهُوَ الإِفْضَالُ فِي جَمِيعِ الأَوْقَاتِ عَلَى الْمَسْتَحَقِّ وَغَيْرِ الْمَسْتَحَقِّ، وَهُوَ غَايَةُ السَّخَاءِ، وَضَدُّهُ الشُّحُّ وَهُوَ الكَرَهُ عِنْدَ الإِعْطَاءِ وَالْمَنَعُ عَنْهُ، وَهُوَ أَشَدُّ البَخْلِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَشْحَىٰ عَلَيْكُمْ﴾^٢ يَعْنِي أَشَدَّةً.

وَالسَّخِيُّ الَّذِي يُعْطِي، وَالبَخِيلُ الَّذِي يَمْنَعُ، وَالجَوَادُ الَّذِي يُعْطِي وَيَدُلُّ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَالشَّحِيحُ الَّذِي يَمْسُكُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ، وَاللهُ تَعَالَى مُوصُوفٌ بِالجُودِ وَمَعْرُوفٌ بِالكَرَمِ، وَفِي أَسْمَائِهِ الجَوَادُ، وَهُوَ الَّذِي أُعْطِيَ البِرَّ وَالفَاجِرُ وَأَمْرُ بِهِ، وَمِنْ أَسْمَائِهِ الوَاسِعُ، وَهُوَ الغَنِيُّ وَسَعَتُهُ جُودُهُ وَجُودُهُ مِنْ غِنَاهُ.

وَبَلَّغْنَا أَنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَجُودِي وَكِرْمِي وَارْتِفَاعِي فَوْقَ خَلْقِي، لِأَقْطَعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤْمَلٍ غَيْرِي بِالأَيَّاسِ وَلَأَكْسُوَنَّهُ ثُوبَ المِذْلَةِ عِنْدَ النَّاسِ

١. وَلَعَلَّ الصَّحِيحَ: سَخَوَاءٌ. كَمَا فِي بَعْضِ كُتُبِ اللُّغَةِ.

٢. الأَحْزَابُ: ١٩.

ولأنّخينته من قربي ولأبعدته من وصلي^١. أيؤمّل في الشدائد غيري؟ والشدائد بيدي وأنا أنجي، ويرجو غيري ويطوف بالفكر^٢ باب غيري؟ وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني. من الذي أمّلني لنوابه وقطعت رجاءه دوني؟ ومن الذي قرع بابي فلم أفتح له؟ ألم يعلم من طرقته نائبة من نوابي أنه لا يملك أحد كشفها إلا من بعد إذني؟ فمالي أراه بأماله معرضاً عني ومالي أراه لاهياً عني؟ أجود بفضلي على من تولّى عني، فكيف لا أجود على من تولّاني؟ أو ليست الدنيا والآخرة لي؟ أو ليست الرّحمة والفضل بيدي؟ أو ليس الجود والكرم كلّ مني؟ لو أعطيت جميع آمال أهل السماء والأرض ما انتقص من ملكي ذرّة، وكيف ينقص ملك أنا خازنه؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي، ويا سوأنا لمن عصاني ولم يراقبني ولم يسألني^٣.

وكان ذوالنون بن إبراهيم المصري^٤ يقول: عرف المطيعون عظمتك فخضعوا لك، وسمع المذنبون كرمك فطمعوا فيك، ورأى العارفون برك [فتوكّلوا] عليك. جودك بسط أملي، ولكرمك قلّ عملي، وثوابك أملي، فلك الحمد يا الهي.

وقال الله في القرآن دلالة على جوده ودعوة إلى كرمه: ﴿وأسألوا الله من فضله﴾^٥.

وذمّ البخلاء، فقال: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتُمون ما آتاهم الله من فضله﴾^٦. وقال: ﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تولّوا﴾ عن البذل والإنفاق ﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ أطوع منكم وأسخطى نفساً ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ في السخاء والبخل.

وقال الله يمدح أنصار المصطفى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق

١. في الكافي: من فضلي.

٢. في الكافي: يقرع بالفكر.

٣. الكافي ٦٦٢ مع تفاوت يسير.

٤. توفي سنة ٢٤٥ واسمه ثوبان، وقيل: الفيض.

٥. النساء: ٣٢.

٦. النساء: ٣٧.

شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون^١ .

قيل: من أَدَى الزَّكَاةَ و قرى الصَّيْفَ و أعطى في النَّابَةِ، فقد وقي شحَّ نفسه.

و دلَّ عباده على السَّخَاءِ بأحسن الدَّلالات، فقال: ﴿من ذا الَّذِي يقرض الله قرضاً حسناً﴾
يعني صادقاً محتسباً مخلصاً ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ و هي ما لا غاية له ﴿و الله يقبض
و يبسط﴾ يعني يوسِّع و يضيق ﴿و إليه ترجعون﴾^٢.

و في المأثور عن رسول الله ﷺ قال: السخاء جمال المؤمن^٣.

و من استقصى في هذا الباب لم يزد على سيّد الرّسل ﷺ في إبانته عن فضل السخاء
و الكرم و ذمّ البخل و اللؤم؛ يقول: السَّخِيّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ
الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، و البَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ
النَّارِ^٤.

و استغرق تحت هذا الكلام ما قاله الفيلسوف في مدح السخاء حين سئل عنه، فقال:
هو أفضل درجات القبول و أشرف المنازل في النَّفْسِ، و الدَّعَاءُ لَهُ مَبْذُولٌ فِي الْمَحَافِلِ،
و النَّفْسُ لَهُ و امقَّة، و الألسن بحسن الذّكر له عامرة.

و من قول سيّد الأنبياء صلوات الله عليه و آله: طعام السَّخِيحِ داء، و طعام السَّخِيّ
دواء^٥.

و السَّخَاءُ عَلَى وَجْهِهِ:

أفضلها سخاوة المؤمن بما وجب عليه من أداء فرائض الله و إقامة حدوده، و ضدّها
بخل الكافر بما يلزمه من الإيمان بالله و بما جاء من عنده.

١. الحشر: ٩.

٢. البقرة: ٢٤٥.

٣. في مستدرک الوسائل ٢٥٨/١٥ نقلاً عن لبّ اللباب للراوندي: السخاء كمال المؤمن.

٤. إحياء العلوم ٢٤٠٣.

٥. الجامع الصّغير ٨٨/٢ نقلاً عن الخطيب في كتاب البخلاء. إحياء العلوم ٢٣٩/٣ وفيه: طعام الجواد.

ثم سخاوة الإمام العادل بتنفيذ أحكام الله في القريب والبعيد بلا ميل ولا محاباة، وضدّها بخل الإمام الجائر بإقامة حدود الله وأخذ الرّشا والسّحت عليه، والحكم بغير ما أنزل الله طمعاً في الدّنيا وإثارة لها على العقبي.

ثمّ سخاوة العلماء بما علمهم الله من أحكام الدّين والشّريعة، وضدّها بخلهم بما عندهم من العلوم وبيعها بالعاجل فعلى اليهود فيما كتّموا من نعت المصطفى وصفاته. وقد قيل: من بخل بعلمه ابتلي باحدى ثلاث: إمّا أن ينسيه، وإمّا أن يتّبع سلطاناً جائراً، وإمّا أن يموت فلا ينتفع بعلمه.

ثمّ سخاوة الرّهّاد بما عندهم من الدّنيا ورفضها إلى أربابها، وضدّها بخل الرّاغبين بأدنى شيء من الدّنيا والحرص عليها مع طلابها.

ثمّ سخاوة الأوصياء الصّديقين بقوتهم وقوت عيالهم فعلى الوصي المرتضى والزّهاء وبنيهما سبطي المصطفى عليه السلام في إطعام المسكين واليتيم والأسير كلّ يوم صاعاً من الشعير، وضدّها بخل من ناصبهم بما منحهم الرّسول حتّى تأدّى ذلك إلى وحشة^١ البتول صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

ثمّ سخاوة الرّسل عليهم السلام بالأنفس الشريفة في بذل النصيحة للأولياء والأعداء و تبليغ الرّسالة إلى الفقراء والأغنياء، والإفضال على الأقرب والأبعد في الشّدّة والرّخاء.

و عن جابر قال: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً قطّ فقال لا^٢.

وضدّها بخل من تجبّر على الحقّ وتكبّر على الرّسل، ومال إلى الدنيا واختار المقام فيها، وأخلد إلى شهواتها واتبّع الأهواء المردية من الملوك والمتنبّئين بإعطاء حقّ الرّسل والانقياد لهم بعد الأدلّة الواضحة وتسليم الأمر إليهم بعد البراهين السّاطعة، قال الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إليّ ولم يسوح إليه

١. كذا. و الظاهر أنّه تصحيف كلمة أخرى.

٢. إحياء العلوم ٣٧٩/٢.

شيء» مثل مسيلمة لعنة الله ﴿و من قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾^١ يعني [عبدالله] بن سعد بن أبي سرح عليه غضب الله^٢.

ثم سخاوة الشهداء بما استحفظوا من الكتاب والأمانات من نُعوت المصطفى وأخباره، مثل ابن سلام وأصحابه، وضدّها بخل من كتم النُّعوت وحرّف الكلم وبدّل الأحكام أخذاً للعرض الأدنى وتمنياً للمغفرة بعد نبذ الكتاب ونقض العهود، قال الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾^٣. وقال: ﴿لا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم﴾^٤.

وقال عزّ ذكره: ﴿إنّ الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيّنناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلاّ الذين تابوا﴾ يعني من الكتمان ﴿وأصلحوا﴾ يعني وأوضحوا ما شبّهوا وأفسدوه بمزخرفات الأقاويل وتمويهات الأباطيل ﴿وبيّتوا﴾ يقول: وأظهروا المكتوم من نُعوت سيّد الأنبياء ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾ يقول: أتجاوز عنهم ما كتموا إذا ما ندموا على ما صنعوا ﴿وأنا التّواب الرّحيم﴾^٥.

وكمال السّخاء إيصال كلّ ذي حقّ إلى حقّه، فمن أتى بهذه الشّرائط فقد بلغ أعلى درجات الأسخياء، ومن ضيّع مفروضاً عليه أو أهمل حقّاً يلزمه أو خفر أمانة في عنقه أو كتم علماً عنده استحقّق سائله الجواب عنه، فقد رضي بخسّة البخلاء وخرج عن حكم الأولياء.

فهذه مراتب السّخاء والجود ومنازل البخل والشحّ عليه؛ بيّنّا ما يروى في هذا الباب عن الرسول ﷺ والأئمة سلام الله عليهم وعلماء الأئمة وما نطق [به] الكتاب.

١. الأنعام: ٩٣.

٢. راجع جوامع الجامع ٣٩٥/١.

٣. البقرة: ١٤٠.

٤. البقرة: ٢٨٣.

٥. البقرة: ١٥٩.

وسئل بعضهم عن الجود، قال: التبرع بالمعروف والإعطاء قبل المسألة.
 وذكر عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: إنَّ لله وجوهاً في خلقه خلقها لقضاء حوائج عباده، يرون الجود مجداً والإفضال مغنماً، والله يحب مكارم الأخلاق^١.
 وذكر عن العباس بن عبدالمطلب عليه السلام قال: أفضل المال ما أفاد ذخراً، وأورث ذكراً،
 وأوجب أجراً.

وفي الحديث: الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء^٢.
 وقيل: أفضل البر أربعة: الحلم في الغضب، والجود في القلة، والورع في الخلوة،
 واستقبال العدو في الهزيمة.

وأفضل أخلاق الأحرار: السخاء والحياء والصفاء والوفاء.
 والسخاء من أخلاق الخليل، واعتقاد^٣ الذبيح، وسيرة الصديق، وشريعة الكليم،
 ومذهب المسيح، وسنة الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين.
 والسخاء من الكرم، والكرم من العقل، والعقل دليل الإيمان، والإيمان في الجنة،
 والبخل من اللؤم، واللؤم من الجهل، والجهل ركن الكفر، والكفر في النار.
 والسخاء يكسب العبد جميل الذكر وجزيل الذخر ويبلغ أعلى الدرجات
 وأفضل الكرامات، وهو في زمرة المقربين في مقام الأمن مع أشرف المتقين
 والأوصياء الصديقين والأنبياء المرسلين من الأولين والآخرين.

١. الأمامي للطوسي ٣٠٨/١ مع تفاوت، فراجع البحار ٣٩١/٦٨ و ٢٨٦/٧١.

٢. الجملة الأولى منه في الإحياء ٢٤٠/٣.

٣. لعل الصحيح: اعتياد.

ذكر المروءة والفتوة

قال الحافظ:

اتفق علماء الدين على أن جماع المروءة وكمال الفتوة في قول الله تعالى عز ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ والعَدْلُ هو الإنصاف، والإحسان هو التفضل، وإيتاء ذِي الْقُرْبَىٰ إعطاء القريب في الدين أو النسب حقّه، فهذا غاية المروءة ﴿ويَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِعَظْمِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^١ والانتهاة عن الفواحش الظاهرة والباطنة، وهي ما قبح في أول العقل من المحظورات وما أنكره السمع وورد النهي عنه، وهو ما قبح في العقل استدلالاً، والبغى وهو طلب ما ليس لك من المنازل والمراتب والخروج على أئمة العدل، والاتعاظ بمواعظ الله فهذه غاية الفتوة. و المروءة اثنان: مروءة دين و مروءة دنيا.

أما الدنيوية؛ فتقوى الله في الظاهر والباطن والصبر في البلاء...

[وأما الدنيوية] فكف الأذى عن القريب والبعيد، وبذل الندى في العسر واليسر، وإنجاز الوعد للولي والعدو، وكتمان السر للبر والفاجر، وحسن المعاشرة في السفر والحضر، وطلاقة الوجه في الشرف والضعة، وطيب الكلام في الصحة والمرض، والدب عن الجار في القرب والبعد، ومراعاة الصديق في السر والجمهور.

وقيل: المروءة الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة.

وقيل: المروءة مروّتان: مروءة سفر، و مروءة حضر.
أما مروءة السفر؛ فبذل الزّاد وقلة الخلاف على الأصحاب، وكثرة المزاح في غير
سخط الرّب، و دوام الذّكر في كلّ مصعد و مهبط و قيام و قعود.
وأما مروءة الحضرة؛ فالإدمان إلى المسجد، و قراءة القرآن، و محادثة الإخوان،
و مجالسة العلماء، و النّظر في الفقه، و المحافظة على الصّلاة في الجماعة.
و سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الفتوة، فقال: الصفاء و السخاء و ترك الجفاء^١.
و كمال الفتوة صيانة العرض و موافقة الحقّ و مخالفة الباطل، و الوفاء بالعهد
و العفو عند القدرة، و الشّجاعة عند الحرب، و حفظ اللسان و غصّ البصر، و السّخاوة
في بذل المال، و صدق المعاملة مع الله، و صفاء الهمة و احتمال المكاره مع اعتقاد
المنّة، و صحبة الأبرار و مفارقة الفجّار، و مجالسة العلماء و منادمة الأدباء....
[و] قوام الفتوة بهذه الخصال الحميدة و هي سيرة وصيّ الكليم، قال الله تعالى: ﴿وإذ
قال موسى لفته لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾^٢. فكان أنيس الكليم في الحضرة و رفيقه في
السّفر، و حامل زاده و طالب مقصوده و الأمين على أمره. و هذه الأفعال من أركان
الفتوة، و هي من أخلاق سيّد الأوصياء و هو سيّد الفتيان بدلالة الصوت المسموع من
السّماء:

لا فتى إلاّ عليّ، لا سيف إلاّ ذو الفقار^٣

و قد جمع عليه السلام أفضل أخلاق الفتيان من نصر الحقّ و قمع الباطل و قري الضيف
و الصوم في الصّيف و الضّرب بين يدي المصطفىّ بالسّيف و إنجاز مواعده و قضاء

١. راجع البحار ج ٣١١/٧٣، باب في معنى الفتوة و المروءة.

٢. الكهف: ٦٠.

٣. تفسير فرات: ٢٤، كما في البحار، ١٠٤/٢٠.

و في أكثر المصادر: لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ. وانظر كتاب خير البرية و الألفاظ الإلهية.

ديونه والخلافة له في هجرته والمحافظة على حرمه والرعاية لأسبابه^١ في حرمه^٢ وحفظ راية الهدى في خيبره وإظهار دعوته وذكر براءته من أعدائه في أجل المشاهد وأعظم المواقف، فهو صاحب المروّة والمقدّم في الفتوة، شبّهه الرسول بأبي البشر علماً وفهماً، وبالرّسول المعمر شكراً واستقامة، وبالخليل جوداً وسخاءً، وبالكليم صلابة وشوقاً، وبهارون فصاحة وبلاغة، وبسليمان علماً وفهماً، وبالمسيح زهداً وعبادة^٣.

١. كذا في الأصل.

٢. ولعلها: في حرمه.

٣. راجع البحار ٣٥/٣٩ باب أنّ في عليّ عليه السلام خصال الأنبياء، وأيضاً راجع الجزء التاسع عشر من كتاب نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار فإنه يتعامه حول حديث التشبيه.

[في ذكر الإسلام]

[قال الحافظ:]

...^١ قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نَفَرَّقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا ۖ يَعْنِي أَعْرَضُوا عَنِ قَبُولِ الْإِسْلَامِ ۗ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^٣.

وقال تعالى يذكر منته على المؤمنين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنَبِّئُكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ۖ يَعْنِي مَنْ قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ وَهَذَا النَّبِيِّ ۗ وَفِي هَذَا ۗ ۙ يَعْنِي فِي هَذَا الْكِتَابِ الْمَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ.

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٥.

١. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٢. البقرة: ١٣٦.

٣. آل عمران: ٢٠.

٤. الحج: ٧٨.

٥. آل عمران: ١٩.

وقال تعالى: ﴿أَفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون﴾^١.

وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾^٣.

وقال عز من قائل دلالة لحبيبه: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾^٥.

والإسلام هو دين الله ودين ملائكته ودين النبيين والمرسلين، وإليه دعي الخلق أجمعين.

والإيمان والإسلام واحد؛ لأن الإيمان اسم لجميع الطاعات المفروضة على العباد.

وأول الإسلام الشهادة لله بالوحدانية، وهي أفضل الطاعات.

وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

قال الله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^٦.

وقال تعالى: ﴿إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾^٧.

وقال تعالى يصف الصالحات من النساء: ﴿مسلمات مؤمنات﴾^٨ يعني مقرات بالألسن،

مصداقات بالقلب.

١. آل عمران: ٨٣.

٢. آل عمران: ٨٥.

٣. آل عمران: ١٠٢.

٤. الأنعام: ١٦٢.

٥. الزمر: ١١.

٦. الذاريات: ٣٥.

٧. الزوم: ٥٣.

٨. التحريم: ٥.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: **مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**^١.
 فدخلت تحت هذه الكلمة جميع ما يلزم العبد من أداء مفروض واجتناب محظور؛
 لأن إقامة الأمور به مما يعني العبد، وارتكاب المنهي عنه مما لا يعنيه.
 وقال ﷺ: **المسلمون تنكأ فداؤهم، يعقد أولهم على آخرهم، يسعون بذمتهم**
أدناهم، وهم يد على من سواهم، ودعوتهم تحيط بما وراءهم^٢.
 وليس شيء أولى بالعبد من التمسك بدين الله والاعتصام بحبله، ولا يغتر
 بالأقوال المزخرفة من شبه الملحدين وتمويهات المضلين، فإن الزمان زمان سوء
 لا يزال يتحير العاقل في دولة الباطل ومحق الحق^٣.
 والحق منصور والباطل مقهور، والعاقبة للمتقوي، والآخرة خير من الأولى، ودين
 الله أحق وأولى، وما عند الله أقرب وأدنى.

١. رواه الحميري في قرب الإسناد: ٤٥. راجع البحار ٢٧٧/٦٨ و ٢٩٠.

٢. رواه العامة والخاصة بألفاظ متقاربة؛ ومنها ما رواه الصدوق في الخصال ٧٢/١ على ما في البحار ٢٤٢/٦٧
 وأيضاً راجع البحار ١٤٨/٢.

٣. في الأصل: و محن.

ذكر الإحسان

قال الحافظ رحمه الله:

الإحسان فعل محمود يحسنه العقل والشرع، وهو زارع المودّة و عامر المحبّة واصل^١ العداوة و ناشر الذّكر.

يدلّ عليه قول المصطفى ﷺ: جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها و بغض من أساء إليها^٢.

و ذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما أحسنت إلى أحد و لا أسأت إليه؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^٣.

و أفضل إحسان العبد توحيد الله عزّ و جلّ و اجتناب الشّرك، و نشر آلائه و نعمائه، و ذكر أياديه و إحسانه، و إثبات فضله و عدله، و موالاة أوليائه و معاداة أعدائه، و إظهار حججه و إيضاح دلائله، و تصديق رسله و كتبه.

ثمّ معرفة حقوق المصطفى ﷺ و اتّباع سننه، و التأديب بأدبه، و إظهار فضائله و إثبات محاسنه، و تقديم عترته و تفضيل أولاده، و حبّ أصحابه و الشّفقة على أمته،

١. كذا في الأصل. ولعلّ الصحيح: وقاطع.

٢. رواه السيوطي في الجامع الصغير ٢٤٦١ نقلاً عن حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني، ومثله في الكافي

١٥٢/٨ و من لا يحضره الفقيه ٣٨١/٤ و تحف العقول ٣٧ و تاريخ بغداد ٣٢/٥.

٣. الإسراء: ٧، و الزّواية رواها الرّمخشري في الكشّاف ٦٥٠/٣ و الطبرسي في جوامع الجامع ٣٦١/٢، و ابن

أبي الحديد في شرح النهج ٢٣٦/٦ و عزاه إلى وكيع!

واعتقاد فضله على الرّسل الأكرمين والأملاك المقرّبين، والصلاة عليه سرّاً وجهرّاً. ثمّ بيعة ولاة الأمر والدلالة على أحوالهم وتحقيق إمامتهم، والبراءة من أعدائهم وتحبيبهم إلى الأمة، فقد قال الصادق عليه السلام: «حببونا إلى أمة جدنا ﷺ لعن الله من بغضنا إلى أمة جدنا»^١.

ثمّ برّ الوالدين وتوقيرهما على ضعفهما وكبر سنّهما، والتحرّي لمسرتّهما وطلب مرضاتّهما، والتدكّل بين يديهما، فإنّ الله سبحانه قرن الإحسان إليهما بعبادته وترك الإشراف به، قال الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾^٢ وقال: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾^٣.

ثمّ رياضة النّفس وتأديبها بالأخلاق الجميلة، وصونها عمّا يشينها، وحملها على ما يزينها، واتباع ما ينجيها واجتناب ما يؤذيها، وقهرها عند الشّهوات، وإتباعها في العبادات، ومنعها عن الشّبّهات.

ثمّ معرفة حقوق الإخوان من المؤمنين ببذل النّفوس والأموال لهم، وكفّ الأذى عنهم، وتفقد أحوالهم وإرادة الخير بهم، والنصيحة لهم قولاً وفعلاً، والاستغفار لذنوبهم ليلاً ونهاراً، وذكرهم بالجميل غيباً وشهادةً، وإقالة عثرتهم سهواً ونسياناً. ومن أحسن إلى أحد فبنفسه بنى^٤ لأنّ إحسان المحسن إلى غيره زاده إلى الجنّة، ومن أساء إلى أحد فعلى نفسه جنى، لأنّ إساءة المسيء إلى نفسه وغيره زاده إلى النار، إلّا أن يتوب ويعتذر.

وليس شيء أولى بالعبد من الإحسان؛ لأنّه سبب النّشر والذّكر والأجر والذّخر،

١. روى الصدوق عليه السلام في كتاب صفات الشيعة ص ١٧٧ عن الصادق عليه السلام: «حببونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم».

وانظر البحار ١٦٣/٧١ و٣٤٨٧٥ و٣٤٧/٥٢ و٤٢١/٧٢.

٢. النّساء: ٣٦.

٣. لقمان: ١٤.

٤. بنى الرجل: أحسن إليه.

والله يحبّه لأنّ أوّل الإحسان منه، وهو المحسن على الإطلاق، وبالإحسان أمر و عليه دلّ وإليه دعا. قال: ﴿وأحسنوا إنّ الله يحبّ المحسنين﴾^١.

ومدح المحسنين في كتابه، فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ يعني من أخلص عمله لله وهو موحد ﴿فله أجره عند ربّه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾^٢.

وقال: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ يعني لا تغشاهم كآبة^٤ ولا كسوف ﴿أو لئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

[وقال تعالى:] ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنّني من المسلمين﴾^٥.

وقال عزّ وجلّ: ﴿والله ما في السموات وما في الأرض ليجزي الذين أسأوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^٦.

ثمّ أجمل اللفظ، فقال: ﴿هل جزاء الإحسان إلاّ الإحسان﴾^٧. قيل في معناه: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلاّ الجنته؟

ومن أسماء الله الحسنى: المحسن والقادر والكريم. ومن صفات العبد: الحبّ والحياء والخوف والرّجاء. فإذا علمت أنّه محسن استحبيت، وإذا علمت أنّه قريب استحبيت، وإذا علمت أنّه قادر خفت، وإذا علمت أنّه كريم رجوت.

وقيل: النَّظَرُ إِلَى الْعِبَادَةِ يورث الامتنان، والنَّظَرُ إِلَى التَّوْفِيقِ يورث زيادة الإحسان

لله.

١. البقرة: ١٩٥.

٢. البقرة: ١١٢.

٣. النساء: ١٢٥.

٤. في الأصل: الكتابة، والآية في سورة يونس: ٢٦.

٥. فصلت: ٣٣.

٦. النجم: ٣١.

٧. الرّحمان: ٦٠.

ومعنى الإحسان: الإخلاص له بالعبودية، وتصفية الضمائر، وتصحيح الإرادات. فقد سأل الأمين جبرائيل رسول الله صلى الله عليهما عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك^١.

دلّ على مقام الهيبة وذكر الجلال والعظمة ليحصل العمل على اليقين والصّفورة. ومن علامات المحسن كَفَ الأذى و بذل الندى و حفظ الوفاء. و عاقبة المحسن حسن الثناء و كثرة الدّعاء، و عاقبة المسيء الجفاء و كثرة البلاء. و المحسن يجزى بإحسانه، و المسيء سيكفيه مساويه. و من أحسن فله الحسنى، و من أساء فله السّوأى. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٢.

وقيل: من عمّ إحسانه أمن أعداءه، و من حسنت لله خدمته تواترت من الله نصرته. فالعاقل من اغتنم أيامه، و أحسن إلى نفسه و إلى إخوانه، و تزوّد من يومه لغده، و لم يركن إلى حسن حاله و لم يطمئنّ به.

و ذكر عن الصادق عليه السلام قال: كَفّارة عمل السّلطان الإحسان إلى الإخوان^٣. و الجاهل من اغترّ بأيامه و نسي حظّ نفسه، و تاه في غفلته و أعجب برأيه، فضلّ سعيه و هو يحسب أنّه يحسن صنْعاً حتّى إذا انقضت أيّامه و انقطعت أحواله لا يذكر بخير و لا ينسب إلى برّ، تعب في حياته و شقي عند وفاته و نسي في لحدّه، لم تبك عليه عين و لم يرقّ له قلب.

قال الله تعالى فيمن ساءت سيرته و عظمت بليّته، و استخدم عباد الله و خرّب بلاده،

١. في مجمع البيان: ١١٦٣: روى عن النبي ﷺ أنّه سئل عن الإحسان، فقال: أن تعبد، الخ. وانظر مسند أحمد ٢٧/١ و صحيح البخاري ١٨/١ و زبدة البيان للأردبيلي ٣٢٢.

٢. الزّوم: ١٠.

٣. رواه الحراني في تحف العقول: ٤١٠. وانظر البحار ٣٢١/٧٥ و ٢٠٦ و ٢٤٧/١٠ و في من لا يحضره الفقيه ١٧٦٣: كَفّارة عمل السّلطان قضاء حوائج الإخوان. و في مشكاة الأنوار للطبرسي ١٨٣ نقلاً عن الإمام العسكري عليه السلام و في عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي ٣١٤/١ مثله عن الصادق عليه السلام.

و ذاق وبال أمره و ندم على كسب يده: ﴿كم تركوا من جنات و عيون و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و أورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء و الأرض و ما كانوا منظرين﴾^١.
جعلنا الله و إياكم من المحسنين، و وقَّنا لما فيه النجاة يوم الدين.

ذكر الإقرار

قال الحافظ رحمته الله:

الإقرار إثبات حق على نفسك، وصدّه الجحود والإنكار لما لزمك إثباته، فمن أقرّ بما وجب الإقرار به استحقّ الكرامة والزلّفة من الله تعالى. ألا ترى أن آدم صلّى الله عليه لما زلّ بأكل الشجرة أقرّ واعترف بالذنب، فاجتبه الله واصطفاه وهداه، وإبليس لما عصى [و] أصرّ وجحد، طرده الله وأذّله وأخزاه.

وقد قيل: ذنب وجحود^١ إيمان عظيمان، وقد مدح الله المعترفين بزلاتهم، فقال: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ الآية^٢.

ومن أقرّ بما عليه قيل خروجه من دار المحنة وسقوط التّكليف عنه، نفعه إقراره كقوم يونس عليه السلام لما عاينوا العذاب أقرّوا وأخلصوا، فكشف العذاب عنهم ومّتعوا إلى حين. قال الله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت﴾ يعني فلم تكن قرية آمنت عند نزول العذاب ﴿فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ومّتعناهم إلى حين﴾^٣ وإنما نفعهم ذلك لأنّه لم يكن ذلك عذاب إهلاك، وإنما كان ذلك تنبيهاً لهم.

ومن أقرّ بعد معاينة الحقّ وزوال الشبهة ولزوم الحجّة، لا ينفعه إقراره. قال الله عزّ اسمه: ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ قيل: هو ملك الموت عليه السلام حين ينزل لقبض أرواحهم ﴿قالوا آمنا بالله

١. كذا، ولعلّ الصحيح: الذنب والجحود.

٢. التوبة: ١٠٢.

٣. يونس: ٩٨.

وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا^١ كفرون لما أدركه العرق قال: ﴿أمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾^٢ فكان إيمانه هناك إقراراً لم يقرنه عقد ولم يحصل عمل، وقال جبرائيل ﷺ زاجراً له: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ يعني وقد جحدت قبل هذا الوقت ﴿وكنت من المفسدين﴾^٣ يعني من المصرين على جحودك.

والإقرار على أربعة أوجه:

منها ما ينفع في الدنيا ولا ينفع في الآخرة، كإقرار المنافقين ينفعهم ذلك بإسقاط الجزية ورفع السيف عنهم، وإدخالهم في أحكام الإسلام، وغير ذلك مما انتفعوا به. ومنها ما ينفع في الدنيا والآخرة، وهو إقرار الموحددين المخلصين الذين ولدوا في الإسلام، لهم الشرف والرّفعة في دار الفناء، والنّجاة والمثوبة في دار البقاء. ومنها ما ينفع في الآخرة ولا ينفع في الدنيا، وهو إقرار من قرب أجله وحان حينه، فأقرّ مخلصاً نادماً قبل معاينة الحقّ وسقوط التكليف وزوال الأمر. في الحديث: من تاب قبل أن يغرر^٤ تاب الله عليه^٥.

وروى معاذ عن رسول الله ﷺ قال: من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، وجبت له الجنة^٦. وفيما يؤثر عنه ﷺ قال: لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها عند موته وجبت له الجنة. قيل: يا رسول الله، فمن قالها في حياته؟ قال: تلك أوجب وأوجب^٧.

١. غافر: ٨٤.

٢. يونس: ٩٠.

٣. يونس: ٩١.

٤. الغرغرة: تردد الروح في الحلق وقت النزاع.

٥. الجامع الصغير ٢٨٨٧٢ نقلاً عن مستدرک الحاكم. وفيه: قبل الله منه. وانظر مستدرک الوسائل ١٢/١٤٥.

٦. الدعوات للراوندي ٢٥٠، تذكرة الفقهاء ١/٣٣٨ الجامع الصغير ٣١٣٢ نقلاً عن مسند أحمد و سنن أبي

داود و مستدرک الحاكم.

٧. مثله في الوسائل ٢/٤٥٤ نقلاً عن ثواب الأعمال. وانظر مجمع الزوائد ٢/٣٢٣.

وإنما أراد ﷺ بقوله: «عند موته» يعني بقرب موته، ولم يقل مع موته.
وقوله: «لَقَنُوا مَوْتَاكُمْ» فالعقول دالّة [على] أَنَّ الميْت لا يَلْقَن، وهو كلام التَّقريب
كقول القائل للمقاصد إلى بيت الحرام: فلان حاج، ولم يحصل حجّه بعد، وكقولهم لمن
خيف عليه بأمر فادح: فلان هالك، أي سيهلك.

ومنه ما لا ينفع في الدّنيا ولا في الآخرة، وهو إقرار من عاين الحقّ وفارق المحنة.
قال الله تعالى: ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار﴾^١ وقال: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾^٢ لأنّ
الإقرار إقرار الغيب وبه النجاة، واليقين يقين الغيب وبه الولاية.

وقد قيل: الاعتراف يهدم الاقتراف، والتوبة تغسل الحوبة. قال الله تعالى ذكره: ﴿إليه
يصعد الكلم الطيب﴾ يعني الإقرار الصادق بالله وبما جاء من عنده ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾^٣
يعني الإخلاص في الباطن.

فعلى العبد أن يقرّ بما [يجب] عليه إقراره قبل يوم النّدم وزوال النّعم وحلول النّقم،
فإنّ الخطر عظيم، والأمر قريب، والمنقلب إلى ملك دائم أو هلك دائم، والله خير
مسؤول وأفضل مأمول.

١. النساء: ١٨.

٢. السّجدة: ٢٩.

٣. فاطر: ١٠.

[في ذكر الشهادة]

قال الحافظ:

معنى الشهادة و حقيقتها تصديق المدعي فيما ادعاه. قال الله عز من قائل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾^١ يعني صدق أنبياءه و أوليائه فيما ادعوا من وحدانيته بما أبدع من عجائب قدرته و دلائل وحدته، و هي الشهادة الكبرى.

و الشهادة على وجوه:

منها شهادة العبد لله بالوحدانية، و للرسول بالرسالة، و للملائكة بالعبودية و الطهارة، و لمحمد ﷺ بالشرف و الفضيلة و الختم و الوسيلة، و لخلفائه بالتقديم و الإمامة، و لصاحب كل حق بحقه، شهادة واجبة في عنق العبد، إن كتمها بجحود أو زيادة معنى فيها أو نقصان شرط منها، فهو آثم مستحق للعقوبة. قال الله عز ذكره: ﴿ولا تكتموا الشهادة و من يكتمها فإنه آثم قلبه﴾^٢. و معنى الكتمان ما ذكرنا.

و من شهد بما لا يعلم، استوجب اللعنة و العقوبة من الله تعالى. قال الله تعالى فيما أوحى إلى موسى ﷺ: لا تشهد بما لا يعيه قلبك و لم يحط به علمك، فإنني أوقف أهل الشهادة يوم القيامة على شهاداتهم، فيغشيهم العذاب من فوقهم و من تحت أرجلهم حتى يأتوا بتصديق ما قالوا^٣.

١. آل عمران: ١٨.

٢. البقرة: ٢٨٣.

٣. راجع البحار ٣٦٣/١٣ ذيل الصفحة.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ قال: شاهد الزور لا يرفع قدمه عن موضعه حتى يلعنه الرب عز وجل فوق سبع سماوات^١.

وقال ﷺ: من كتم علماً سئل عنه، ألجم بلجام من النار^٢.

ومعنى العلم هاهنا الشهادة؛ لأن العقول حظرت بعض العلوم على أكثر الناس لقصورهم دونها واتفتت الأمة عليه ونطق القرآن به، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم^٣.

وقال عيسى بن مريم عليه السلام: لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلمها، ولا تمنعها عن أهلها فتظلمهم^٤.

وأجل الشهادة شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية، وهي الأدلة الواضحة التي دل عباده بها عليه ولأنبيائه ورسله بالصدق والرسالة، وهي ما أيدهم بها من المعجزات والآيات. قال الله عز ذكره: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم^٥﴾.

وقال: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم^٦﴾.

وأفضل شهادات العباد شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ لأنها كلمة التقوى والنعمة العظمى، وبها المنة الكبرى والنجاة من البلاء والفوز بدار البقاء، وهي الشجرة الطيبة، أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتى أكلها كل حين.

فطوبى لمن شهد بالحق ونطق بالصدق. قال الله تعالى: ﴿ولا يملك الذين يدعون من

١. راجع الوسائل ج ٣٢٤/٢٧ باب تحريم شهادة الزور.

٢. رواه السيوطي في الجامع الصغير ٣١٤/٢ مع تفاوت يسير.

٣. الكافي ٢٣/١ وفيه إنا معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم، الخ.

٤. راجع البحار ٦٦٢ و ٧٨.

٥. الأنعام: ١٩.

٦. الزعد: ٤٣.

دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون^١.

وويل لمن كتم شهادته و خان أمانته. قال الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾^٢.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ: من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة.

ولا بد لهذه الشهادة من شرائط...^٣

أربعة: تصديق وتعظيم وحرمة وحلاوة، فليس للمنافق تصديق، ولا للمبتدع تعظيم، ولا للفاسق حرمة، ولا للمرائي حلاوة.

فعليك أن تتمسك بها وتسال الله الثبات عليها، فإنها ثمن الجنة ومفتاحها، ونور القيامة ومصباحها، وهي دعوة المرسلين وولاية المؤمنين ودلالة رب العالمين.

١. الزّخرف: ٨٦.

٢. البقرة: ١٤٠.

٣. هنا يحتمل السقط في الأصل بمقدار الصفحتين أو أكثر.

ذكر التصديق

قال الحافظ رحمته:

التصديق على ثلاثة أوجه:

أحدها: تصديق اللسان، وهو قول القائل لمن خاطبه: صدقت.

والثاني: تصديق القلب، وهو القبول مع الاعتقاد عليه.

والثالث: تصديق العمل، وهو التوفير والإتمام.

وقيل: الناس شرع في التصديق، متفاوت في التحقيق.

وأصل الإيمان التصديق، قال الله تعالى يحكي قول إخوة يوسف حيث خاطبوا

أباهم: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾^١ يعنون: وما أنت بمصدق لنا.

وقال: ﴿فأمن له لوط﴾^٢ يعني فصدق.

وقال: ﴿ولم تؤمن قلوبهم﴾^٣ يعني ولم تصدق. ونظيرها في القرآن كثير. فمن صدق

الله ورسوله فقد آمن حقيقة الإيمان.

و ضد التصديق التكذيب، والتكذيب إنكار اللسان و جحد القلب و تقصير العمل،

يدل عليه قولهم:

وليث بَعَثَرٌ يَصْطَادُ اللَّيْثَ إِذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا^٤

١. يوسف: ١٧.

٢. العنكبوت: ٢٦.

٣. المائدة: ٤١.

٤. لسان العرب ٥٤/١٢ وفيه: يصطاد الليث إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقاً.

و مدح الله تعالى قوماً بالتصديق، وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءَ الْمُحْسِنِينَ﴾^١.

وروى أبو ذر عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي، وَأَوَّلَ مَنْ يَصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْأَكْبَرُ، وَهُوَ الْفَارُوقُ الَّذِي يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُوَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الظُّلْمَةَ^٢.

وقال الله عز من قائل ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ يعني أجله، ويقال: وفي بنذره ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ ليقضي ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^٣.

وذم أقواماً بالتكذيب، قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ يعني التَّوْحِيدِ، وقيل: المراد بالصَّدَقِ هو المصطفى ﷺ إِذْ جَاءَهُ ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾^٤.

فكما أَنَّ التَّصَدِيقَ أَصْلُ الْإِيمَانِ، فَالتَّكْذِيبُ أَصْلُ الْكُفْرِ.

وكذب نفسك عند مواعيدها الكاذبة وأمانيتها الباطلة، وصدق ربك فيما وعد وأعد في وعده الصادق ووعده الحق.

فبالتصديق يستقيم العبد على الطاعة ويستوجب الجنة، وبالتكذيب يقع في المعصية ويزل عن الدين ويستوجب النار ويخلد في الجحيم. فنسأل الله الثبات على التصديق والاستقامة عليه، ونعوذ بالله من التكذيب والميل إليه.

١. الزمر: ٣٢.

٢. انظر غايه المرام: ٥٠٢ وفي بعض الأخبار: والمال يعسوب المنافقين.

٣. الأحزاب: ٢٣.

٤. الزمر: ٣٦.

ذكر الصدق

قال الحافظ رحمته الله:

ليس شيء أجل من الصدق وأعلى رتبة من الصادق، وهو أنفع الأشياء في العاقبة، وأصله وصف ما يجوز وصفه في تلك اللغة، وعند بعضهم إخبار الشيء على ما هو به مع الاعتقاد^١.

وضده الكذب، ومعناه وصف ما لا يجوز وصفه في لغته تلك. والصدق على سبعة أوجه:

أوله: صدق التوحيد، وهو لعامة العارفين.

والثاني: صدق الطاعة، وهو للمستقيمين المخلصين.

والثالث: صدق المعرفة، وهو للواصلين المحققين.

والرابع: صدق الإرادة، وهو للزاهدين المتوكلين.

والخامس: صدق الدعوى، وهو لجميع من ادعى فأقام البيّنة، وقال فصّح المقالة.

والسادس: صدق الوعد، وهو لمن وعد فأنجز، قال الله تعالى يمدح الذبيح رحمته الله:

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبياً﴾^٢ فبدأ من فضائله بذكر صدقه لأنه أعلى المنازل وأجل المراتب، والصادق لا يأمن^٣ على صدقه ولو مشى في الهواء أو على الماء.

١. ولعلّ صحيحها: الإخبار عن الشيء على ما هو عليه مع الاعتقاد به.

٢. مريم: ٥٤.

٣. كذا. ولعلّ الصحيح: والصادق ليأمن.

و السَّابِع: صدق الصَّدِيقِينَ و مقاعدهم عند الملك المقتدر و صحبتهم مع النَّبِيِّينَ، و هذا كمال درجات الصَّدَق أن يتنفي في الله^١.

و قيل: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه. فأجابه آخر: بل ليس بصادق في حبه من لم يتلذذ بضربه.

و قيل: ليس بصادق في زهده من لم يؤثر التفكر على كلام الخلق، و الخلو على لقاء الخلق، و العبادة على خدمة الخلق.

و روى الحسن بن علي^{عليه السلام} عن رسول الله^{صلى الله عليه وآله} قال: الصدق طمأنينة، و الكذب ريبة^٢.

و فيما يؤثر عنه^{عليه السلام} قال: عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، و البر يهدي إلى الجنة. و إياكم و الكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، و الفجور يهدي إلى النار^٣.

و العرب تسمي البر صدقاً و البار صدوقاً، و الكذب فجوراً و الكذاب فاجراً.

و الصدق ربيع القلوب و شعاع الضمير، و زين الأبرار و شرف الأحرار.

و قيل: الصدق قوة و الكذب عجز، و الصدق زين و الكذب شين.

و قيل: من صدق لسانه و صفا عمله و عقل بقلبه عن الله تعالى، فهو عاقل مخلص صادق.

و لن يبلغ العبد منازل الصَّدِيقِينَ حَتَّى يرى الدُّنْيَا بعين الفناء، و الآخِرَةَ بعين البقاء، و يؤثر طاعة المولى على صحبة الخلق، و لزم الخلو و استأنس بالذِّكْر، و رفض العلائق^٤ بينه و بين خالقه، و سكن بقلبه معه، و أقام على بساط الصفاء، و تضرع إلى الله و افتقر إليه و توكل عليه و أيقن بوعدده، و لا يبالي بالدنيا في يد من كانت، فهناك يبلغ

١. كذا.

٢. جامع الأصول ٤٤٤/٦ نقلاً عن سنن الترمذي.

٣. جامع الأصول ٤٤٢/٦ نقلاً عن صحيح البخاري.

٤. كذا. ولعل الصحيح: و رفض العلائق التي حالت بينه.

مراتب الصدق و يدعى صديقاً في القيامة.

وأصدق الصادقين الله رب العالمين، ثم الرسل السادة الأكرمون، ثم الأوصياء الشهداء المعصومون، ثم الأمثل فالأمثل من المتقين. قال الله تعالى: ﴿ومن أصدق من الله قيلاً﴾^١. وقال عز وجل: ﴿ومن أصدق من الله حديثاً﴾^٢.

ويقول الله تعالى يصف القيامة إذا اعتذر المسيح ﷺ من جرم قومه واستسلم بحكم خالقه: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾^٣.

فليزِم العبد الصدق فإن عاقبته الجنة، وليجتنب الكذب فإن عاقبته النار.

١. النساء: ١٢٢.

٢. النساء: ٨٧.

٣. المائدة: ١١٩.

ذكر الدّين ومعناه

قال الحافظ رحمته الله:

معنى الدّين ما يخضع به العبد للمقصود المعبود اعتقاداً و تذللاً. يدلّ عليه قول الدّاعي: يا من دانت له السّماوات والأرض. يعني خضعت.

ومن ثناء الصّادقين عليهم السلام: سبحان من دانت لعظمته رقاب العظماء.

والدّين اسم لمعان شتى:

منها الطّاعة، قال الله تعالى: ﴿وله الدّين واصباً﴾^١ يعني الطّاعة الدّائمة.

ومنه قول الشاعر:

وأيام لنا غرّ طِوال عَصينا المَلِكَ فيها ان ندينا^٢

يعني ان نطيع.

ومنها العادة، يقال: العرب هذا دينه ودأبه، يعني عاداته وسيرته.

ومنه قول الشّاعر يصف ناقه له:

تقول إذا درأت لها وضيّني أهذا دينه أبداً وديني^٣

يعني عاداته.

ومنها القضاء، قال الله عزّ وجلّ في قصّة يوسف وأخيه: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين

١. النحل: ٥٢.

٢. لسان العرب: ٤/٦٠٤. والقائل: عمرو بن كلثوم التغلبي، انظر التبيان للطوسي ٣٦١.

٣. لسان العرب: ٤/٤٦٠.

الملك﴾^١ يعني في قضائه و حكمه.

ومنها الحساب، قال الله تعالى: ﴿ذلك الدّين القمّ﴾^٢ يعني الحساب المستقيم.

ومنها الجزاء، قال الله تعالى: ﴿ملك يوم الدّين﴾^٣.

قال صاحب التّفسير^٤: يوم يدان النّاس بأعمالهم.

وقول الواعظين: كما تدين تدان، أي كما تعمل تجزى.

ومنه قول الشّاعر:

كما يدين الفتى يوماً يدان به من يزرع الثّوم لا يقلعه ريحاناً^٥

ومنها العيد، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وذّر الذين اتّخذوا دينهم لعباً ولهوا﴾^٦ يعني عيدهم.

وسمّى العيد ديناً لأنّ في عيد كلّ قوم ظهور دينهم، ولأنّهم يدينون بحفظ تلك الأيام.

وإنّ الله ذكر الأديان في القرآن، فقال: ﴿إنّ الذين آمنوا﴾ وهم من اتّبع الملة الحنيفيّة

وتمسّك بالإسلام ﴿والذين هادوا﴾ وهم من مال عن طريق موسى بن عمران عليه السلام بعد

وفاته واختاروا اليهوديّة الجابرة ﴿والصّابئين﴾ وهم عبدة النجوم، وقيل: هم قوم

اختاروا من كلّ دين شيئاً ﴿والنصارى﴾ وهم من تنصّر بعد عيسى عليه السلام وترك دينه واختار

النصرانيّة الصّالة ﴿والمجوس﴾ وهم عبدة النيران ﴿والذين أشركوا﴾ وهم الثنويّة [و] عبدة

الأصنام. ثمّ قال: ﴿إنّ الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾ يعني يميّز بالحكم والجزاء.

وهذه الأديان كلّها باطلة إلّا الإسلام، فإنّه دين الله الذي أمر به عباده ودعا إليه خلقه،

ودلّ عليه أولياءه وبعث به رسله وأنبياؤه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿شرع لكم من الدّين ما وصى

١. يوسف: ٧٦.

٢. الثّوبة: ٣٦.

٣. الفاتحة: ٤.

٤. لم يعلم مراده من صاحب التّفسير، وانظر: جامع البيان للطّبري ٢٤٣/٢٦ والقائل: قتادة.

٥. انظر البيت في كتاب التوحيد للصدوق ٢١٦.

٦. الأنعام: ٧٠.

به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه^١.
 وقال عزّ من قائل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ يعني ليوحدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ يعني
 مفردين معتقدين له الدين ﴿حنفاء﴾ يعني خلصاء، وقيل: مانئين عن الأديان كلّها إلا
 الدين الصّحيح ﴿ويقيموا الصّلاة﴾ يعني يديمون أداءها ويصحّحون اعتقادها ﴿ويؤتوا
 الزّكاة﴾ يعني يقرّون بها [و] يؤدّونها إلى أربابها، ثمّ قال: ﴿وذلك﴾ أشار إلى الدين ﴿دين
 القيمة﴾^٢ يعني دين الملائكة المقرّبين والرّسل الأكرمين القائمين بالدين.
 وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿أقم وجهك للدين حنيفاً﴾^٣ يعني مانئاً عن سائر الأديان
 الباطلة.

وقال عزّ وجلّ: ﴿أقم وجهك للدين القيم﴾ يعني الثابت الواصب الدائم اللازم ﴿من قبل
 أن يأتي يوم لا مردّ له﴾^٤.

وقال عزّ من قائل: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله﴾ يعني فمن أصوب ديناً [ممن]
 صحّ عقيدته وأصفى نيّته وأخلص عمله لله عزّ وجلّ ﴿وهو محسن﴾ يعني مصدّق
 بالقلب ﴿واتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾^٥ يعني مستقيماً على الملة المرضيّة.

وقال الله عزّ وجلّ ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^٦
 بعدم الثواب وحلول العقاب.

واعلم أنّ صاحب الدين يحتاج إلى شرائط كثيرة حتّى يكون متديناً مرضياً في
 دينه:

منها الإقرار بوحديّة الله تعالى مع التصديق، وإثبات ربوبيّته مع التّعظيم، وأداء

١. الشّورى: ١٣.

٢. البينة: ٥.

٣. الزّوم: ٣٠.

٤. الروم: ٤٣.

٥. النّساء: ١٢٥.

٦. آل عمران: ٨٥.

وأمره مع الإخلاص، واجتناب نواهيهِ مع الحرمة، والورع في السرِّ والعلائية، والذكر في السرِّاء والضَّرَّاء، والنَّصيحة للأولياء والأعداء، والشَّفقة على الأقرباء والأبعداء، والمساعدة والمواساة في الشَّدَّة والرِّخاء.

وأصل الدِّين التَّوحيد، وهو معرفة الواحد القديم، نافياً عنه ما لا يليق به في الصِّفات والأفعال، منزهاً له عن الأشباه والأمثال.

ومن كمال الدِّين حسن القبول، واتباع الرِّسول، والتمسك بالأصول.

وأصول الدِّين ثمانية: التَّوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والأسماء والأحكام، وإثبات النُّبوة والرِّسالة، والقول بالإمامة مع تفضيل الصَّحابة من أهل الهجرة والنُّصرة، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والتَّوَلَّى لأولياء الله والتَّبَرَّى من أعدائه. فمن تمسك بهذه الأصول واستقام عليها فقد بلغ من الدِّين أعلا سنامه وفاز بالحظِّ الوافر.

وفيما يؤثر عن السَّلف: لن يكمل عبد حتَّى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتَّى يؤثر شهوته على دينه.

وخطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: ألا إنَّ الدِّين النَّصيحة لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين عامَّة^١.

وأصل الدِّين التَّوحيد، وثباته السُّنَّة، وميدانه الطَّاعة، ودليله العلم، وقرينه الحلم، وأميره الحق، ووزيره الصِّدق، وحارسه الصِّبر، وسيرته الوفاء، وسريرته الصِّفاء، ولباسه التقوى، وزينته الورع، وسريره الزَّهد، وتاجه التَّوَكُّل، وداؤه التَّفويض، وسراجهُ المعرفة، وشمعه اليقين، وبيته الحكمة، وداره الخلوة، وبستانه الفكرة، وريحانه العبرة، وطعامه الذِّكر، وشرابه الشُّكر، ومائدته الرِّضا بالقضاء، وثوابه الفردوس الأعلى، وأنصاره الأبرار، وأعداؤه الفجَّار، وحافظه الجبَّار.

١. جامع الأصول: ٥٥٧/١١ نقلًا عن صحيح مسلم وغيره.

فطوبى لمن هداه الله الدّين الحنيفي وويل لمن حرم ذلك، وليس كلّ من طلب
وجد، ولا كلّ من وجد سلم؛ لأنّ الدّنيا تدعو إلى الفتنة، والشّيطان يدعو إلى الخطيئة،
وأمواج البلاء تضرب^١ لتغرق العبد المتمسك بالدّين، فإن عصمه الله كان من الفائزين،
وإن خذله كان من الهالكين، و صلواته على نبيّه محمّد وآله الطّاهرين.

ذكر الملة

قال الحافظ رحمته الله:

الملة اسم لجميع الأديان الحقّ والباطل؛ يدلّك عليه قول العبد الأمين شعيب رضي الله عنه حيث قال: ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم﴾^١.
وقول الفتية الهادية أصحاب الكهف: ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم﴾^٢.

وقد أمر الله تعالى باتّباع ملة إبراهيم عليه السلام، فقال عزّ من قائل: ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾^٣.

وليست الملة اختصّ بها الخليل دون سائر الرّسل عليهم السلام؛ يدلّ عليه قول الصّدّيق يوسف المسجون عليه السلام حيث قال: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾ يعني برئت منها لأنّه لم يتلبّس بكفر قطّ حتّى تركها ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾. ثمّ قال: ﴿واتّبع ملة أبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب﴾^٤ فأضاف الملة إليهم جميعاً.

ومعنى الملة هي الآثار المتّبعة من المقتدى به. ومعنى ملة إبراهيم آثاره وسننه، وهي الكلمات التي أمره الله تعالى بها فأتمّها في الاستدلال على الصّانع القديم حيث

١. الأعراف: ٨٩.

٢. الكهف: ٢٠.

٣. آل عمران: ٩٥.

٤. يوسف: ٣٧.

أبصر الشَّمس ورأى القمر ونظر إلى الكواكب، وما ابتلي به من محاجَّات قومه ومناظرة اللعين نمرود، وذبح الولد الرضيَّ إسماعيل، والدعوة إلى الله تعالى وتسليم النَّفس إليه حيث ألقى في النار، والتوجُّه إليه بالإخلاص، وسائر ما أصابه من المحن، فوفَّى الله تعالى فيها قولاً وعقداً وفعلاً. فهذه الأشياء وسائرهما من شرائعه وآثاره التي أمر الله تعالى باتِّباعها.

والحكمة في تخصيص الدعوة إليه أنَّ العرب كانوا منتسبين إليه مفتخرين به دون سائر الرِّسل، والبيت من بنائه والزَّمزم من آثار ولده، وهو الَّذي دعا للحرم بالأمن وللبيت بالطهارة ولذريَّته بالعصمة ولسكَّان مكَّة بالبركة [و] لأنَّ سيِّد الرِّسل كان دعوته حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾^١ ولأنَّ اليهود والنَّصارى كانوا من نسله، والعجم كانوا متولينَّ له؛ لأنَّ ملوك العجم كان من أولاد يهودا بن يعقوب عليه السلام ولأنَّ الله تبارك وتعالى جعل في ذريَّته النبوة والكتاب، ولأنَّه دعا الله تعالى بإبقاء ذكره واسمه فاعطاه الله ذلك وجعل كلمته باقية في عقبه، ولأنَّ الرِّسل كانوا أخلاء الله وأولياءه ولم يختصَّ باسم الخلة أحد سواه، ولأنَّ العرب لم تجر فيهم الرِّسل ولم يتولَّوا سوى الخليل وأولاده، لهذه العلل وغيرها أمر الله تعالى باتِّباع ملته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^٢ فمدحه الله تعالى بالعقل والثبات في الأمر وكظم الغيظ وكفَّ الغضب وبسط الرضا والتضرُّع إلى الله تعالى في ساعات الغفلة والدعاء له في السرِّ والعلانية والتأوُّه في الشُّوق والتوجُّع من ألم الفراق، وهو معنى الأواه، والرَّجوع إلى الله سبحانه في جميع الأحوال والاعتماد عليه في حصول الآمال والإخلاص له في مواطن الأعمال، وهو معنى المنيب. وقد ذكره الله تعالى بالوفاء، فقال: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾^٣.

١. البقرة: ١٢٩.

٢. هود: ٧٥.

٣. النجم: ٣٧.

قال صاحب التفسير^١: قام لرَبِّه باستكمال الطاعة.

وقد نَزَّهه الله من جميع الأديان الباطلة، فقال: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾^٢.

وكان ﷺ يكتنَى أبو الصَّيْفَانِ.

وذكروا عن الحسن، قال: من لم يكرم ضيفه فليس من محمّد ولا من إبراهيم.

فتمسك بملته واتبع أثره، فإنه نعم المقتدى والمصطفى، اجتباه الله وهداه واصطفاه وارتضاه، وأثنى عليه في الآخرين، وإنه في الآخرة لمن الصالحين.

١. لم نعرفه.

٢. آل عمران: ٦٧.

ذكر الفطرة

قال الحافظ رحمته الله:

الفطرة والصبغة اسمان للدين الحنيفي، قال الله تعالى: ﴿صَبْغَةَ اللَّهِ﴾^١ يعني الزموا دين الله إبطالاً لقول اليهود والنصارى حيث قالوا: ﴿كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾.
وسمى الدين صبغة لأنَّ الأصباغ أخلاط مختلفة والدين معان شتى أصلها التصديق في القلب والإخلاص وسائر الأفعال، وفرعها الشهادة لله تعالى بالوحدانية والإقرار بالربوبية والوفاء بالعبودية، وغير ذلك من شرائط العقد^٢ والقول والفعل.
والفطرة هي الخلقة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾. يبين ما أوجب القيام به، فقال: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^٣.
ومنه قول رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»^٤. لم يعن إلا الدين الذي أمره الله تعالى به. وقيل: على خلقة يمكن للمستدل الاستدلال بها على الصانع. «فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»^٥ يعني يدعوانه إليها حتى يقبلها منهما تقليداً.

١. البقرة: ١٣٨.

٢. في الأصل: العقل.

٣. الزوم: ٣٠.

٤. في الأصل: ولد.

٥. الجامع الصغير ١٥٨/٢ نقلاً عن سنن البيهقي. وانظر الخلاف للطوسي ٥٩١/٣، والأمامي للسيد المرتضى

و معنى قوله: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ يعني على هيئة يمكنهم اتباعها، لأنه لو خلقهم عليها لكانوا مجبورين معذورين، ولو كانوا كذلك لبطل الزجر والتكليف والنهي والأمر والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، وهذا ما ينكره العقل ولا يحققه الشرع، فاعلمه رشيداً.

ذكر الطاعة

قال الحافظ رحمته:

الطاعة على ثلاثة أوجه: طاعة الله تعالى باعتقاد وحدته وإثبات ربوبيته وإخلاص العبودية له ونشر آلائه ونعمائه وما شاكلها، وطاعة الرسول بإثبات نبوته وتصديق رسالته وتحقيق شريعته وأتباع سنته وإثبات فضائله واعتقاد حقوقه وما أشبهها، وطاعة ولي الأمر بعقد بيعته وإظهار نصرته والموافقة معه أيام محتته وغير ذلك مما يلزم من حقوقه.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^١ فمن أطاع الله تعالى استوجب الرضا والرحمة، ومن أطاع الرسول استحق الشفاعة والكرامة، ومن أطاع ولي الأمر أدرك الظفر والنصرة، ومن عصى الله استوجب اللعنة والقطيعة، ومن عصى الرسول حرم الشفاعة والقربة، قال الله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله يستعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾^٢، ومن عصى ولي الأمر عمي عن الحق وبقي في الشبهة ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان، قال الله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ قيل: عن معرفة ولي الأمر ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ يعني عن الثواب والكرامة ﴿وأضل سبيلاً﴾^٣ يعني عن الجنة، كما في الدنيا عن الحق.

١. النساء: ٥٩.

٢. النساء: ١٤.

٣. الإسراء: ٧٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلامه لسويد بن غفلة^١: أطيع الإمام وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً، إن ضربك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أمرك بأمر ينقص دينك فقل هي دون ديني، لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

وإنما أراد عليه السلام بقوله: «وإن كان عبداً حبشياً» على التمثيل لا على التحقيق؛ لأن الإمام لا يكون إلا قرشياً بدلالة قول المصطفى عليه السلام: الأنمة من قریش^٢.

والطاعة على ثلاثة أوجه: دائم وموقت وحوادث؛ فالدائم مثل التوحيد وشرائطه والإخلاص والتوكل والصبر والرضا والتسليم، والموقت مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة، والحوادث الواقعة مثل إطعام السغبان وكسوة العريان وإغاثة اللهفان وما شاكلها من فروض على الكفاية، إن قام بها بعض الناس سقط عن الباقي، وإن ضيعوها لزمته العقوبة أجمعين.

وقيل: الطاعة على وجهين: ظاهرة وباطنة، أما الظاهرة فمثل الشهادة لله والإقرار به وسائر الطاعات التي يلزم العبد أداؤها ظاهراً، وأما الباطنة كاعتقاد هذه الشهادة وإخلاصها والاستقامة عليها.

وأما طاعة المرأة للزوج والولد للوالدين والرعية للراعي؛ فإنها داخله في جملة ما ذكرنا لأنه قد سبق الأمر بها من الله تعالى.

و ضد الطاعة المعصية، وهي مقسومة على أقسام الطاعة، لا يشتهه على الناظر فيها. وقيل: من أطاع نفسه في الإباحات فقد أطمعها في الشبهات، ومن أطاعها في الشبهات فقد أطمعها في الحرام، ومن أطاعها في الحرام استحق العقوبة من الله تعالى إلا أن يتوب ويعتذر.

وسئل بعض المريدين عن حقيقة الطاعة، فقال: احتمال الأذى في خلاف الهوى لوجه الملك الأعلى.

١. شهد صفين مع علي عليه السلام وعاش إلى أن مات بالكوفة زمن الحجاج. انظر أسد الغابة: ٣٨٠/٢.

٢. راجع غاية المراد: ١٩١.

وقال سريّ السَّقْطِيّ^١: طاعة الرّحمان بأرخص الأثمان مع راحة الأبدان، ومعصية الرّحمان بأغلى الأثمان مع تعب الأبدان.

وعن بعضهم، قال: طاعة الله شرف مبين، والاعتصام به حصن متين.

وقيل: طاعة المتقي جنة المجتزي.

وقال أبو يزيد البسطامي^٢: شيطان من الله تعالى وشيطان من العبد؛ فمن الله جلّ ذكره المحبوب والمكروه، ومن العبد الطاعة والمعصية، ومن كان في محبوب الله شاكراً كان طاعته مقبولة، ومن كان في مكروهه صابراً كانت معصيته مغفورة.

وقال الجاسبي^٣: أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقى، وأصل التقى محاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرّجاء، وأصل الخوف والرّجاء معرفة الوعد والوعيد، وأصل معرفة الوعد والوعيد ذكر عظم الثّواب وشدّة العقاب، وأصل ذلك العبر والفكر.

وعن بعضهم، قال: الطّاعة مخزونة في خزائن الله، مفتاحها الدّعاء وأسنانها لُقمة الحلال.

وفيما أوصى به لقمان ابنه، قال: يا بنيّ، اتّخذ طاعة الله تجارة يأتيك الأرباح من غير بضاعة.

قال الله تعالى في التّوراة: أنا الله لا إله إلا أنا، قلوب الملوك و نواصيهم بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم^٥.

١. من مشاهير الصوفية، كان تلميذ معروف الكرخي ومات سنة ٢٥٧.

٢. هو طيفور بن عيسى. مات سنة ٢٦١ أو ٢٣٤.

٣. لعلّ الصّحيح: المحاسبي، وهو أبو عبد الله الحارث بن أسد، بصري الأصل، مات ببغداد سنة ٢٤٣.

٤. كذا في الأصل.

٥. راجع مجمع البيان ١٦٣/٤ وعنه البحار ٣٢٧/٧٥، فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٦٠/٥.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وصدقته وتلاوته القرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله سبحانه وإن كثرت صلته وصيامه وصدقته وتلاوته القرآن^١.

وفيما قال الله في التوراة: يا ابن آدم، من ذكرني بالطاعة ذكرته بالرحمة، ومن ذكرني بالمعصية ذكرته باللعة، فالزم طاعتي واحذر معصيتي^٢.

وقرأت في حكمة لقمان رضي الله عنه أنه قال لابنه: يا بني، عليك بالدعاء والتضرع إلى ربك، فإن كل خير مفتاح بابه الدعاء والتضرع إذا كنت مطيعاً لربك فإنه من استفتح باب ربه بغير الطاعة لم يفتح له، ومن استفتحه بمفتاحه - وهي الطاعة - لم يلبث حتى يفتح له. ألا ترى أن أبواب الدنيا ومغاليقها إنما تفتح بمفاتيحها؟! كذلك خزائن الله، فإن باب خزائن الله الرحمة ومفتاح الرحمة الدعاء مع الطاعة، فمن حفظ المفتاح فتح به الباب إذا انتهى إليه فدخل الخزائن وأصاب حاجته وما لم يخطر له على بال، ومن ضيع المفتاح طال عناؤه حتى يقدر على فتح الباب إن قدر.

ولا يستقيم العبد على الطاعة ولا يسلم من المعصية إلا بملازمة الخلوة وخمول الذكر ونسيان الخلق وذكر العواقب والتمسك بالسنة وترك الشهوات ورفض اللذات ومخالفة الهوى ومعرفة الزمان والصبر على محن الأيام وقصر الأمل وذكر الأجل والقناعة بالقسمة العادلة والرضا بالقدر والاستسلام للحكم الوارد من الملك العادل وتفويض أمره إلى الله تعالى وصدق التوكل عليه واليقين بوعده ووعيده وذكر آثار الرسول ومصائب العترة الطاهرة وسير الصالحين من أشياعهم وأتباعهم.

ولا يبلغ هذه الرتبة إلا بترك طلب الرئاسة، فقد قيل: طلب الرئاسة رأس حب الدنيا [وحب الدنيا رأس كل خطيئة] وربما زهد العبد في المطعم والملبس وهجر المركب

١. معاني الأخبار ٣٩٩. البداية والنهاية ٣٤٢/٥. مستدرک الوسائل ٢٩٩/٥.

٢. راجع فتح الأبواب ٢٩٦ وجامع السعادات ٢٦٢/٣ والبحار ٤٢/١٤.

والمسكن ولا يزهّد في الرّئاسة^١، وليس للشّيطان سلاح أنفد في العبد من حبّ الرّئاسة والميل إليها، فإنّ الخلق حجاب عن الحقّ، وما رأيت عالماً رشيداً ولا عبداً منيباً ولا عاقلاً لبيباً إلاّ وكان أكثر كلامه ترهيد إخوانه في الرّئاسة؛ لأنّها سبب الكبر ومحلّ البلاء، ولم يجز على آل الرّسول ﷺ من الظلم والتشديد والقهر والتشريد من أعدائهم إلاّ بحبّ الرّئاسة، فليتدبّر العاقل من نفسه وليتفكّر في عاقبته وليلزم طاعة ربّه، فإنّها سبب الرّحمة ومفتاح الجنّة، وبها بقاء النّعمة والخروج من المحنة، والبشرى عند الموت والنور في القبر والرّكوب في المحشر والنّجاة من الحساب وثقل الميزان وشفاعة المصطفى والسبق على الصّراط والنّجاة من النّار ودخول الجنّة والرّفعة في الدّرجات والزّيادة في الكرامات.

والمعصية سبب اللعنة ومفتاح العقوبة والوقوع في المحنة، وبها زوال النّعمة وحلول النّقمة وكره الموت وحسرة الفوت وضيق القبر والعمى في المحشر وشدّة الحساب وخفّة الميزان وحرمان الشّفاة والحيرة في الظلمة وفوت الجنان ودخول النيران والتسفل في الدّركات والزّيادة في العقوبات.

قال الله تعالى: عبدي، إن لم تفعل أمري فلا تأكل من رزقي، وإن عصيتني فاخرج من ملكي، وإن لم ترض بقضائي فالتمس غافراً غيري.

واعلم أنّه لو اجتمع أهل السّماء والأرض على الطّاعة ما زادت في ملك الملك القديم ذرّة واحدة، ولو اجتمعوا على معصيته ما انتقص من ملكه ذرّة واحدة؛ لأنّه ملك غني لا ينفعه طاعة المطيعين ولا يضرّه معصية العاصين.

قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول فإن تولّوا﴾ يعني أعرضوا عن الطّاعة ﴿فإنما عليه ما حلّ﴾ يعني من تبليغ الرّسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من قبولها ﴿وإن تطيعوه﴾ في الدّنيا ﴿تهتدوا﴾ في الآخرة إلى الجنّة ﴿وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين﴾^٢ جعلنا الله وإياكم من المطيعين برحمته، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.

١. كالخليفة الثاني.

٢. النور: ٥٤.

ذكر العبادة

قال الحافظ رحمته الله:

العبادة اسم لما تعبد الله به عباده من أداء أمر واجتناب نهي، وأصلها فعل يرجع عن قصد صاحبه بالزبويّة لشيء. وقيل: هي الإقرار بالعبودية مع إظهار الفقر والحاجة. [و] عن بعض الصّالحين: أصل العبادة أربعة: صحّة الإرادة، وقصر الأمل، وذكر موت الفجأة، والاستعداد للموت.

وعن بعضهم: إنّه على ثلاث مراتب: سرّي، وعلمي، وفعليّ. أمّا السّرّي فعلى ثلاثة أوجه: حراسة القلب، وحفظ الإرادة، والتّفكّر في العواقب. وأمّا العلميّ فعلى ثلاثة أوجه: التّعلّم بالحرمة، والتّعليم بالنّصيحة، والدّلالة على الحقّ.

وأما الفعليّ فعلى ثلاثة أوجه: مراعاة الوقت، وتعظيم الفعل، والاستقامة حتّى الموت.

واعلم أنّ منازل العباد سبعة:

أولها: درجة التّوحيد.

والثاني: موافقة أحكام المصطفى صلّى الله عليه وآله.

والثالث: وفاء المأمور به مع اجتناب المنهيّ عنه حسب ما ورد في الشّرع.

والرّابع: حفظ الحجّة في الإباحات.

والخامس: استقامة الأخلاق، وهي درجة الصّدق.

و السّادس: مرتبة النّبوة.

و السّابع: شرف الرّسالة، وهي أشرف مراتب العباد.

و عند بعضهم:

أول المراتب الانتباه عن الغفلة. ثمّ حياء المراقبة. ثمّ التّوبة بعد الحوبة، و الرّياضة بعد الأوبة. ثمّ خوف الوعيد. ثمّ رجاء الوعد. ثمّ جهد العبادة. ثمّ محاربة الشّيطان. ثمّ مخالفة الهوى. ثمّ الصّبر على البلاء. ثمّ الرّضاء بالقضاء. ثمّ شكر العطاء. ثمّ القناعة بالقسمة. ثمّ السّخاوة في القلّة و الكثرة. ثمّ الإيثار بالشّفقة. ثمّ حسن التّوكل. ثمّ التّفويض و هو ترك المخاطرة. ثمّ التّسليم و هو التّزول عند الحكم. ثمّ اليقين و هو الطّمأنينة بالوعد. ثمّ الإخلاص و هو الصّفاء عن كدورة الرّياء. ثمّ حلاوة الذّكر. ثمّ الأنس في الخلوة. ثمّ فراغة القلب. ثمّ رؤية المنّة. ثمّ الشّوق و هو الحرقة. ثمّ الإنابة و هي الرّجوع إلى الله في جميع الأحوال. ثمّ نسيان الخلق. ثمّ سعة الصّدر. ثمّ حسن الظنّ. ثمّ الزهد. ثمّ قصر الأمل. ثمّ المحبّة و هي الاشتغال عن الخلق و الانفراد مع الحقّ. ثمّ التّفكّر في العظمة. ثمّ ذكر سوابق البرّ. ثمّ يقين المشاهدة. ثمّ سرور الوصال. ثمّ لطف المكاشفة. ثمّ أنس الصّحبة. ثمّ راحة المجالسة. ثمّ نسيم القرية. ثمّ رياح التّعطف. ثمّ عرض الملكة. ثمّ موت الأشباح. ثمّ حياة الأرواح. ثمّ مقام الهيبة. ثمّ خرس اللسان و انقطاع البيان. ثمّ فتح الأبواب مع كشف الحجاب. ثمّ لطف العتاب. ثمّ ورود الأنوار على الأسرار. ثمّ مقام الفناء.

و سئل الشّبلي عن معناه¹ فقال: استعجاب فنانك على أوصافك، و اشتغال الكلّ منه بكليّتك، فإذا غاب التّشبيه عن الوصف صفت الجوهرة للأكفّ.

قيل: و البقاء؟ قال: من فني الفناء عن أوهامه، أدرك البقاء بتمامه. ثمّ أنشأ:

غبت عنّي فما أحسّ بنفسي و تلاشت صفاتي الموصوفة
فأنا اليوم غائب عن جميع ليس إلا العبادة الملهوفة

١. أي معنى العبادة.

فهذه منازل العباد في العبادة إلى أن يصلوا إلى معبودهم.

وقيل: الناس في العبادة على ثلاث طبقات:

فمنهم من يعبد الله على الخوف، وعلامتهم الهرب من الخلق والبكاء في الخلوة وكثرة التضرع ونحول الجسم وطول السهر ودوام السكوت وترك الشبهة.

ومنهم من يعبده على الرجاء، وعلامتهم جهد العبادة ودوام الخدمة وزيادة البرّ وحفظ السرّ والنصيحة للخلق.

ومنهم من يعبده على المحبة، وعلامتهم حلاوة الذكر وإيثار الطاعة ونشر الآلاء وموالة الأولياء ومعاداة الأعداء.

وذكروا أنّ عمر بن الخطّاب كان جالساً ذات يوم وحواله المهاجرون والأنصار وفي القوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فسألهم عن أفضل الأعمال، فمنهم من قال قراءة القرآن، ومنهم من قال طلب العلم، ومنهم من قال الصلاة، ومنهم من قال الصيام، وأكثروا الأجوبة وأمير المؤمنين عليه السلام ساكت، فنظر إليه مستفتياً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن من العبادة تركاً لها.

قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه^١.

إذا أضرتّ النوافل بالفرائض فارفضوها^٢.

اليقين معدن الرّسالة.

قد تكذب الهيوف أصحابها ولا يغشّ العقل من انتصحه^٣.

بينكم وبين الموعظة حجاب والغفلة^٤.

١. نهج البلاغة: ح ٤٤٤.

٢. نهج البلاغة: ح ٢٧٩.

٣. نهج البلاغة: ح ٢٨١ وفيه: قد تكذب العيون أهلها ولا يغشّ العقل من استنصحه. ولعلّ «الهيوف» تصحيف «العيون».

٤. نهج البلاغة: ح ٢٨٢ وفيه: حجاب من الغفلة، أي الغفلة.

كَلَّ مَعَجَلٌ يَسْأَلُ الْإِنْتِظَارَ، وَكَلَّ مُوَجَّلٌ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ^١.

عالمكم مسوفٍ وغافلکم مزداد^٢.

قد قطع القرآن عذر المختزين^٣.

فالزم العبادة و اختر لها العزلة، فإنه قيل: العبادة حرفة، حانوتها الخلوة و آلتها

المجاعة.

و قد قال المصطفى ﷺ: ما أوحى إليّ: أن اجمع المال وكن من التاجرين، و لكن

أوحى إليّ: أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين^٤.

١. نهج البلاغة: ح ٢٨٥ وفيه: كَلَّ مَعَجَلٌ يَسْأَلُ الْإِنْتِظَارَ.

٢. نهج البلاغة: ح ٢٨٣ وفيه: جاهلكم مزداد.

٣. نهج البلاغة: ح ٢٨٤ وفيه: قطع العلم عذر المتعللين.

٤. راجع روضة الواعظين: ٤٥٤ و الأمالي للطوسي: ٥٣١.

ذكر البرّ

قال الحافظ رحمته الله:

البرّ اسم لما ندب الله سبحانه إليه عباده من قول و عقد و فعل، و هو إحسان على
الابتداء لا يشوبه منّ ولا أذى

و البرّ فاعل^١ البرّ

و المبرّ في لغة العرب: الغالب، و منه قول الشاعر:

إذا تعاطى الرّجال مجداً أيّسدهم سبقة المبرّ

و هو على لسان العامّة من غلب نفسه و قهر هواها و كسر شهوتها و حملها على ما
يقربها إلى الله تعالى و يبعدها من سخطه.

و البرّ في القرآن على ستّة معان:

أولها: التّوحيد و ترك الشّرك، قال الله عزّ و جلّ: ﴿ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب﴾ الآية^٢. يقول: ليس البارّ من ولّى وجهه قبل المشرق و المغرب، ولكن البارّ
من صدّق بالله وحده لا شريك له و اليوم الآخر، يعني و صدّق بيوم الجزاء لأهل الطّاعة
و المعصية و الملائكة، يعني و صدّق بالملائكة و عبوديتها و الكتاب، يعني و صدّق
بالكتب المنزلة على الرّسل المبعوثين إلى الخلق و النّبیین، يعني و صدّق برسالة
النّبیین و صدقهم في دعواهم.

١. في الأصل: فعل البرّ.

٢. البقرة: ١٧٧.

و المعنى الثاني: التَّقْوَى، قال الله تعالى: ﴿وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرّ من اتقى﴾ يعني ولكن البرّ برّ من اتقى ﴿واتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾^١.
و المعنى الثالث: فعل الطّاعة، قال الله عزّ اسمه: ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾^٢ يقول: تعاونوا على فعل الطّاعة وترك المعصية، ولا تعاونوا على ترك الطّاعة وارتكاب المعصية.

و المعنى الرابع: اتّباع المصطفى ﷺ، قال الله عزّ من قائل: ﴿أتأمرون الناس بالبرّ﴾ يعني باتباع محمد ﷺ ﴿وتنسون أنفسكم﴾ يعني وتتركون حفظها ﴿وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾^٣.

و المعنى الخامس: هو كمال الطّاعة و غايتها، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لن ننالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبون﴾^٤ يقول: لن تبلغوا كمال الطّاعة ولن تدرکوا غايتها حتّى تبدلوا أنفس الأشياء عندكم وأحبّها إليكم.

و منهم من جعل البرّ هاهنا الجنّة - والله أعلم - ولا يدخل العبد الجنّة إلا بإقامة أفضل الطّاعات، وهو التّوحيد وترك الشّرك الموجب للخلود في النّار.

و المعنى السّادس: برّ الوالدين والإحسان إليهما، قال الله تعالى يشني على صفيّة المطهّر يحيى ﷺ: ﴿وبرّاً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً﴾^٥

و قال يحكي قول العبد المبارك عيسى ﷺ: ﴿وبرّاً بوالدي ولم يجعلني جباراً شقيّاً﴾^٦.
و البرّ هو الصّدق عند أهل اللسان، فمن قولهم: صدقت و بررت، وكذبت

١. البقرة: ١٨٩.

٢. المائدة: ٢.

٣. البقرة: ٤٤.

٤. آل عمران: ٩٢.

٥. مريم: ١٤.

٦. مريم: ٣٢.

و فجرت، وهذا الطّائي^١ يقول:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً
 إن برّ عندك فيما قال أو فجرا
 فقد أطاعك من يرضيك ظاهره
 وقد أجلك من يعصيك مستترا
 ومن أسماء الله تعالى البرّ والبارّ، وهو اللطيف بعباده المؤمنين، المحسن إليهم،
 المتفصل عليهم. قوله: ﴿إنه هو البرّ الرحيم﴾^٢.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ: البرّ لا يبلى، والدّنب لا ينسى، والدّيان لا يفنى، كن
 كما شئت، كما تدين تدان^٣.

وقيل: ثلاثة من أخلاق الأبرار: الاستعداد للموت، والرضا بالكفاف، والتفويض
 إلى الله تعالى في حالات الدنيا.

وقيل: دخل ابن السمّك^٤ على هارون فقال له: عطني. قال: من يزرع الشوك لا
 يحصل العنب، أترجون منازل الأبرار بعمل الفجّار؟ هيهات! للجنّة قوم آخرون ولهم
 أعمال غير ما تعملون.

ثمّ قال: طلبت العلم سنين فتفكّرت في إبليس فاستغنيت عن العلم، و طلبت
 [المال] سنين فتفكّرت في قارون فاستغنيت عن المال، فما رأيت شيئاً يقربني إلى الله
 عزّ وجلّ غير قلب وورع ولسان صادق وبدن صابر. ثمّ تلا هذه الآية: ﴿احشروا الذين
 ظلموا وأزواجهم﴾^٥. فبكني هارون.

وفيما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه، قال: يا بني، إن أردت أن تكون من الأبرار فأثر محبّة
 الله سبحانه على هواك كفعل النّاصح المرضي لربه عزّ وجلّ، واختر البرّ على الفجور

١. لعلّ المراد: حاتم الطّائي المشهور، وله ديوان شعر. أو أبو تمام الطّائي المتوفّي سنة ٢٣١ وهو صاحب
 الكتاب المسمّى بالحماسة.

٢. الطّور: ٢٨.

٣. الجامع الصّغير: ٢١٩/١ نقلاً عن الجامع لعبد الرزّاق وفيه: والدّيان لا يموت اعلم ما شئت، الخ.

٤. هو محمّد بن صبيح، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ٣٦٨/٥.

٥. الصّافات: ٢٢.

كفعل المؤمن الزكّي، واختر الوفاء على الغدر فعَلَ الأمين الوفيّ، ولا ترض نفسك بالقليل من طاعة الله فعَلَ المهين الدنيّ، واجتهد له في عبادته فعَلَ الحريص الحفيّ، واذكر ربّك في كلّ لمحّة فعَلَ العابد التقيّ، وجزء الليل والنهار أجزاء فعَلَ العاقل النقيّ، وإياك واللوم فعَلَ الواضع الدنيّ، و عليك بالسّماحة ما ضننت^١ و قلبك منشرح بالخلف من الله تعالى فعَلَ الموقن الرّضيّ، [و] إياك وما يعتذر منه كيما تعلقو وتهتدي. وقيل: أفضل البرّ أربعة: الحلم في الغضب، والجود في القلّة والكثرة، والورع في الخلوة، واستقبال العدو في الهزيمة.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: إن من البرّ كتمان المصائب^٢.

وقيل: خمسة من كنوز البرّ: كتمان الفقر، و كتمان المرض، و كتمان الصدقة، و كتمان العبادة، و كتمان السرّ.

ولن يبلغ العبد منازل الأبرار إلّا بأداء ما فرض الله عليه و اجتناب ما نهى الله سبحانه عنه مع إخلاص الضّمائر و صدق السّرائر و تعظيم الأمر و سخاوة النّفس و سلامة الصّدر و الشّفقة على الخلق و مخالفة أبناء الدّنيا و موافقة طلاب العقبيّ، فإنّ الجنّة دار الأبرار و النّار دار الفجّار.

أعاذنا الله وإياكم من النّار، وأحلّنا وإياكم دار القرار.

١. في الأصل: ما أظننت.

٢. راجع الدّعوات للزّاوندي: ١٦٧ و البحار: ٢٠٨/٨١ و الكامل لابن عديّ ٢٣٤/٣.

ذكر التوحيد

قال الحافظ رحمته الله:

التوحيد معرفة الواحد بالأدلة الواضحة، والإقرار به والعمل له، ولا يصح إلا بعد انقطاع العبارة والإشارة لأن الإشارة إيماء، والإيماء تحصيل، والحق وراء التحصيل. وإذا تكلم المتكلم بالإشارة لا بد لإشارته من مشار يشير إليه، وإذا قلت بالمشار جمعت في كلامك ألفاظاً منفية عن صفة القديم، فأوله أنك جعلت له مكاناً فأشرت إلى مكانه، والثاني جعلت له حداً فأشرت إلى حده، والمشار يكون مدركاً محاطاً به إما بالفهم أو الوهم والحق خارج عن الأفهام وعلومها والأوهام ودقائقها.

وسئل الصادق عليه السلام عن التوحيد والعدل؟ فقال: التوحيد أن لا تجوز على الله سبحانه ما جاز عليك، والعدل أن لا تنسب إليه ما لامك عليه^١. فقد جمع عليه السلام في هاتين الكلمتين جل^٢ حقائق التوحيد.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: سبحان من جعل معرفة العارفين بعجزهم عن الشكر شكراً، كما جعل علم العالمين بأن لا يدركوه إيماناً. سبحانك ربّي ما أعظم ملكك^٣.

وسئل جنيد عن التوحيد، فقال: توحيدينا أفراد القدم عن الحدث ونفي ما علم

١. التوحيد للصدوق: ٩٦.

٢. في الأصل: جعل.

٣. راجع الكافي ٣٩٤/٨ والصحيفة السجادية الجامعة للسيد الأبطحي: ٢٥.

و جهل، وأن يكون مكان الجمع^١.

أراد - والله أعلم - بقوله: وأن يكون مكان الجميع^٢ أنّ العالم محتاج إلى حفظه وإمساكه و يبقى بإبقائه، والخلق يفزعون إليه عند حلول النوائب و نزول المصائب؛ لأنه الغني بذاته لا يحتاج إلى معين و لا يستعين بظهير.

و سئل بعض المريدين عن حقيقة التوحيد و أقسامه، فقال: التوحيد لفظ جامع يجمع معاني الوجدانية و الأحادية و الفردانية، ثم ينشعب منه إلى توحيد الأفعال و توحيد الإقرار و توحيد الاعتقاد، ففي الأفعال توحيد الوجدانية، و في الإقرار توحيد الأحادية، و في الاعتقاد توحيد الفردانية.

و أصل التوحيد معرفة الواحد، فكما أنّ المعروف قد أحاط بممالك الدنيا و الآخرة ألزم كل متحرك و ساكن في الخلائق على أصنافها معرفته^٣، و معرفته توحيد، و توحيد معرفته بأن الله خالقه، و جعل في كل شيء عبارة لذكره لحقيقة معرفته به و توحيد إياه، لقول الله تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^٤ و فرض على الجوارح كلها معرفته، و المعرفة قبل الإقرار، و الإقرار بعد المعرفة يسمّى توحيداً، فمنها الأفعال و منها الإقرار و منها الاعتقاد، فمعرفة الجوارح الظاهرة من السكّانات في قبول أمره و نهييه و إقامة حقّ طاعته مخلصاً له في عبادته فهو توحيد الأفعال، و معرفة الجوارح الناطقات و المتحرّكات مثل اللسان و السمع و البصر في الانتفاء عن جميع ما يراه عياناً و يسمعه خبراً ينفي تشبيهه عن الله عزّ و جلّ، فلا يبقى في قلبه موهوم و لا لعينه ممثّل معلوم و هو توحيد الإقرار، و معرفة

١. في الأصل: الجميع.

٢. في الأصل: الجميع.

٣. هي مفعول «ألزم».

٤. الإسراء: ٤٤.

القلوب ستر العيوب في الثرى^١ عن الخطرات إذا خطرت عرف أنّ الله خالقها وهو توحيد الاعتقاد، فما أحاطت به الأفهام كان معلوم العين وما أدركته الأوهام كان موهوم القلب والمعلوم والموهوم شيء، وقد قال الله عزّ ذكره: ﴿ليس كمثله شيء﴾^٢.

فإذا استكمل صاحبه معرفة التوحيد على هذه الأصول فذاك موحد صادق، وإذا انتقص له شيء من هذه الوجوه فهو موحد لمعرفة أنّ الله واحد إلا أنّه كاذب في دعوى الحقيقة بمقدار ما حرم من حقائق التوحيد، ويكون توحيد إقرار التجريد، ومن هذه الجهة وقع التباين والتفاضل في المنازل والدراجات وهي على ثلاثة مراتب: تجريد وتفريد وتوحيد. فإذا أقرّ ولم يعتقد كان مجرداً، وإذا اعتقد مع الإقرار كان مفرداً، وإذا عمل بعد الإقرار والاعتقاد كان موحداً على الحقيقة.

ولن يبلغ العبد درجة التوحيد إلا بعد النظر في الأدلة المؤدّية إلى معرفة البارئ من حدث العالم وعجائب الصنع وآثار القدرة واختلاف الأفعال من إبداع اللغات والهيئات والمناظر وانتظام التدبير وانساق التقدير وتركيب الطّبايع وإتقان الصنع ورفع السماوات وبسط الأرضين وإجراء الأفلاك وتزيينها بالكواكب وتسخير الرياح وتركيب السّحاب وتفجير الأنهار وتسجير البحار وتوير الظلم وإيضاح البهم وتحريك الموضوع وتفريق المجموع ونقض العزم وحلّ العقد وتحسين الصّور ومحو الأثر وقهر المنى وضعف الأركان وتحويل الحالات وظهور الآيات مع سائر الأدلة على الواحد القديم الفرد الحكيم، قال الله جلّ من قائل: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحق﴾^٣ وقال: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^٤.

١. كذا في الأصل.

٢. السّورئ: ١١.

٣. فضلت: ٥٣.

٤. الذّاريات: ٢١.

و جرى بين بعض أهل ناحيتنا و شيخ يقال له ماجد بن محمد مناظرة في باب التوحيد، فكتب ماجد إلى شيخ الحجازيين و هو أبو سهل محمد بن سليمان الحنفي^١: ما قوله في رجلين تكلمتا في التوحيد؛ فقال أحدهما: السؤال عن التوحيد محال لأنه مصدر من وحد يوحد، وقال الآخر: التوحيد حق، و علمه حق، و من أحال السؤال عنه فقد أحال التوحيد، و من أحال ففي إيمانه نظر. أي القولين أعدل و أصح؟! فليذكر فيه شيئاً فإن العامة أسراء الجهال، و الله ولي الصنع و الكفاية.

فورد الجواب: التوحيد هو أصل الدين و أوله، و الكلام فيه على تبيين سبيله و إيضاح دليله فرض من عقد فروض الملة، و تصريف مصدره و اشتقاقه من الوحدة لا يمنع حقيقته و لا يدفع فرضيته^٢ و قول من يمانع السؤال عن التوحيد درك^٣ و فضل من المقال بإحالة السؤال فيما يحقق.

وقيل: من كان في توحيدة ناظراً إلى نفسه، لم ينجه توحيدة من النار.

فكمال المعرفة التوحيد و كمال التوحيد الإخلاص [و كمال الاخلاص] نفي الصفات عن الواحد الذي لم يزل واحداً على الحقيقة لا يتقسم و لا يتجزأ و لا يتبعص له الوحدة الثابتة، لا يحلّه عرض و لا يزاوجه شيء و لا يقارنه ضدّ و لا يساويه ندّ و لا يشاكله مثل و لا يماثله شكل، له الأزل و الأبد و القدم و البقاء.

لا إله إلا الله إثباتاً للربوبية و تحقيقاً للوحدانية و إقراراً بالعبودية، يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء، و هو العزيز الحكيم، العادل الرحيم، الواحد القديم.

١. قال الزركلي في الأعلام ١٤٩/٦: محمد بن سليمان بن محمد بن هارون الحنفي من بني حنيفة أبو سهل

الصعلوكي؛ فقيه شافعي... مولده بإصهان و سكنه و وفاته بنشابور... مات سنة ٣٦٩.

٢. في الأصل: و لا يمنع حقيقته و لا يدفع فرضته.

٣. كذا في الأصل.

ذكر معانٍ سنيّةٍ

قال الحافظ رحمته:

التّجريد هو تصفية العقد والقول والفعل. وقيل: هو الخروج من أثقال المُوْن. والتّجريد إثبات الفردانيّة للفرد الحكيم، ومعناه في صفات العبد ترك المزاجية والمشاكله والانفراد مع الحقّ.

وأما التّسبيح فهو تنزيه القديم تعالى عن صفات المخلوقين ونعوت المرئيين، وهو قول العبد: «سبحان الله» وسبّحه الملائكة المحدقون بعرشه والرّسل المبعوثون إلى خلقه «وإن من شيء إلا يسبح بحمده»^١ ومن أسمائه «السّبوح» وهو الذي تنزه عمّا لا يليق من الصّفات والأفعال.

وأما التّحميد فهو كثرة الحمد لله والحمد هو الثّناء عليه لصفاته الحسنی، ومن أسمائه «المحمود» ومعناه المستحقّ للحمد.

وفي الأثر عن رسول الله صلی الله علیه وآله أنّه قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنه: «أما إن ربك يحبّ الحمد، فأكثر الحمد لله، وهو ثناء الرّسل والأنبياء في عواقبهم^٢ وعند هلاك أعدائهم وثناء أهل الجنّة في الجنّة قوله: «وآخر دعوتهم أن الحمد لله ربّ العالمين»^٣.

وأما التّهلّيل فهو قول العبد: «لا إله إلاّ الله» وهو نفی الإلهیة عمّن دون الله وإثباتهاله،

١. الإسراء: ٤٤.

٢. كذا.

٣. يونس: ١٠.

وهو كلمة الإخلاص ودعوة الحقّ ومفتاح السّماء والشّجرة الطّيّبة؛ أصلها المعرفة، وساقها اليقين، وأغصانها الشّهادة، وأوراقها العمل، وأثمارها الإخلاص، بها تُقبل الأعمال وتُدرك الآمال.

وأما التّكبير فمعناه التّقديم والتّعظيم، وهو إثبات القدم والعظمة لله، وهو قول العبد: «الله أكبر» يقول: الله أقدم والقديم السّابق على الأشياء كلّها، ومن أسمائه «الكبير» وهو القديم.

وأما التمجيد فهو التّشريف، لأنّ المجد هو الشّرف، والمجد الشّريف والماجد الّذي يوجد عنده ما يطلب وهو غاية الشّرف، والتمجيد قول العبد: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

وفي الأثر عن النّبِيِّ ﷺ قال: أفضل الكلام أربعة هنّ من القرآن وليس بالقرآن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر^١.

وعنه ﷺ قال: من قال «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» كلّ يوم مائة مرّة، لم يفتقر أبداً لأنّه تفويض من العبد أمره إلى سيّده ومدبّر أمره، وإذا فوّض الأمر إلى مدبّر الأمر والعالم بالأحوال استغنى به ولا يفتقر إلى خلقه.

وأما التّقدّيس فهو التّطهير، والقدس الطّهارة، والقدّوس الطّاهر من العيوب، والمقدّس المطهّر بفتح الدّال، والمقدّس موضع القدس على ميزان مفعّل، ومن أسمائه «القدّوس» وهو الطّاهر من سمات الحدث.

وفي الأثر: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الوتر قال ثلاثاً: سبحان الملك القدّوس، سيّوح قدّوس، ربّ الملائكة والروح^٢.

١. راجع صحيح ابن خزيمة: ١٨٠/٢.

٢. راجع جامع الأخبار: ١٤٤ والبحار: ١٦١/٨٦ و٤٧/٩٧.

٣. راجع صحيح مسلم: ٥١/٢ و مسند أحمد: ١١٥/٦ والكامل لابن عدي: ٣٣١/٣.

وقالت الملائكة: «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك»^١ يعني وننسبك إلى الطهارة.
 وقال الله تعالى لموسى عليه السلام: «فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى»^٢.
 والبيت المقدس لأنه بيت طهره الله سبحانه بالخليل وذريته عليهم السلام.
 وأما التحقيق فهو إقامة الشهادة بالإخلاص، وتصحيح العقد بالثبات، وأداء
 المفروض مع الاستقامة، ومعرفة الباري جلّ ذكره بالأدلة، ومتابعة الرسل باليقين،
 وأصله إثبات حقوق الله سبحانه على نفسه مؤدياً لها موقناً بثوابها.
 وأما التنزيه فهو تبعيد القديم عن صفات المحدثين، والنزاهة: البعد، ومنه سميت
 الأمكنة الطاهرة من القذارة والنجاسة: نزهة.
 وقول العبد: «سبحان الله» يعني تنزيهاً لله سبحانه عما نسبته أهل الإلحاد إليه ووصفه
 أهل الشرك به.
 وقوله: «تعالى» من العلوّ والشرف والرّفعة، لا من المكان والمسافة.
 وقوله: «تبارك» يعني تداوم، والبركة الدوام، والمبارك الدائم، ويقال لله تعالى:
 مسبح متعال، ولا يقال: متبارك. وقيل: معنى قوله: «تبارك» يعني تبرأ عن الأضداد
 والأنداد، فاعلمه رشيداً إن شاء الله عزّ وجلّ.

١. البقرة: ٣٠.

٢. طه: ١٢.

ذكر العلم

قال الحافظ رحمته الله:

العلم اسم لأوصاف متقاربة بعضها من بعض، منها: الفهم والحفظ والفتنة والبصر والفراسة والطب والشعر والفقه والرأي والقياس والحكمة والمعرفة والعقل واليقين.

فالفهم فهو إصابة معاني المسموعات بنظائرها.

وقيل: الفهم وقوع القلب بنور العقل على الصواب على سبيل الإصابة والعزيمة.

وقيل: إدراك بواطن الأشياء على وفاق ظواهرها.

وأما الحفظ فهو ضبط المسموعات والمرسومات بألفاظها.

وقيل: هو تعهد الأملاك على طريق السياسة والتفقد.

وقيل: هو إمساك الأشياء على منازلها.

وقيل: هو الرعاية لأسباب المملكة بالنظر الدقيق.

وأما الفتنة فهو إدراك المرموزات بالعلامات، والوقوف على الإشارات

بالدلالات.

وأما البصر فهو رؤية الشيء علماً أو عياناً.

وقيل: هو معرفة نفع الأشياء وقيمتها.

وهو في صفة العبد نور في ظاهره يدرك به الألوان، وفي باطنه نور يدرك به

الحقائق.

و ضدّه العمى، و هو حجاب يمنع العبد عن إدراك ما وصفنا.
 و أمّا الفراسة فهو إدراك المغيبات بالعلامات دون الدلالات.
 و قيل: إصابة مخفيات البواطن بلطيفات الدلائل.

و أمّا الطبّ فهو على وجهين: علمي و فعلي؛ أمّا العلميّ فهو وقوف الباحث على
 مقادير الداء بما يعارضها من قوَيّ الدواء، و أمّا الفعليّ فهو إزالة الداء بما لطف من
 الدواء، و أطف الدواء إنزال الشفاء.

و أمّا الشّعر فهو كلام دقيق مسجّع مقدّر القوافي و النّظم.
 و أمّا الفقه فهو إصابة حدّ القياس في ردّ الفروع إلى الأصول بعلمها، و هو في اللغة
 استخراج الشّيء عن الشّيء.

و قيل: الفقه الوقوف على حقائق الأشياء.

و أمّا الرأى فهو ما يحيل^٢ إلى القياس المتفكّر من^٣. الأمر قبل العقد عليه.

و أمّا القياس فهو آلة فكرية يصاب بها تشابه ما بين الشّيتين برهانياً.

و قيل: إلحاق المسكوت عنه بالمنطوق به بالمعنى الجامع بينهما.

و قيل: هو ردّ الشّيء إلى ما يشاركه في علته.

و أمّا الحكمة فهو على وجهين: علمي و فعلي؛ فالعلميّ إدراك صحیحات الغرض
 بلا منازعة شكّ فيه، و أمّا الفعليّ فهو إحكام الفعل على وفاق الغرض فيه و نصب
 الدليل عليه.

و أمّا المعرفة فهو الوقوف على الشّيء بعد البيان. و اللغة لا تفرق بين العلم
 و المعرفة إلا فرقاً ضعيفاً.

و قيل: همّة تتبعها اكتساب.

١. كذا تقرأ الكلمة.

٢. في الأصل: نحيل.

٣. هناكلمة لا تقرأ.

وأما العقل فهو قوّة تكتسب بها العلوم و المعارف.

وقيل: هو المنع عن النسيان و الإدراك بعد الطلب.

وأما اليقين فهو تبين الشيء ببرهان مستبين.

و هذه الأوصاف منها ما يجوز أن يوصف بها الباري، و منها ما لا يجوز، فلينعلم

النّاظر المستدلّ نظره في هذه المعاني حتّى يتّضح له الحقّ بإذن الله تعالى.

ذكر بيان العلم

قال الحافظ رحمته الله:

إن الله جعل العلم وسائل أوليائه وعِصَم المصطفين من أصفائه. به شرف الخلائق ودرك الحقائق وحصول النعم وزوال النقم وأنضاح الحق وكشف الشبهة، وهو نور ساطع وبرق لامع لو استقصينا مدحه لم نزد [على] ما رواه معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: تعلموا العلم فإن في تعلمه لله سبحانه حسنة، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والأنس في الوحشة والصاحب في الغربة، والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء، والقرب عند الغرباء والزين عند الأخلاء. يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخير يقتض آثارهم ويرمق أعمالهم وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلّتهم وبأجنتها تمسحهم وفي صلواتها تستغفر لهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى الحيتان في البحر، وهوامه وسباع البرّ وأنعامه والسّماء ونجومها؛ لأنّ العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى في الدنيا والآخرة. والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به يعمل الخير وبه يورع ويوحّد، وبه يوصل الأرحام وبه يعرف

الحلال والحرام، وهو امام العمل والعمل تابعه، ويلهم السعداء ويحرم الأشقياء^١.
وأصل العلم إدراك الشيء على ما هو به. و ضدّه الجهل، وهو وهم الشيء على غير ما هو به.

والعلم عند أهل الجهل جهل، كما أنّ الجهل عند أهل العلم جهل.
وعلم الخير والشرّ شكلان و فعلهما ضدّان.

وفي العلم شرح الصّدور ونور السّرّ و حياة الأرواح وقوّة الأشباح وفتح الأبواب
ورفع الحجاب و طيبة التّربة^٢ و شرف النّسبة و علوّ الهمة و فضيلة الحرّيّة و النّجاة من
رقّ العبوديّة و عصمة الأبرار و زين الأحرار، وهو بستان الحكماء و روضة الحلماة
و دعوة الأنبياء و دلالة ربّ السّماء، لا يطلبه إلا الهداة المرشدون و لا يتركه إلا الغواية
المضلّون.

١. رواه الشيخ الطّوسي في الأمالي مع تفاوت في بعض الألفاظ ١٠٢/٢. راجع البحار ١٧٢/١ و رواه الغزالي

أيضاً في إحياء العلوم ١٨/١ مع تفاوت.

٢. كذا. و لعلّ الصحيح: التربية.

[في ذكر أنواع العلم]

قال الحافظ رحمته الله:

العلم أنواع شتى، وبينها تفاضل و تفاوت حسب تفاضل المعلومات. أولها علم الحسّ، والحواسّ خمس: السّمع، والبصر، والسّم، والدّوق، واللمس، و علم البديهة وهو أوّل درجة العقل. ثمّ علم الاستدلال من الشّاهد على الغائب. ثمّ الأخبار.

وقيل: العلوم سبعة:

أولها: الحواسّ السّليمة،

و الثّاني: علم الضّرورة،

و الثّالث: الأخبار المتواترة،

و الرّابع: القياس،

و الخامس: الشّواهد والدّلائل،

و السّادس: اللّغة،

و السّابع: أخبار الرّسل بعد إقامة الحجّة.

ولا سبيل إلى درك شيء من الأشياء إلاّ بالعقل الكامل و اللبّ الوافر.

وقيل: العلم اثنان:

أوله: قريب طريقه، سهل طلبه، سريع وقوعه.

و الثّاني: بعيد مقصده، غامض مطلبه، بطيء وقوعه.

و عند الأئمّة عليهم السلام لا يعرف الحقّ إلاّ من أربعة أوجه: إمّا حجّة عليّة فاصلة، وإمّا آية

محكمة نازلة، وإمّا سنّة متّبعة من رسول الله واصلة، وإمّا إجماع الأُمّة الفاضلة.

وقيل: العلم على سنّة أوجه:

علم الهوائية، و علم المائتية، و علم المنية، و علم الكمّية، و علم الأبنية، و علم الكيفية^١.

و في المأثور عن رسول الله ﷺ: العلم ثلاثة: آية محكمة، و سنّة قائمة، و فريضة عادلة، و ما سواهنّ فهو فضل^٢.

وقيل: العلم علمان: علم الفقه لصلاح الأديان، و علم الطبّ لصلاح الأبدان، و ما سواهما فبُلغة مجلس.

و اعلم أنّ العلوم على وجوه، و لها أقسام:

منها علم الربوبية، و هو ما استأثر الله سبحانه به دون بريته من علم الأزل و الأبد و ما لم يطّلع عليه أحد من عباده.

و علم معاجيز الأنبياء ﷺ، و هو ما أيدهم الله عزّ و جلّ به من الإلهام و ما أوحى إليهم و اختصّهم به دون الخلق.

و علم التوحيد، و هو معرفة الأديان و المذاهب المختلفة و سمّاه^٣ المتكلّمون علم النّظر و الجدل.

و علم المعاملة، و يسمّى علم السّرّ.

و علم المعرفة.

و علم العبودية.

و علم رياضة النفوس.

و علم التّصوّف، و هو بحر عميق.

١. كذا في الأصل.

٢. الكافي: ٣٢/١، و الجامع الصغير: ١١٥/٢ نقلاً عن سنن أبي داود و ابن ماجة و مستدرك الحاكم.

٣. في الأصل: سمّيت.

وعلم الإشارات، وهو معرفة سعي القلب والحركات الظاهرة و مراتب العباد والخواطر الواردة على القلوب.

وعلم الفقه، وهو علم العبادات في شرائع الرسول وسنته ومعاملات الناس في البيع والشري وغير ذلك والحدود والذيات والفروج والفرائض والمقدرات.

وعلم الأخبار، وهو علم الكتب المنزلة على الرسل ﷺ بتأويلها وتفسيرها والأخبار المأثورة عنهم صحيحها وسقيمها وأقاصيصهم من لدن آدم ﷺ إلى سيد المرسلين ﷺ وأثار الصالحين وألفاظهم في الوعظ والترغيب وسير الملوك العادلة والجانثة في رسومهم وعاداتهم، وأخبار الأمم المتقدمة وقائع العرب وأيام العجم ومُلح الظرفاء ونواديرهم ورسائل الكتاب ودواوينهم.

وعلم اللغة، وهو معرفة الأسماء والتصارييف والنحو والشعر والمشتق والموضوع واختلاف العرب في المعاني.

وعلم الطب، وهو معرفة الأغذية والأدوية والطبائع السفلية.

وعلم النجوم، وهو معرفة الأفلاك والنيرات وسير الكواكب المسعودة والمنحوسة والأحكام المتعلقة بها.

وعلم الرؤيا، وهو معرفة الأحلام الكاذبة والصادقة وحديث النفس وإلهام الملك وسواس الشيطان وغلبة الطبائع وفسادها واعتدالها.

وعلم الحساب، وهو معرفة الأصول والأعداد.

وعلم الهندسة، و[هو] تقدير الأشياء ومعرفة مقاديرها.

وعلم الأنساب^١، وهو معرفة أوائل الأشياء وأصول العالم وفروعها.

وعلم الآداب، وهو معرفة الكتابة والفروسيّة والرّمي والسباحة.

وعلم الزّجر والفال، وهو الوقوف على الصّور والألوان وأصوات الطّيور

واختلاج العروق وغير ذلك ممّا جرت به مذاهب العرب والعجم.

وعلم الحِرَف، وهي الحيل المطلقة للعباد التي يصلون بها إلى مصالحهم.

و علم الملاهي، وهو ما يتلذذ به الخلق فيما بينهم مما أباح الله ورخص فيه ليكون لهم عدة على أداء ما فرض عليهم واجتناب ما زجروا عنه.

و علم المناكير، وهو علم الضرب والقمر^١ و الزمر^٢ وغير ذلك.

و علم السحر والتيرنج وأشكالهما مما لا يصل إليه العبد إلا بمعصية.

فهذه أقسام العلوم المجملة عندنا، والله أعلم.

وقيل: العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه^٣.

وقال بعض السلف: ما جاءني ذو فن إلا غلبني ولا ذو فنون إلا غلبته.

و ذكر لنا عن الشافعي قال: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الفقه نبيل

مقداره، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب

الحديث قويت حجته ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقد قيل: من اكتفى بالكلام دون الفقه والزهد تزندق، ومن اكتفى بالزهد دون الفقه

والكلام تبذع، ومن اكتفى بالفقه دون الكلام والزهد تفسق، ومن تفنن في الأبواب

كلها تخلص.

و ذكروا عن محمد بن الحسن^٤ قال: لا يدرك علمنا هذا - يعني الفقه - إلا مكفئ زكي

مشته. ثم قال: وأين عبد مكفئ زكي وليس بمشته؟!

فالعلماء سرج البلاد وزين العباد وأنجم الدنيا ومصايح الدجى وأطواد النهى، بهم

ينشرح الصدور ويتضح الأمور، وهم دعائم الأحكام و منار الإسلام ومفرغ الأنام.

فصن العلم و ارفع قدره و ازرع حقه و قرأه و اعتصم بحبله و امض على نهجه،

يهدك إلى الحق و يرشدك إلى الصدق، والله المرشد الهادي، ولا قوة إلا به.

١. القمار

٢. التزمر.

٣. الكلام لأمر المؤمنين علي عليه السلام، كما في كنز الفوائد للكراچكي (الطبعة الحجرية) ١٩٤، وفي عبون الحكم

والمواعظ للواسطي ٥٤: العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل شيء أحسنه.

٤. لعلة محمد الشيباني المتوفى سنة ١٨٩.

ذكر الأدب

قال الحافظ رحمته الله:

الأدب على ثلاثة أوجه:

أدب اللسان، وهو صونه عن الكذب والغيبة، وتقويم اللفظ عند الوصف والعبارة. وأدب القلب، وهو حراسته عند الخواطر الواردة عليه، وحفظه عند الشكوك العارضة والظنون الكاذبة، وربطه عند البلاء بالصبر وعند القسمة بالقناعة وعند الحكم بالتسليم وعند المصلحة بالتوكل وعند الأمر بالإخلاص والتعظيم وعند النهي بالخشية والهيبة.

وأدب النفس في الخلوة، وهو منعها عما يشينها عند الله وعند الخلق، وحملها على ما يزينها عندهم

و الأدب أصله الدعاء إلى الألفاظ الجميلة، وهو مأخوذ من المأدبة، وهي الدعاء إلى الوليمة.

وقيل: الأدب أربعة أشياء: عرفان وقت كلامك، والإيجاز في لفظك، والإبلاغ لبغيتك، والرضا من الكلام بأقل من حظك.

وقيل: الأدب أولى بالمرء من النسب، وهو أعدل شاهد على الحسب.

وفي المأثور عن الرسول ﷺ قال: المؤمن يتأدب بأدب الله سبحانه ^١.

١. في البحار: ١٥٧/٧٤ نقلاً عن تحف العقول عن النبي ﷺ إن المؤمن يأخذ بأدب الله.

و سمعتُ بعضَ الأدباءِ قال: أوصى أبو العباسِ ثعلبُ^١ ابنه، فقال: يا بني، عظمتُ الملوكَ أباك وكان أحدَ رعيّتها، وعبدت الرعيّة ملوكها فشتان ما بين عابد و معبود. يا بني، لولا أدبُ أبيك لكان للملوك بمنزلة العبيد حملاً أو للإبل حملاً. ثم أنشأ يقول:

خير ما ورث الرّجال بنينهم	أدب صالح و طيب ثناء
فهو خير من الدرّاهم و الدّينار	في يوم شدّة و رخاء
تلك تفنى و العلم و الأدب	الصّالح لا يفنيان حتّى اللقاء
إن تأدّبت يا بني صغيراً	كنت يوماً تُعدّ في الرّفعاء

١. أحمد بن يحيى، نحويّ، كان إمام الكوفيّين في بغداد في زمانه. مات سنة ٢٩١. و من آثاره المعروفة: الفصيح في اللغة.

ذكر العقل

قال الحافظ رحمته الله:

إنَّ أبلغ ما احتجَّ الله به على عباده العقل، فهو الدالُّ على الله بصنعه والداعي إليه بحججه، وبه يتفاضل الخلق ويحسن الخلق وتزكو الأفعال وتصفو الأقوال وتصحَّ الأحوال وتتحقَّق الآمال.

وقال الصادق عليه السلام: ركَّب الله تعالى العقل في الملائكة بغير الشهوة، وركَّب الشهوة في البهائم بغير العقل، وركَّبهما جميعاً في بني آدم. فمن غلب عقله شهوته كان خيراً من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله كان شراً من البهائم^١. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾^٢.

واختلفوا في حقيقة العقل:

فهو عند اللغويين مشتقٌّ من عقال البعير، ومعناه أنَّ الله به عقل الخلق، أي منعهم عمَّا فيه فساد دينهم وفساد ذات بينهم.

وعند المتكلمين قوَّة مميّزة، تميّز بين الحقِّ والباطل.

وعند الفلاسفة الإصابة بالظنِّ ومعرفة ما لم يكن بما قد كان.

وعند الأطباء صحَّة الطبائع واستقامتها.

١. رواه الصدوق رحمته الله في العلل ٥/١ عن الصادق عن علي عليه السلام. انظر البحار ٢٩٩/٥٧.

و عند الزَّهَاد هو عقد من العقود بين الحقِّ والباطل وبين الكفر والإيمان، فإذا انحَلَّ العقد صار العبد كافرًا بالله.

وقيل: العقل هو عقد^١ عن الباطل لصاحبه يشرح الحقَّ له، والهوى هو عقد^٢ عن الحقِّ لصاحبه يتزيّن الباطل له.

وقيل: العقل أن تتقدّم في كلّ أمر يستقبلك قبل حلوله بك، فإن عجزت فالحذر عند وقوعه، وإن عجزت فالأقرب إلى التخلّص منه.

وفعل العاقل تأخير العقوبة في سلطان الغضب و تعديل مكافاة المحسن والأناة^٣ في كلّ محدث متشابه.

وقيل: العقل هو العلم بدقائق الأمور. قال الله تعالى: ﴿و تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾^٤.

وفيما يؤثّر عن رسول الله ﷺ قال: رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة النَّاسِ و التودّد إليهم^٥.

و العقل على وجهين: عقل حجةٌ و عقل كرامة؛ فعقل الحجة الدلالة، و عقل الكرامة العدة. و الوليّ و العدو يشتركان في عقل الحجة، و هو الذي يسمّى عقل الإنسانيّة، و يقال هو العقل الغريزيّ.

وقيل: العقل على وجهين: مطبوع و مسموع؛ فالمطبوع ما طبع عليه الإنسان، و المسموع ما اكتسبه العبد بالاجتهاد و ما تولّد من التجربة.

و العقل على اثني عشر وجهاً:

أوله: عقل الضّرورة، و هو ما يستدلّ به على الصّانع و يميّز بين الصّحيح و الفاسد، و يعرف المضارّ من المنافع و الحسن من القبح.

١ و ٢. لعل الصحيح: عقل، أي منع و مانع.

٣. الإعراض. كذا في هامش الأصل.

٤. العنكبوت: ٤٣.

٥. راجع الجامع الصّغير ٣٢/٢ و ٣٣.

و الثاني: عقل الإيمان، وهو ما يدلّ المؤمن على صحّة الدّين و فساد الشّرك.
 و الثالث: عقل يدلّ العبد على متابعة الرّسول ﷺ و ينهأ عن مخالفته.
 و الرّابع: عقل يدلّ على موالاة أهل الحقّ و معاداة أهل الباطل.
 و الخامس: عقل المطيعين، وهو ما يدلّ العبد على إيثار ما أمر به و اجتناب ما نهى عنه.

و السّادس: عقل المستقيمين، وهو يدلّ العبد على إقامة ما أباح الله بالعدر و الحجّة.
 و السّابع: عقل الرّهأد، وهو يدلّ العبد على ترك الدّنيا و طلب العقبي.
 و الثّامن: عقل الصّديقين العارفين، وهو يدلّ العبد على صفاء الهمة و صدق الإرادة.

و التّاسع: عقل الأوصياء، وهو يدلّهم على قبول ما ألقى إليهم من الرّسل من العلوم و الحكّم و على احتمال ما نزل بهم من المحنّ.
 و العاشر: عقل النّبیین، وهو يدلّهم على احتمال المحنّ على الدّعوة و حفظ الشّريعة كما علّمهم الرّسل.

و الحادي عشر: عقل الرّسل، وهو يدلّهم على احتمال العجائب و قبول الوحي و رؤية الملكوت و تبليغ الرّسالة و أداء الأمانة.

و الثّاني عشر: عقل الملائكة، وهو يدلّهم على إيمان العبادة و رؤية المنّة و حفظ الهيبة و تبليغ الرّسالة إلى الرّسل. فعقولهم أنزه لمبائنتها عن أضدادها، لكن الرّسل أكمل عقولاً لأنهم أفضل البريّة و لمقارنة المحنّ بهم و نزول البلاء عليهم، فهم كانوا مع هذه الأوصاف يطّلعون على الغيوب و يقاسون البلاء.

و لقد حفظ رسول الله ﷺ آثار المرسلين و مقام الكروبيّين و أوصاف الرّوحانيّين و أحوال المقرّبين و المبعّدين و درجات النّعيم و دركات الجحيم في ليلة واحدة.

و لقد قال ﷺ: إنّ الله سبحانه رفع لي الدّنيا فرأيت ما يكون في أمّتي إلى يوم ينفخ في الصّور

وقال ﷺ: زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها^١.

وقد قال ﷺ: أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم^٢.

وموضع القلب الدّماغ، وقيل: العقل^٣ وقيل: موضعه القلب وقوّته من الدّماغ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعني عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^٤. وقال يصفُ رسول الله ﷺ: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^٥ وإنّما رأى ما رأى بما أيده الله تعالى من زيادة العقل.

وسئل بعض الحكماء: ما حرفة العارف؟ وما حرفة العاقل؟ وما حرفة العالم؟ فقال: العارف يناجي ربّه بنور المعرفة، والعاقل يدبّر أمر خدمته برأي العقل، والعالم قائم يستدلّ بعلمه على الصّواب.

فظوبى لمن أكرمه الله بالعقل وأسعده بصحبة العقلاء، وويل لمن حرّمه الله ذلك، فإنّ سبب النّجاة العقل، وبه ينجو العبد من العقوبات، ويصعد إلى الدّرجات، ويصل إلى الكرامات.

وقيل: العاقل عطار عطره فائح وودّه لائح.

ولقد قلتُ في بعض كلامي: رؤية العاقل تفيد الحكمة، ورؤية الجاهل تبيد الخطرة^٦. صحبة العاقل طرب، وصحبة الجاهل كرب. موت الجاهل خيرة، وموت العاقل حسرة. خاتمة العاقل السّعادة، وعاقبة الجاهل الشّقاوة.

١. المناقب لابن شهر آشوب: ٩٨١، البحار: ١٣٦/١٨.

٢. مشكاة الأنوار: ٤٤٠.

٣. في تحف العقول: ٣٧١ عن الصادق عليه السلام: وموضع العقل الدّماغ.

٤. سورة ق: ٣٧ وراجع الكافي: ١٦١.

٥. النّجم: ١١.

٦. كذا في الإصل.

وسئل مطرف بن عبدالله^١: ما الذي لا تعلم له وما الذي لا تغيير له وما الذي لا مرد له وما الذي لا حيلة له؟ قال: تعلم العقل و تغيير العنصر و دفع القدر و حيلة الموت. و في العقل كلام من وجه آخر شرط بيانه غير هذه المواضع، فاعلم ذلك.

١. أبو عبدالله، زاهد من كبار التابعين، له كلمات في الحكمة مأثورة. مات سنة ٨٧.

ذكر الحكمة

قال الحافظ رحمته الله:

الحكمة أعلى درجات العلماء لأنها العلم الذي لا يقترنه^١ شبهة ولا يشوبه شك وهو عند المتقدمين الفلسفة، وهي الحكمة الخالصة التي لا شبهة فيها، وهي علم الأنبياء عليهم السلام. قال الله تعالى: ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة﴾^٢.

وقال في داود: ﴿وآتينا الحكمة وفصل الخطاب﴾^٣. وقال: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾^٤.

وقال في وصفه عيسى عليه السلام: ﴿ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾^٥.

وقال يشني على سيد الأنام محمد المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾^٦.

وقال يمدح كتابه: ﴿حكمة هالغة فما تغني التذر﴾^٧. وقال: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا﴾^٨.

١. في الأصل: يقربه.

٢. النساء: ٥٤.

٣. ص: ٢٠.

٤. البقرة: ٢٥١.

٥. آل عمران: ٤٨.

٦. الجمعة: ٢.

٧. القمر: ٥.

٨. البقرة: ٢٦٩.

وقد اختلف العلماء في معناها؛ فروي عن رسول الله ﷺ قال: رأس الحكمة مخافة الله^١ وخير ما ألقى في القلب اليقين^٢.

وقيل: الحكمة إخراج عواقب الأمور عن الغيوب عند ابتدائها.

وقيل: الحكمة الإصابة و وضع الأشياء مواضعها.

وقيل: في الحكمة إصابة الحق و معرفة الخلق و إقامة الصدق.

وقيل: الحكمة على ثلاثة أوجه: حكمة القول و هي تحسين الألفاظ و تقويم

العبارات، و حكمة العقد و هي حفظ الإرادات و تصحيح الخطرات، و حكمة العقل^٣

و هي اجتناب المحظورات و إقامة المفروضات.

وقيل: الحكمة الصبر في النوائب و النّظر في العواقب.

و الحكمة عندي - والله أعلم - عبارة عن الوحدانية و إشارة إلى الفردانية و دلالة

على الزبونية و هداية إلى العبودية، يرى العبد بنورها الأحكام الإلهية، و يسلك بعفتها

طرق الخصوصية. بحرها القرآن و غواصها الإيمان، إيمان الغيب مع نفي العيب، أصلها

الزّهادة في الدنيا و مخالفة الهوى و الاقتداء بالمصطفى، و فرعها الرضا بالقضاء

و الأنس بالمولى و النّظر إلى العقبي، و ثمرتها رؤية المنّة و صدق الإرادة و جهد

العبادة، و طريقها الاستدلال بالشواهد و الآيات، و الاعتبار بالحجج و العلامات،

و الفكر في تحويل الحالات، و التّضرّع إلى الله سبحانه في الخلوات.

و فيما يؤثر عن رسول الله ﷺ قال: الحكمة ضالة المؤمن حيث ما وجدها قيدها، ثم

ابتغى ضالة أخرى^٤.

١. الجامع الصغير: ٣٢/٢، ورواه القمي مع الجملة التالية في تفسيره: ٢٦٦، راجع البحار: ٢١١/٢١.

٢. رواه الصدوق في أماليه: ٢٩٢ و رواه المفيد في الاختصاص: ٣٤٢ راجع البحار: ١٣٣/٧٤.

٣. لعلّ الصحيح: العمل أو الفعل.

٤. في محاضرات الأدباء: ٥٠/١ عن النبي ﷺ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها قيدها.

و سمع ابن جريج^١ كلمة حكمة، فقال: ضالتي ورب الكعبة.
 و ذكر عن بعض السلف، قال: قالت الحكمة: إذا طلبتني فلم تجدني فانظر أحسن ما
 ترى فاعمل به، و انظر أسوأ ما ترى فاجتنبه.
 و قال يحيى^٢: الحكمة عرائسي^٣ فإذا وجدت واحدة منهن قيدتها بقلبي و أدخلتها
 خزانتي، فأنى لها غير.

و قيل: راحة الحكماء في وجود الحق، و راحة السفهاء في وجود الباطل.
 و قيل: الحكمة سُلم إلى الباري، من عدمها عدم القرب من باريه.
 و قيل: من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالقار.
 و اعلم أن أصل الحكمة وجود الصواب بتصديق الأثر و الخبر، و سبيلها الصدق
 و الإخلاص لله وحده لا شريك له، و علامتها رفض الدنيا و نسيان الخلق و طلب
 العقبى و الإقبال إلى الحق، و ظاهرها ترك الذنوب، و باطنها إصلاح العيوب، و الله
 تعالى لشرفها و فضلها سمى نفسه حكيماً.
 فأول درجة الحكمة موافقة العقل، و أوسطها إظهار العدل، و أقصاها بذل الفضل،
 و هي أجل من الدرّة المكنونة في الخزائن المصونة؛ لأنها تدل على الحق و تدعو إليه
 و تنهى عن الباطل و تزجر عنه و تقرب إلى الله عزّ و جلّ في دار البقاء و تبلغ منازل
 الأصفياء، و هي حياة الأرواح و قوّة الأشباح، و لقاح الأبواب و فصل الخطاب. فطوبى
 لمن أكرمه الله بالحكمة و منّ عليه بها، بها يرجئ في المهمّات و يفزع إليها في
 المعضلات؛ لأنها جواهر ذات أثمان يقصر عنها الوصف و البيان، كنوز مرغوبة
 و ذخائر مطلوبة و معانٍ محجوبة و خزائن مقلّدة و فضائل مهملة، لا يطّلع عليها إلا
 العلماء الراسخون، و لا يبصرها إلا النجباء المخلصون، و لا يتلذذ بها إلا من قاسى

١. عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، مات سنة ١٥٠. انظر الأعلام ٤/١٦٠.

٢. لعل المراد: يحيى بن معاذ الرازي الواعظ. مات بنيسابور سنة ٢٥٨.

٣. في الأصل: عرائس.

المحنة فصبر عليها، وسُقي بكأس المحبة فسكر منها، فخاض بحر المودة فغاص فيها،
 وصعد عقبات البلايا فهبط منها، وعبر قناطر الامتحان ورتع في رياض الإيمان وذاق
 لطائف الإحسان و فاز بحقائق الرضوان وعصم من وساوس الشيطان، قد قلّد سياسة
 العباد و صلح به فساد البلاد، أقعد على موائد السرّ و أمطر عليه فوائد البرّ، فألبس لباس
 الوفاء و توجّج بتاج الصفاء، هيهات لو شاهدته لرأيت أمراً عجيباً و قلباً كئيباً و عبداً منيباً،
 إذا وجدته و ظفرت به فأنخ رحلك عنده، تجد الهدى في عبارته و الشفاء في إشارته،
 إن شاء الله.

[في ذكر المعرفة]

قال الحافظ حفظه الله:

المعرفة نور يبصر به العبد حقيقة الإسلام وبطلان الشرك، ويدلّه على تحقيق النبوة وتصديق الرسالة، ويهديه إلى الصراط الأعظم والطريق الأقوم. وضدها النكرة، وهي ظلمة تحجب القلب عن إدراك الحق، وتزيّن له الباطل، وتحنّ عليه.

ومن أشكال المعرفة:

اليقين، وهو استقرار القلب على حقيقة الإيمان. وضده الشك، وهو اضطراب القلب في أحكام الدعوة.

والذهن^١ وهو نور يرد على القلب شبه الانتباه وليس بالانتباه. وقيل: هو جلاء القلب عن رين الغفلة. وضده غشاوة تغطّي القلب شبه العمى.

والانتباه من غفلة أهل الشرك وحيرة أهل الإلحاد وسكرة أهل الضلالة. وضده نوم الغفلة، وهو ثقل يرد على القلب، يضعف عندها عن قبول خواطر التوحيد.

والعقل، وهو نور يدلّه على إثبات الصانع و وحدته وشكر المنعم وخدمته. وضده الهوى، وهو صفة تثبت هناك فيشتبه عليه الحق.

والبصر، وهو نور يدرك به صحّة التوحيد، ويبصر به حقائق المنّة. وضده العمى، وهو حجاب يحجب القلب عمّا يهدي إليه البصر.

١. الذهن جمعه أذهان: الفهم والقوة في العقل. والذهن جمعه أيضاً أذهان: الفطنة والذكاء.

و الفهم - وهو ناقد الإيمان - نور يميّز به العبد حجج التوحيد من دواحض الشّرك و يدرك به معاني التوحيد. و ضده الوهم، و هو ظنّ يخيل إليه الحقّ باطلاً فيشتبه عليه ما ينقده فهم الموحّد و نيّته في حسابان الملحد.

و الفطنة، و هو نور يطّلع به العبد على إشارات الموحّدين. و ضده الحيرة، و هو كلال يترك القلب كالتائه الضالّ فلا يبصر إلّا المصّرّح من أحكام الدّعوة.

و الحياء، و هو خجل يرد عند ورود الشّبه عليه. و ضده البذاء، و هو جرأة تحمله على قبول تلك الخواطر.

و الحياة، و هو حركة القلب عند أنوار التوحيد و قوّته في قبول حججه. و ضده الموت، و هي خمود أنوار القلب و ضعفه عن قبول الحجّة.

و الخوف، و هو فرغ القلب عند خواطر الشّرك و مخالفة الحقّ. و ضده الأمن، و هو سكون الفزع مع نسيان العقوبة.

و الرّجاء، و هو الطّمع الصّادق و الإرادة الصّحيحة لثواب أهل الإيمان. و ضده الإياس و هو فقدان تلك [الإرادة] فهذه أشكال المعرفة.

و اعلم أنّ المعرفة عند بعض المتكلّمين اكتسابيّة و هي العلم بحقيقة الشّيء، و اللغة لا تفرق بينهما إلّا فرقاً ضعيفاً.

و سئل أبو يزيد البسطامي عن حقيقة المعرفة، فقال: المعرفة بالله، الحياة بذكر الله. قيل: فما حقيقة الجهل بالله؟ قال: الغفلة عن ذكر الله.

و قيل: أساس المعرفة العلم بالقدرة و العقد عليه باليقين.

و قال ذوالنون ابن إبراهيم المصري: المعرفة على ثلاثة أوجه: معرفة بالوحدانيّة من طريق الخبر على لسان الحجّة بدليل الكتاب و السنّة، و معرفة بالفردانيّة من طريق العظمة على لسان التوحيد بدليل الجود و الكرم، و معرفة بالقدرة من طريق الاجتهاد على بساط الصّفاء في ميدان الإحسان و النّعمة.

و قيل: المعرفة انكشاف الشّبهة و انجلاء الظلمة.

وقيل: المعرفة رؤية المنة في إظهار الخلقة وتحسين الصورة وإقامة الأدلة.

وقيل: المعرفة انقطاع العبارة والإشارة، وظهور الحقائق وبتلوان الدقائق.

وأما معناها على لسان التّصوّف، فالمعرفة بالله هي الجهل بالله، والجهل قبل العلم كفر وبعد العلم معرفة، وأصل المعرفة النكرة [و] ليس من حقيقة المعرفة ما دلّ عليه بالعبارة أو عناء بالإشارة^١.

حقيقة المعرفة خارجة عن الأفهام مخالفة للأوهام، لا يظهر الحقائق ما لم يبطل الدقائق.

حقيقة معرفة المعروف ليس في شيء من الحروف. اللسان والعبارة والبيان والإشارة طريق علم المعرفة وليست بمعرفة، فإذا خرس اللسان ووقف البيان فهناك وقع الكشف عن نور المعرفة وليست بمعرفة، فإذا فقد نفسه في نفسه عن نفسه وخلا قلبه عن قلبه نودي عليه بالفناء وأُنزل في مدارج البقاء، فعلى قدر تلك البصيرة كشف له عن الحقيقة

ولا يصحّ الإيمان إلا بصدق المعرفة، فإن كان الإيمان برّب مجهول فذاك كفر التّعطيل، وإن كان برّب معلوم فذاك شرك التشبيه، مجهول بنفي الصفات، معلوم بوصف الصفات والله معلوم العلم لا معلوم العيان، فصفاته للمعرفة ثابتة بلا كيف.

ومثل المعرفة والإيمان كمثل الأرض والبنيان؛ فالبنيان يثبت في الهواء على استواء الأصل، والإيمان بالغيب يصحّ على استقامة الأصل، والأرض أصل ثابت بالقدرة بلا أسباب، والمعرفة أصل قائم بالمنة من غير اكتساب.

وسئل الشبلي: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف الله ثم عصاه، والمعرفة بالله^٢ وحياة القلب مع الله، ومن جهل قدره هتك ستره.

وقيل: المعرفة رؤية الربّ من طريق الدلالة، فقد سأل أعرابي أمير المؤمنين

١. في الأصل: ما دلّ (دلّت) عليه العبارة أو عناء (عنته) الإشارة.

٢. كذا في الأصل.

صلوات الله عليه وعلى ذريته فقال: هل رأيت الله؟ قال: ما كنت لأعبد شيئاً لم أراه! قال: وكيف رأيت؟ قال: لم تره الأبصار مشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيتته، هو الله لا إله إلا هو. قال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل الشرف^١.

وقد قيل: المعرفة مشاهدة الحق ونسيان الخلق، وعلو الهمة في أوطان المنة.
وقيل: العلم علم جهل، والمعرفة معرفة إنكار، والتوحيد توحيد إلحاد، والمشاهدة مشاهدة جحود.

وقيل: المعرفة ورود الأنوار على الأسرار فتضييق عن احتمال ما أشارت إليه من النعوت والصفات، فالمتأمل مصروف والمتفكر محجوب.

وقيل: المعرفة كشف الحجب الجسمانية ورفع الأستار الروحانية حتى لا يبقى ستر ولا حجاب، فيظهر الحق للمحق وينقطع المحق إلى الحق، فزال الواسطة بين الحقيقتين المتصلين اقتراناً واقتداراً.

وقيل: المعرفة مع المؤانسة، والمؤانسة مع الوحشة، والوحشة مع الفرقة، والفرقة مع الحرقة، والحرقة مع الغربة، والغربة مع القربة، والقربة مع الوصلة، والوصلة مع الرؤية، وهي زوال الشبه عن خواطر العارف.

واعلم أن للمعرفة وجوهاً ومراتب، فأوله معرفة الله عز وجل بأن يعرفه بالوحدانية والعلم والقدرة والحكمة والقُدْمة والبقاء والعظمة والكبرياء والرأفة والرّحمة والمشيئة والإرادة.

ثم معرفة الرّسل بالصفاء والطّهارة والقدوس والرّسالة والعلم والنّبوة والآيات والمعجزة.

ثم معرفة الكتب المنزلة بالصدق والحقيقة والحجّة والحكمة والنّظم والإعجاز واللفظ والإبلاغ.

ثم معرفة الشرائع بالحدود والأوقات.

ثم معرفة ولاة الأمر بالإمامة والخلافة والعدل في القضيّة والحكم في البرية ومراتب الفاضل والمفضول.

فأول ما يجب على الإنسان معرفة نفسه بما ركّب الله عزّ وجلّ فيه من العجائب اللطيفة والآثار الشريفة الدالة على صانعها ومبتدعها. فقد قيل: من عرف نفسه فقد عرف ربه^١.

ثم معرفة العالم، فإنّ فيها عجائب الصنع ولطائف التدبير وآثار الربوبية وأعلام الإلهية من الخلق العجيب والعقل اللطيف، وهي الأنفس والآفاق.

ثم معرفة الأمر والنهي اللذين يقربان العبد إلى ربه إذا رعاهما، ويبعدان عنه إذا ضيعهما.

ثم معرفة الوعد والوعيد اللذين جعلوا باب الخوف والرجاء، وسبب الثواب والعقاب.

ثم معرفة الأولياء والأعداء فيتولّى الولي ويتبرأ من العدو، فإنّ الحبّ والبغض في الله فريضان على العباد.

ثم معرفة الآفات التي تدخل في أعمال العبد فتبطلها وتفسدها، فإنّ اتقاء الشرّ أفضل من فعل الخير. وقيل: دوام الفقر إلى الله مع التخليط أفضل من دوام الطاعة مع العجب.

ثم معرفة الخلق ليعاملهم على قدر عقولهم ومراتبهم، فلا يضع الأبرار ولا يرفع الفجّار.

ثم معرفة الزمان والآيام حتّى يصبر على المحن الواردة [و] على ما يقاسى من دول الأشرار.

١. انظر مصباح الشريعة ١٣، مطلوب كلّ طالب ٥، عيون الحكم والمواعظ ٤٣٠.

ثمَّ معرفة الأغذية والأدوية ليقتصر على ما هو أقرب إليه نفعاً وأبعد منه ضرراً، ويصل بقوة تلك المعارف إلى ما فيه صلاح دينه وقوة جسمه واعتدال طبعه واستقامة أسبابه.

واعلم أن أول أحوال العارفين التحير عند المشيئة. ثم الافتقار إلى الرحمة. ثم الاحتقار في العظمة. ثم الاعتبار بالأدلة. ثم الاضطراب على البلية. ثم الاضطراب عند القدرة. ثم التحير؛ وهي الحالة التي تورده عليه الخرس والعمى والبكم حتى كأنه ميت انقطاعاً إلى الله ولهاً عليه، فجفت أوصافه ونفدت أنفاسه. سروره ممزوج بحزنه، وحزنه ممزوج بسروره، له حنين التكللي وأنين المرضى.

ولقد قلت في بعض كلامي: علامة العارفين عشرة أشياء:

أولها: انبساط القربة مع هيبة الربوبية.

والثاني: جهد العبادة مع رؤية المنة.

والثالث: حياء المراقبة مع يقين المشاهدة.

والرابع: صدق الإرادة مع حسن المعاملة.

والخامس: حسن الظن مع وفاء العبودية.

والسادس: ترك الدنيا على موافقة السنة.

والسابع: خوف القطيعة مع طمع الوصلة.

والثامن: صفاء الهمة مع استقامة الطاعة.

والتاسع: كمال الفتوة مع تمام المروءة.

والعاشر: أدب الخدمة مع أنس الصحبة.

وقيل: مثل المعرفة في القلب كمثل شجرة نابته في أرض سبخة؛ ساقها اليقين، وأغصانها التوكل، وأوراقها الشوق، وثمرها المحبة. فالطاعة للسبخة طينها، والذكر

للشجرة ماؤها، والتفكر للساق تنقيته عن نوابع^١ منابته، والعزلة للأغصان تهذيها، والإخلاص للأوراق حرزها عن مهب رياحها. فإذا استوسقت الشجرة واعتدلت أغصانها والتفت أوراقها وطاب أرض مغرسها بطاعة دائمة - والطاعة تطيينها، ويقوت الشجرة بالماء الدافق عند أصلها، والذكر ماؤها فيرويهما - استقامت واستقرت، فإذا استقامت واستقرت كثرت الأطماع فيها من جهتها، يكاد الساق أن يخرج أغصاناً وهو الشك يخالط اليقين، وتكاد الأغصان أن تنحني وهو المراد^٢ يفسد التوكّل، وتكاد الأوراق أن تنتثر لهبوب الرياح عليها وهي وساوس الشيطان يريد أن يحجب بين صاحبها وإرادة الشوق للوصول إلى ثمرة المحبة. فإذا سلمت الشجرة عن هذه العاهات، ظهر بها نضارة الرضا فيتقلب صاحبها في حسنها ويتمتع بزهرتها ونضارة بهارها^٣ إلى أن يثمر المحبة فيجتنيها بيد العبودية ويقضمها بأسنان المنّة، ذلك ثمار المعرفة وشراب المحبة.

١. في الأصل: نوابع.

٢. كذا. ولعلّ الصحيح: المرء.

٣. أي جمالها.

[في ذكر اليقين]

قال الحافظ حفظه الله:

اليقين هو الطمأنينة بالشئ و استقرار القلب عليه. يقال: أيقن الماء في الحفرة: إذا استقرّ. و ضدّه الشكّ، وهو تردّد القلب بين النّفي و الإثبات.

و باليقين يستقيم العبد على الطّاعة، و به يزهد في الدّنيا و يتركها، و يطلب الآخرة و يرغب فيها. و بالشكّ يؤثر الدّنيا على الآخرة و ينسى الموت و يصرّ على المعصية. و عدّز الله عبداً كفر لسانه و أيقن جناحه خوفاً على نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلاّ من أكره و قلبه مطمئنّ بالإيمان و لكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم﴾^١ و لم يعذر من آمن لسانه و شكّ جناحه، و هم المنافقون؛ قال الله عزّ و جلّ: ﴿و من النّاس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين﴾^٢.

و في المأثور عن رسول الله ﷺ قال: ما أخاف على أمّتي إلاّ ضعف اليقين^٣.

ذكر عن الحسن^٤ قال: باليقين يبلغ العبد الجنّة و باليقين يهرب من النّار.

و قال الثّوري^٥: لو أنّ اليقين ثبت في القلب كما ينبغي، لمات الإنسان ترحاً^٦ أو طار فرحاً.

١. النحل: ١٠٦.

٢. البقرة: ٨.

٣. الجامع الصّغير: ٢٤٠/٢ نقلاً عن البيهقي في شعب الإيمان.

٤. الظاهر أنّه الحسن البصري.

٥. هو سفيان بن سعيد الثوري، مات سنة ١٦١ في البصرة.

٦. التّرح: الحزن و الهمّ.

وإنَّ الخليل عليه السلام طلب مشاهدة فعل الربوبية ليطمئن قلبه، وهو الزيادة في اليقين حين قال: ﴿ربَّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن﴾ يعني توقن ﴿قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾^١ عنى قلب أصحابه، فإنَّ اللعين^٢ قد شكَّكهم في إحياء الموتى بما التبس عليهم من قتل واحد وإبقاء آخر^٣.

وقد أراه الله ملكوت السماوات والأرض ليكون من الموقنين^٤.

وعرضت الملكوت بما فيها على المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله وأطلع على أسباب الغيب إلى يوم القيامة ليلبغ أعلى درجات الموقنين.

وإصطفى الله سبحانه أقواماً بالإمامة ليقينهم وصبرهم؛ قال الله تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾^٥.

وأظهر في العالم أدلةً وآيات لأهل اليقين. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾^٦.

واليقين على وجوه:

يقين يقع بعد الحسِّ، وهو الذي لا يشوبه شك.

و يقين بالأخبار الصادقة.

و يقين المستدلَّ بعد قيام الدلالة الواضحة.

و يقين العارفين بتوحيد الله.

و يقين المطيعين بوعد الله ووعده ..^٧.

١. البقرة: ٢٦٠.

٢. أي نمرود؛ فرعون إبراهيم الخليل.

٣. إشارة إلى الآية ٢٥٨ من البقرة، قال: أنا حيي وأميّت.

٤. إشارة إلى الآية ٧٥ من الأنعام.

٥. السجدة: ٢٤.

٦. الذّاريات: ٢٠.

٧. هنا سقط من الأصل بقدر سطر.

ويقين الأنبياء والرسل بالآيات الملكوتية والآثار العلوية والدلائل الربانية والأسرار الإلهية، وهو أشرف مراتب اليقين.

[و] عن بعض الصالحين، قال: من أيقن أن الله لا يشارك في التدبير استعتق من ذل المطامع، ومن استفتح الأبواب بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين. واعلم أن العبد لا يسلم من وساوس الشيطان ولا يعبر قنطرة الامتحان ولا يصبر على مضمض المكروهات ولا يستقيم على الطاعات ولا يؤدي الحقوق ولا يقبلها ولا يهجر أسباب الدنيا ولا يستعد للموت ولا يطلب حياة الأبد إلا بقوة اليقين؛ قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني توقن قلوبهم عند ذكره ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾^١ يعني قلوب العارفين الموحددين؛ لأن العارف إذا أيقن بغير معرفه استأنس به واطمأن على بابه، فظهرت الأيدي الشريفة منه وقبلها على قدر نفسه، فاعلمه حميداً.

ذكر الهدى

قال الحافظ حفظه الله:

الهدى على وجهين: ظاهر وباطن

أما الظاهر: فمنه الدعوة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١ أي لتدعو.

ومنه التبيين، قوله عز ذكره: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^٢ يعني ويَبَيِّنْأله الطَّرِيقَيْنِ: طريق الخير والشر. قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^٣ يقول: فَبَيَّنَّا لَهُمُ الْحَقَّ فَاخْتَارُوا الضَّلَالََةَ عَلَى الْهُدَىٰ.

ومنه الإصلاح، قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^٤ يعني لا يصلح ولا يصوب.

ومنه الرحمة، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾^٥ يعني لا يرحمهم ما داموا على

كفرهم وكذبوا. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٦.

ومنه التثبيت على سبيل اللطف، قوله جل جلاله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾^٧ يعني يَثْبِتُهُمْ عَلَيْهِ.

١. الشورى: ٥٢.

٢. البلد: ١٠.

٣. فصلت: ١٧.

٤. يوسف: ٥٢.

٥. الزمر: ٣.

٦. النحل: ١٠٤.

٧. الحج: ٥٤.

ومنه الإثابة، قوله: ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيُهِدُهُمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْفِهِمْ﴾^١ يعني سيثيبهم؛ لأنَّ هدى المقتول في سبيل الله لا يكون إلا إلى الثواب.

ومنه النجاة، قوله عزَّ وجلَّ حكاية عن أهل النَّار: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾^٢.

ومنه الحجَّة، قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلَّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هدى من الله﴾^٣ يعني بغير حجَّة.

وأما الباطن: فشرح الصدر بالأدلة الواضحة وإزالة الشبهة الشَّيطانية.

وأصل الهدى ما يهتدى به العبد من إقامة الدَّعوة وبعثة الرِّسل وإنزال الكتب وإيضاح الطَّرِيق، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^٤ وقال: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ يعني بالأدلة الباهرة ﴿ومَنْ يرد أن يضلَّهُ يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾^٥ يعني بالزيادة في الحرج ونصرة الحقِّ وقمع الباطل.

وَضَدُّ الهدى الإضلال، ومعنى الإضلال من الله: إبطال عمل الكفَّار في الدُّنيا ومنعهم في الآخرة عن الثَّواب؛ لأنَّه عادل لا يضلُّ عبده عن دينه ولا يجبره على الكفر ولا يحيره في الحقِّ ولا يشبِّهه عليه الأمر، ثمَّ يعذِّبه مخلداً في النَّار.

فإنَّ سأل عن قوله: ﴿ليس عليك هدام ولكنَّ الله يهدي من يشاء﴾^٦.

فمعناه: الثَّواب لم يكن إلى المصطفى ﷺ لأنَّه لم يعلم ضمائر من خرج من الدُّنيا على كفر كان أم على الإسلام.

فإنَّ قال: لِمَ أطلق الدَّعوة وقيد الهدى بالمشيئة قوله: ﴿والله يدعو إلى دار السَّلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾^٧.

١. محمَّد ﷺ: ٥.

٢. إبراهيم: ٢١.

٣. القصص: ٥٠.

٤. البقرة: ٣٨.

٥. الأنعام: ١٢٥.

٦. البقرة: ٢٧٢.

٧. يونس: ٢٥.

قلنا: لأنَّ الدَّعوة عامَّة استحقَّها الكلُّ، والهدى هو الثَّواب على قبول الدَّعوة لا يعطى إلا من استحقَّه.

فإن سأل عمَّا رواه عن رسول الله ﷺ: «بعثت داعياً ومبلِّغاً وليس إليَّ من الهدى شيء، و سلَّط الشَّيطان داعياً ومزبئاً وليس إليه من الإضلال شيء، بل الله يضلُّ من يشاء ويهدي من يشاء»^١ فمعنى الهدى هو الثَّواب في الجنَّة على ما قلنا، ومعنى الضَّلال العقوبة على الإعراض عن الحقِّ. فأبان ﷺ أنَّ الميثب والمعاقب على الحقيقة خالق الثَّواب والعقاب ويوصلهما إلى أهلهما على الاستحقاق؛ لأنَّه العالم بالسَّرائر والضَّمائر؛ لا يخفى عليه شيء، وكان يخفى على المصطفى ﷺ أحوال المثاب والمعاقب.

ولا يهتدي العبد إلا بهدى الله جلَّ ذكره؛ لأنَّه بعث الرِّسل وأنزل الكتب واتَّخذ الحجَّة وأعذر في النصيحة وصرَّح بالدَّعوة وأزال الشَّبهة وركَّب من الآلة ما لو تفكَّر فيه العاقل واعتبر فيه لأبصر الحقَّ وعرف الباطل، قال الله تعالى: ﴿من اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنَّما يضلُّ عليها﴾^٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّما تنشأ الفتن^٣ من أهواء تُتَّبَع وآراء تُبتدع تخالف فيها كتاب الله وسنة نبيه. أما والله لو خلص الحقُّ لم ينكره أحد، أما والله لو خلص الباطل لم يقبله أحد، ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان جميعاً فيجاءان^٤ معاً، فهناك استولى الشَّيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنی^٥. قال

١. الجامع الصَّغير: ٢١٦/١ بتفاوت يسير نقلاً عن ابن عدي في الكامل.

٢. الإسراء: ١٥.

٣. في الكافي: إنّما بدء وقوع الفتن.

٤. في الأصل والكافي: فيجئان وفي النهج: فيخرجان.

٥. رواه اليعقوبي في التَّاريخ: ١٩١/٢ والكليني في الكافي: ٥٧/٨ والرضي في نهج البلاغة الخطبة ٤٩ مع تفاوت في بعض الجمل والكلمات. راجع مصادر نهج البلاغة ١٩/٢.

الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^١.

فليت شعري كيف يتخذ المغرور الشيطان عدوًّا وإنما بزعمه أضلّه مولاة ومنعه عن الهدى وطبع على قلبه وختم على سمعه وبصره، ولا ينفعه دعاء داع مع إضلال سيّده إياه، ولا يضرّه وساوس شيطانه مع هداة إياه، بل الله أولى بالعداوة من الشيطان الضّعيف بزعم هذا البائس المقلّد لمن لم ينظر في حجج العقول الخالصة عن الميل والعصبية، والآيات المحكمة النازلة والسّنن الواردة الصّحيحة، فكيف يصف ربّه بالعدل من نسب إليه أقبح فعل وأخبث سعي، وجوّز عليه ما لا يجوّزه على أفسق فاسق وأعتى ظالم. تعالى الله عن قول الجائرين ودعوى المبطلين علوّاً كبيراً.

[في ذكر الإلهام]

قال الحافظ حفظه الله:

الإلهام في اللغة إيصال الشيء إلى الشيء. يقال: التهم الرجل الطعام: إذا ابتلعه. فالإلهام لازم والإلهام متعدّد، وهو على لسان العامّ إيصال العلوم إلى الخواطر بلا واسطة، أو تعريف العبد ما فيه صلاحه وفساده. قال الله عزّ اسمه: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها﴾^١ يقول: فعزّفها طريق التّقوى والفجور. والإلهام فعل الملهم، والملمم هو الله تعالى. وعند بعضهم الملمم ملك مسلّط على القلب، والإلهام قوله ودعوته.

وضدّ الإلهام الوسوسة، والوسوسة قول الوسواس، والوسواس هو الشيطان، وهو يدعو إلى ضدّ ما يدعو إليه الملمم، وقد أمر الله بالاستعاذة منه، فقال: ﴿قل أعوذ بربّ الناس، ملك الناس، إله الناس، من شرّ الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس﴾^٢ وقد قيل: معناها شيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا غفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس.

وفي الأثر: يقول الشيطان: كيف يفلت منّي ابن آدم؟! فإذا غضب طرت في رأسه وإذا سكن قعدت على قلبه^٣.

وروى أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ قال: لولا أنّ الملائكة تذبّ عنكم الشيطان

١. الشمس: ٧.

٢. سورة الناس.

٣. راجع الدرّ المنثور: ٣٦٥/٥ والمصنّف لابن أبي شيبة: ٢٣١/٨.

كما تذبّ الزنابير عن اللحم لأكلتكم الشيطان كما تأكل الزنابير اللحم^١.
 وذكر عن ابن مسعود قال: ما من أحد من ابن آدم إلا وله لمتان: لمة من الملك، و لمة
 من الشيطان. فلمة الملك أتعاد بالخير وتصديق بالحقّ وتطيب بالنفس، و لمة^٢
 الشيطان أتعاد بالشّرّ وتكذيب بالحقّ وتخييب بالنفس^٣.
 قال الحافظ:

و الملك يدعو إلى ترك الدنيا و طلب الآخرة و مخالفة الهوى و ترك الشهوات
 و ذكر الموت و قصر الأمل و حراسة القلب و إخلاص العمل و ذكر المنة و شكر النعمة
 و حسن الظنّ بالله و كثرة الذكر له و أشكال ذلك.

و الشيطان يدعو إلى طلب الدنيا و نسيان الآخرة و موافقة الهوى و متابعة الشهوات
 و طول الأمل و الزّكون إلى الدنيا و الحرص عليها و الرّياء عند الأعمال و الإعجاب بها
 و الشكّ في الموعود و سوء الظنّ بالله و الإعراض عنه و هتك السّتر عند حلول
 المصائب و كفر النعم و السخّط عند الحكم و أشباه ذلك من أضرار الخير.

و النفس طالبة الشهوات، و الهوى يزيئها و الشيطان يدعو إليها، و الرّوح تشتاق إلى
 الملكوت، و العقل يدلّ عليها و الملك يدعو إليها. و القلب خزائن جواهر الحقّ،
 و الشيطان يطمع في القبض عليها و الظفر و الملك يمنعه و الهوى يعينه، و العقل
 يزجر الهوى و الرّوح تساعد و النفس توافق الهوى و تميل إليه، فمن أطاع النفس
 و أتبع الهوى و وافق الشيطان كان مثله كما قال الله تعالى يصف من أخلد إلى الأرض:
 ﴿واتبع هواه﴾^٤ فأدرسته الشقاوة و حلّت به العقوبة، و صارت عدل الكلب مبعداً عن
 الكرامة. و من خالف النفس و وافق العقل و أتبع الملك، أدرسته السعادة و ظفر بالكرامة
 و صار في المقربين المرفوعين إلى أعلى عليين.

١. راجع كتاب المؤمن: ١٦ و الاختصاص: ٣٠ و البحار: ١٦٥/٣٧.

٢. في الأصل: «امة» مكان «لمة» في جميع هذه المواضع، و الظاهر أنّها تصحيف.

٣. راجع الكافي ٣٣٠/٢ و البحار: ٣٩٧/٥٠ و النهاية لابن الأثير: ٤/٢٧٣.

٤. الأعراف: ١٧٦.

[في ذكر الحجّة]

قال الحافظ:

الحجّة اسم لما احتجّ الله به على عباده من العقول المركّبة فيهم والرّسل المبعوثين إليهم والكتب المنزلة عليهم والأدلّة الموضوعه لهم وغير ذلك من الآلّة السّليمة التي جعلت سبباً للتصرّف في أمور دينهم وديناهم.

وأصل الحجّة إقامة الدليل على تحقيق الحقّ وبطلان الباطل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلّهِ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^٢ وقال: ﴿رَسُولًا مَّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرِّسَالِ﴾^٣ وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فاستدلّ على خالقه بأفعاله، فلبّس اللعين على قومه فأحضر برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر ﴿قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم إنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فانت بها من المغرب﴾ أراد - والله أعلم - إنّ من قدر على الإحياء والإماتة هو الذي يأتي بالشمس من مشرقها، فإن كنت قادراً عليه فانت بها من مغربها ﴿فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾^٤ يعني لا يرشدهم للاحتجاج فإنهم في دعواهم مبطلون.

وقال يصف الخليل عليه السلام وأعداءه فقال: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمَهُ قَالَ أَنْعَا بِنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾

١. لعلّ الصّحيح: «الأدلة» أو «الآلات».

٢. الأنعام: ١٤٩.

٣. النّساء: ١٦٥.

٤. البقرة: ٢٥٨.

يقول: خاصمه قومه، فقال: أتخاصموني في دين الله و قد عرّفتني الاحتجاج عليكم ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ يعني الأصنام واللعين نمرود ﴿إلا أن يشاء ربّي شيئاً﴾ يعني إلا أن يصيبني ربّي مكروهاً، فأني أخاف عدله و أحذر عقوبته ﴿وسع ربّي كلّ شيء علماً﴾ يعني ملاكّل شيء علماً ﴿أفلا تتذكّرون﴾.

ثم أكّد الحجّة، فقال: ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني اللعين والأصنام المعبودة ﴿ولا تخافون أنّكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ يقول: لا تخافون خالفكم الذي يلزمكم عبادته و قد أشركتم به، و ليس لكم على ذلك من حجّة و بيان ﴿فأيّ الفريقين أحقّ بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ يقول: فأني أهل دعوى أحقّ بالأمن من العقوبة؟ من له الحجّة أو من لا حجّة له؟ إن كان لكم علم بالحجج.

ثم بيّن لمن الأمن و الحجّة، فقال: ﴿الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ يعني بشرك أو نفاق أو كبيرة من الكبائر ﴿أولئك لهم الأمن و هم مهتدون﴾ في الدنيا إلى الحجّة و في الآخرة إلى الجنة.

فلما ألزمهم الحجّة و عجزوا عن الجواب دبّروا في إهلاكه و الإضرار به من قتل و حرق أو نفي، فدّمّر الله عليهم و ردّ الكيد في نحورهم و أثنى عليه في الكتاب المنزل على النبي المرسل، فقال: ﴿و تلك حجّتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء﴾ بالحجج الباهرة ﴿إن ربك حكيم عليم﴾^١.

فدّم أقواماً أسسوا دعاويهم على الجدال دون الحجّة، فقال: ﴿والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له﴾ يقول: و الذين يخاصمون في دين الله أو يتكلّمون في ذات الله من بعد ما أقرّوا به ﴿حجّتهم داخضة عند ربّهم﴾ سمى مقالتهم حجّة على سبيل الاستعارة لأنّهم كانوا يحتجّون بتلك الشبهة على من خالفهم ﴿و عليهم غضب﴾ بما اجترؤوا على الجدال في دين الله ﴿و لهم عذاب شديد﴾^٢ بما أظهروا من التّكذيب و أصروا عليه.

١. الأنعام: ٨٤-٨٠.

٢. السّورى: ١٦.

وقال: ﴿الَّذِينَ يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم﴾ يعني بغير حجة ﴿كبير مقتاً عند الله﴾ يقول: عظم بغضاً عند الله ﴿وعند الَّذِينَ آمَنوا كذلك يطبع الله على كلِّ قلب متكبر﴾ عن قبول الحجج ﴿جبار﴾^١ بعمل ما لا حجة له

وإنَّ الله تعالى لما دعا الخلق إلى عبادته وألزمهم الإقرار بربوبيته، أقام الأدلة على تحقيق دينه بما أبدع من العالم وأحدث من الصور وأظهر من العجائب ووضع من البراهين، ولما أرسل الرسل دُعاةً إلى دينه أيدهم بالمعاجيز والبراهين والدلائل، وهي حجَّتهم وبها صحَّ دعواهم، ولما أنزل الكتب خصَّها بالنظم العجيب والتأليف العزيز وأودعها من المعاني والحكم ما أعجز أهل كلِّ عصرٍ عن معارضة تلك الكتب حتَّى صارت حجةً لمن أنزلت عليه ومن اتَّبعه

فلما انتهت الرسالة إلى سيّد الأنبياء ﷺ أقام من بعده أدلاء على دينه وشهداء على خلقه وأمناء على وحيه وخزنة لأمره وأركاناً لبلاده وأعلاماً لعباده، فظهرهم من العلل وعصمهم من الزلل وأيدهم بالكرامات وخصَّهم بالمعجزات، أتمَّ الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقي وأطواد النهى وكهوف الورى وبحور الندى، لم يتدنَّسوا بالدنيا ولم يتلبَّسوا بالطَّمع ولم يركبوا الهوى ولم يخالفوا الهدى وحفظوا شريعة الرسول وتمسَّكوا بأفضل الأصول ودلَّوا على حسن القبول، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيّد الأوصياء ووارث علم الأنبياء، ثمَّ السَّبَّط المبجَّل الإمام المفضَّل أبو محمَّد الحسن بن علي ﷺ، ثمَّ الشَّهيد المظلوم الإمام المعصوم أبو عبد الله الحسين بن علي ﷺ، ثمَّ الإمام الفاضل الزاهد العاقل أبو الحسن علي بن الحسين زين العباد وفوز الزهاد ﷺ، ثمَّ الإمام المؤيَّد العالم المسدَّد أبو جعفر محمَّد بن علي الباقر ﷺ، ثمَّ الإمام المطَّهر الأمين المهذب أبو عبد الله جعفر بن محمَّد الصادق ﷺ، ثمَّ الإمام النَّاصح العبد الصَّالح أبو إبراهيم موسى بن جعفر ﷺ، ثمَّ الإمام العادل الشَّهيد الفاضل أبو الحسن

عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، ثمّ الإمام التقيّ العالم الزكيّ أبو جعفر محمّد بن عليّ المختار عليه السلام، ثمّ الإمام الرضيّ العادل المرضيّ أبو الحسن عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام، ثمّ الإمام الوفيّ الصادق الصفيّ أبو محمد الحسن بن علي الصّامت الأمين عليه السلام، ثمّ تمت الإمامة وبلغت الحجّة وقامت الدلالة بالخلف المنتظر القائم المنتصر مهديّ الأئمة وسيّد العتره، سمّي المصطفى وكنيته، عليه وآبائه السّلام.

فهؤلاء الأئمة حجج الله بعد رسول ربّ العالمين المنكر لآخرهم كالمنكر لأولهم، لا يحبّهم إلّا السّعداء الكرام، ولا يبغضهم إلّا الأشقياء اللئام.

[و] ذكر عن الصادق عليه السلام قال: نحن شجرة النّوّة وبيت الرّحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرّسالة ومختلف الملائكة وموضع سرّ الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمّة الله، ونحن عهد الله؛ من وفي عهدنا فقد وفي، ومن وفي ذمّتنا فقد وفي، ومن خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله وعهده^١.

فتدبّر حجج الله واتّبعها، فإنّ الله يسأل العبد يوم القيامة عن حجّته، فإن أقامها رفع إلى التّعيم المقيم، فإن لم يقمها ردّ إلى نار الجحيم.

جعلنا الله وإياك من المعتصمين بحبله، المتمسّكين بدينه، المتّبعين لحججه، المستبصرين بأنواره، النّاظرين في حقوقه، القائمين بأمره، إنّه وليّ الحمد ومولاه، ومقصد الرّغائب ومتهاها.

١. لعلّ الصّحيح: و منبت.

٢. رواه الصّفار في بصائر الدّرجات: ١٧ وفي المحتضر: ١٢٩ عن كتاب منهج التحقيق عن الباقر عليه السلام مع تفاوت في بعض الكلمات والجمل. راجع البحار: ٥/٢٥ و ٢٤٥/٢٦.

إذكار اللطف والتّوفيق والحرمان والعصمة والخذلان

والتأييد والتّسديد والتّقريب والتّبعيد]

قال الحافظ حفظه الله:

التّوفيق هو لطف من الله تعالى يحصل الفعل من العبد عند حصوله، والألطف مختلفة منها كمال الآلة وسلامتها عن الآفات ودفع العوارض من الثّقيل الوارد على الجسم عند القصد إلى الفعل ونشاط القلب وزوال الشّبّه وحصول نعمة ونصر وليّ وقهر عدوّ والظفر بمُنية وغير ذلك. ولا يصل هذه الألطف إلا إلى المستحقّ لها. والتّوفيق عند الطّاعة ليس بمجبر عليها، ولا الحرمان بمانع عنها لأنهما يردان على سبيل التيسير والتّعسير لا على سبيل الجبر والمنع.

واختلفوا في معنى التّوفيق.

فمنهم من قال: تسهيل الفعل بعد كمال الآلة.

ومنهم من قال: نشاط القلب عند القصد.

ومنهم من قال: تسوية كلّ جارحة مع الفعل الواقع منها كالعين مع النّظر واللسان

مع النّطق واليد مع الأخذ والإعطاء والرّجل مع المشي. وهذا لا يصحّ لأنّه يوجب كون كلّ كافر وفاسق موقفاً.

ومنهم من قال: التّوفيق رفق الرّفيق من الملك الشّفيق للعبد بهداية الطّريق، وهو

قول الصّوفيّة.

وأما الحرمان؛ فهو منع الألطف عن غير المستحقّ لها، وهو منع يمكن معه الأداء.

وأما العصمة؛ فهو منع عن المعصية يمكن معه ارتكابها، وهي على ثلاثة أوجه: عصمة الوحي، وهي للرسل صلوات الله عليهم، قال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^١ يعني يخصك من بينهم بالوحي وما أنزل عليك من البيان. وأطاف الأئمة على سبيل التأييد يمنعهم عن الزلل الواقعة من غيرهم، ولا يكون الإمام إلا معصوماً.

وعصمة بالعجز تسقط معها الأجر.

وأما الخذلان؛ فهو تخليته بين العبد ونفسه، قال الله: ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَمَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^٢ فالتوفيق عند الطاعة والحرمان عنها، فالعصمة تمنع عن المعصية والخذلان تخليتها عندها.

وأما التأييد؛ فهو تقوية العبد على طاعته بدفع العوارض عنه، وهو أيضاً نصرة للرسل والأئمة بروح القدس، قال الله يصف المسيح: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^٣.

وعن الصادقين ﷺ: إن روح القدس موكل بالأئمة من آل رسول الله ﷺ يؤيدهم بالتعليم والتأديب. والأخبار في هذا الباب عن أهل البيت صلوات الله عليهم كثيرة^٤.

وهو للمؤمنين أيضاً بالإلهام والتعريف، قال الله تعالى يصف المؤمنين، فقال في آخر وصفهم: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^٥.

والتأييد من الله ربما يكون بالملائكة وربما يكون بالنصر، قال الله يذكر منته على المؤمنين: ﴿فَأَوْكِمْ بِنَصْرِهِ﴾^٦ وربما يكون بالتسديد والتوفيق، فمن دعاء

١. المائدة: ٦٧. وفيما قاله المصنف في معنى الآية إشكال فلا تغفل.

٢. آل عمران: ١٦٠.

٣. البقرة: ٨٧.

٤. انظر البحار: ٤٧/٢٥، باب الأرواح التي في الأئمة ﷺ وأنهم مؤيدون بروح القدس.

٥. المجادلة: ٢٢.

٦. الأنفال: ٢٦.

أمير المؤمنين عليه السلام: اللَّهُمَّ أَيْدِنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَسَدِّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ^١.

وَأَمَّا التَّسْدِيدُ؛ فَهُوَ إِرْشَادُهُ إِلَى أَبْوَابِ الْبِرِّ وَحِفْظُهُ عَنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ.

وَقِيلَ: هُوَ تَثْبِيتُ عَلَى الْحَقِّ بِالْأَلْطَافِ وَمَنْعُ عَنِ الْبَاطِلِ.

وَفِي الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَدُّدُوا وَقَارِبُوا وَاجْتَهِدُوا، فَلَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ^٢.

وَأَمَّا التَّقْرِبُ؛ فَهُوَ إِكْرَامُهُ الْعَبْدَ بِأَنْوَاعِ الثَّوَابِ فِي دَارِ الْبَقَاءِ وَتَوْفِيقَهُ لِلخِدْمَةِ فِي دَارِ الْفَنَاءِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^٣.

وَأَمَّا التَّبْعِيدُ؛ فَهُوَ إِهَانَتُهُ الْعَبْدَ بِأَلْوَانِ الْعِقَابِ فِي مَحَلِّ الْأَعْدَاءِ، فَمَنْ كَانَ ثَوَابُهُ أَكْثَرَ فَهُوَ أَقْرَبُ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَنْ كَانَ عِقَابُهُ أَشَدَّ فَهُوَ أَبْعَدُ الْأَعْدَاءِ.

وَفِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: أَقْرَبُ الْخَلْقِ غَدَاً مِنْ اللَّهِ ثَلَاثٌ: الْمُسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ، وَالْمَعْظَمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالْبَاذِلُ شِبَابَهُ لِلَّهِ، وَرَجُلٌ عَفَا عَنْ أَخِيهِ وَوَصَلَهُ وَأَعْطَاهُ وَكَفَاهُ، وَرَجُلٌ أَجَاعَ بَطْنَهُ وَأَسْهَرَ لَيْلَهُ وَأَضْمَأَ نَهَارَهُ وَأَعْرَى جِلْدَهُ وَاسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ أَنْ يَرَاهُ بَطَّالاً فِي دَارِ الدُّنْيَا.

وَالْقُرْبُ مِنَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالْمُنَاجَاةِ، قَالَ اللَّهُ يَصِفُ الْكَلِيمَ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾^٤ وَالْبَعْدُ مِنْهُ بِالْمَعْصِيَةِ وَنَسْيَانِ الْمُنَّةِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ.

وَقِيلَ: عَقُوبَةُ الْبَعِيدِ ضَرْبٌ وَعَيْدٌ، وَعَقُوبَةُ الْقَرِيبِ طَرْدٌ وَتَبْعِيدٌ.

١. فِي الدَّعَاءِ التَّاسِعِ مِنَ الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَةِ.

٢. رَاجِعْ مُسْنَدَ أَحْمَدَ: ٤٦٦/٢، صَحِيحَ الْبُخَارِيِّ: ١٨٢٧، صَحِيحَ مُسْلِمَ: ١٤١٨.

٣. الْعَلَقُ: ١٩.

٤. مَرْيَمَ: ٥٢.

[الغضب والسخط والبغض والرّحمة والرّضا والحبّ والأسف والضّحك والصّبر والحياء والملافة من الله]

فمعانيها واقعة على الثّواب والعقاب.

وقال الصّادق عليه السلام في معنى قوله عزّ ذكره: ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾^١ يعني عقابي^٢.

والرّضا والرّحمة والحبّ أشكال، والسخط والغضب والبغض أشكال.

وهو من صفة القديم على جهة الثّواب والعقاب، [و] ليس أنّه تعالى يتغيّر من حال إلى حال كال مخلوق إذا سخط عرضت له حالة وإذا رضي تحوّل من تلك الحالة. وكذلك في الغضب والرّحمة والحبّ والبغض، والتّغيّر والتّحوّل جائزان على المخلوق ولا يجوز على القديم لأنّ المخلوق محلّ الحوادث قابل لها، والقديم لا يحلّه حدث بوجه من الوجوه، لأنّ فيه بطلان القدم وثبوت الحدث.

ومنهم من قال: غضب الله أشدّ من عقوبته، ورضى الله أكبر من الجنّة. وعلى هذا التّحو أيضاً يؤثّر أخبار عن الصّادقين من أهل البيت عليهم السلام. والأوّل أولى؛ لأنّ المحقّقين أكثرهم عليه، ولأنّه لا يوجب في القديم انتقال الأحوال.

١. طه: ٨١.

٢. في التّوحيد للصدوق عليه السلام: ١٦٨ قال أبو جعفر عليه السلام: هو العقاب.

وأما ما نطق القرآن به من الرضا والرّحمة والحبّ مثل قوله: ﴿ورحمتي وسعت كل شيءٍ وأنّ الله رؤوفٌ رحيمٌ﴾^١ وقوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾^٢ وقوله: ﴿يحبتهم ويحبّونه﴾^٣ وغير ذلك فهو محمول على الثّواب والكرامة وما يكرم به أهل الجنّة من أنواع البرّ. وأما قوله: ﴿فلما أسفونا﴾^٤ قيل في تفسيرها: أغضبونا، وهذه عندي مصروفة إلى الكلّيم ﷺ.

وأما قوله: ﴿أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾^٥ فسخطه ما أنزل بهم من العقوبة من المسخ والتبديل والطمس وغير ذلك وعلى هذا النّحو قوله: ﴿غير المفضوب عليهم﴾^٦ و﴿غضب الله عليه ولعنه﴾^٧. وأما الضّحك الوارد؛ فهو إظهار البرّ مع عبده، يقال: ضحك النّور: إذا بدا. ومن حمّله على فتح الشّفاء وإظهار الأسنان لزمه الكفر وارتدّ عن الملة الحنيفيّة. والله يضحك أهل الجنّة ويبكي أهل النّار كما قال عزّ ذكره: ﴿وأنّه هو أضحك وأبكي﴾^٨.

وأما الصّبر من الله؛ فهو حبسه العبد في الدّنيا أو في البلاء، وحبسه في الآخرة عن الثّواب أو في العقاب، ليس حلول صفة مزعجة مؤلمة بذاته. وعلى هذا يحمل ما روي عن الله عزّ ذكره حين قال للخليل: أما علمت أنّ من أسمائي الصّبور؟!^٩

١. الأعراف: ١٥٦، النور: ٢٠.

٢. المائدة: ١١٩، المجادلة: ٢٣، البيّنة: ٨.

٣. المائدة: ٥٤.

٤. الرّحرف: ٥٥.

٥. المائدة: ٨٠.

٦. الفاتحة: ٧.

٧. النّساء: ٩٣.

٨. النّجم: ٤٣.

٩. المعجم الأوسط للطبراني: ٢٧١٧.

وأما الحياء؛ فهو ستره على العبد حتّى لا يطّلع على قبيح فعله.

وعلى هذا يحمل ما روي عنه تعالى: إذا وجّهت إلى عبد من عبادى مصيبة فاستقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً^١.
وقوله عزّ ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾^٢ أي لا يمتنع عن ضرب المثل وقول الحقّ، وهو على التّقريب.

وأما الملاة؛ فهو منعه الكرامة عن عبده إذا ملّ عن طاعته.

وعلى هذا يحمل قول رسول الله ﷺ: إنّ الله لا يعمل حتّى تملّوا^٣. أي لا يمتنع من كرامة العبد حتّى يمتنع العبد من طاعته، فتدبّر ما في القرآن من الآيات المتشابهات^٤ ومما ورد من الأخبار عن الرّسول صلوات ..^٥

وكّل معنى يوجب تغيير صفة القديم أو إلحاق نقص به فاعلم أنّه باطل؛ لأنّ الله لم ينزل الكتاب ولم يرسل الرّسول إلّا بتحقيق أصل التّوحيد المعلوم بالعقل السّليم والأخبار الصّحيحة، وإيّاك وقبول ما ينقض التّوحيد، فإنّ الأصول لا يخالف بعضها بعضاً. فتفكّر فيه واستعدّ بالله من أباطيل الملحدين وأقاويل الجاحدين، واعتصم بالله وتوكّل عليه، يعصمك من الرّدى ويبلغك أفضل المنى، وهو السيّد الأوفى والملك الأعلى.

١. راجع الدّعاوات للزّاوندي: ١٧٢ والبحار: ٩٢/٧١ والجامع الصّغير: ٢٤٢/٢ ومسند الشّهاب: ٣٣٠/٢.

٢. البقرة: ٢٦.

٣. الأمالي للطّوسي: ٦ وصحيح البخاري: ٤٨/٢.

٤. في الأصل: الآيات المتشابهة.

٥. هنا سقط من الأصل بقدر سطر.

ذكر أوصاف نطق به القرآن في صفة القديم مثل النَّفس
والذَّات والعين والوجه واليد والجَنب والسَّاق
والسَّعة والقوَّة والمجِيء والإتيان والجدَّ

قال الحافظ:

النَّفْس والذَّات إنَّما يراد به التَّحقيق والإثبات، تقول العرب: نفس الشَّيء وذاته إذا عبَّروا عنه على جهة الإثبات، لا يريدون تجسُّماً، قال الله تعالى: ﴿ويحدِّركم الله نفسه﴾^١. قال ابن عبَّاس: يعني عقوبته.

وقيل: لأنَّه عالم بالأسرار ومطلِّع على الصُّمائر.

والنَّفْس اسم واقع على الجواهر والأعراض، والله ليس بجوهر ولا عرض لأنَّ الجواهر تدرك والأعراض تتلاشى.

وأما العين؛ فهو في اللغة تتصرَّف على وجوه:

منها ناظر الإنسان، يدرك به الألوان.

ومنها عين الشمس.

[منها] عين القوم، وهو رئيسهم ومنظورهم.

ومنها عين الأشياء، وهو خيارها والجيد منها.

ومنها الرَّقيب، يقال: علينا عين، يعنون رقيباً.

و منها عين الماء، و هو منبعه.

و منها النقد، يقال: اشترت عيناً بدين.

و منها عين المال، و هو العتيد الحاضر.

و منها العين الذي يصيب الإنسان.

روت الرواة عن الأئمة صلوات الله عليهم عن الرسول ﷺ قال: العين حق؛ تغلى

منها القدور و تحفر منها القبور، و كاد أن يسبق القدر^١.

و منها عين الرّكبة، و هي الدّاغصة.

و منها الذهب.

و منها الإثبات، يقال: عين هذا الكلام و عين الشيء، يعنون وجوده و ثبوته.

و العين في صفة القديم: علمه بالأشياء و نظره إليها و أطّاعه عليها، قال الله: ﴿واصبر

لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾^٢. ذكر عن ابن عباس: بمنظر منّا.

و كذلك قوله في ذكر السفينة: ﴿تجري بأعيننا﴾^٣.

و قوله لكلّ شيء: ﴿ولتصنع على عيني﴾^٤. ذكر عنه: ما صنع بك كان بمنظر منّي.

و الله يرى الأشياء لا بعين؛ لأنّ العين المعلوم في الظاهر جارحة، و الجوارح آلة

لصاحبها، و الله ليس بذي آلة، بل هو مبدع الآلات و الجوارح.

و أمّا الوجه؛ فهو ما يتوجّه به إليه من طاعته و عبادته. قال الله تعالى: ﴿كلّ شيء هالك إلاّ

وجهه﴾^٥ يعني كلّ معبود باطل إلاّ هو.

و قال الصادق عليه السلام: يعني دينه^٦، و بدينه يتوجّه العبد إليه.

١. راجع مكارم الأخلاق: ٣٨٦ و ٤١٤، المصنّف لعبد الرزاق: ١٧/١١.

٢. الطّور: ٤٨.

٣. القمر: ١٤.

٤. طه: ٣٩.

٥. القصص: ٨٨.

٦. التوحيد للصدوق: ١٤٩، تفسير القرطبي: ٣٢٢/١٣.

و قوله: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾^١ يعني رضاه.
 و قوله: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك﴾^٢ يعني ويبقى هو وحده لا شريك له، ليس
 أن الوجه يبقى ويفنى ما سواه، وذلك أن كل معبود يبطل ويضمحل إلا القديم تعالى
 ذكره، فإنه باق على الحقيقة وتغير الوجه في الجواهر والأعراض. يقال: وجه الأمر
 و وجوه البلد، يعنون الأمثال والأفاضل.

و أما اليد؛ فهي على وجوه:

منها النعمة، قال الله تعالى يذم اليهود و يذكر حيث أقاويلهم: ﴿قالت اليهود يد الله
 مغلولة﴾ يعني نعمة الله ممنوعة متحوّلة بها علينا، فكذبهم الله فقال: ﴿بل يدها مبسوطتان ينفق
 كيف يشاء﴾^٣ يقول: نعمته - يعني الدنيا والآخرة - يعطي كيف يشاء على الاستحقاق.

و يقول العرب: أسديت إليه يداً و له عندي يد، أي منة و نعمة.

و منها القوة، يدلّ عليه قول أبي بكر الصديق حين قال لفاطمة عليها السلام: أنت منطلق
 الحجّة و معدن الرّسالة، لا يد لي بجوابك و لا أبعدك عن صوابك، و لكن قلّدوني هذا
 الأمر فتقلّدت^٤.

يعني باليد: القوة و الطّاقة.

منها الملك، و هو قولهم: هذه المملكة في يد فلان و يده مطلق فيها، يعنون الملك
 و نفاذ الحكم.

و الأيد: القوة، قال الله عزّ ذكره: ﴿و السّماء بنيناها بأيدي﴾ يعني بقوّة ﴿وإنّا لموسمون﴾^٥ يعني
 لقادرون.

١. الليل: ٢٠.

٢. الرّحمن: ٢٧.

٣. المائدة: ٦٤.

٤. بعد إلقانها عليها السلام خطبتها المعروفة في المسجد.

٥. جملة «لا يد لي بجوابك» موجودة في بلاغات النّساء: ١٩ فيما قال أبو بكر في جواب الرّهراء عليها السلام.

٦. الذّاريات: ٤٧.

ومنها الصلة في الكلام، وهو قولهم: أنا بين يديك، يعنون أمامك. وقوله: ﴿لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^١ يعني لا تتقدموا بأمر دون أمر الله ورسوله. وقوله: ﴿فَسَبْحَانَ الَّذِي يَبْدُ الْمَكُوتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^٢ يعني به وإليه. وقوله: ﴿بِيدِكَ الْخَيْرِ﴾^٣ أي بك وإليك. وأما قوله لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾^٤ فمنهم من وقف على قوله: «خلقت» وابتدأ بذكر اليدين، كأنَّ قائله ذهب إلى أنَّ اللعين بنعمة الله استكبر على صفيَّ الله^٥. ومنهم من قال: أراد الله باليدين الكاف والنون، وهو قوله لَمَّا أراد تكوينه: كُنْ. غير اللعين بتركه السجود لمن تكوَّن بأمر الله. ومنهم من قال: ذكر اليدين صلة هاهنا. ومنهم من قال: أراد باليدين نعمته على آدم من تحسين صورته واستخلافه في أرضه، فحسده اللعين فأبى السجود له واستكبر عليه. وأما قوله: ﴿بَدَّ اللَّهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^٦ يعني نعمة الله عليك بالنصر والتأييد فوق نصرتهم لك.

وعلى هذه المعاني تفسير قول رسول الله ﷺ: خلق الله آدم بيديه، ثم أكرمه بسجود

١. الحجرات: ١.

٢. يس: ٨٣.

٣. آل عمران: ٢٦.

٤. ص: ٧٥.

٥. قال الشيخ الصدوق في التوحيد ص ١٥٤: سمعت بعض مشايخ الشيعة بنسابة يذكر في هذه الآية أنَّ الأئمة كانوا يقفون على قوله: «خلقت» ثم يبتدؤون بقوله عز وجل: «بِيَدِي اسْتَكْبَرْتُ» وقال: هذا مثل قول القائل: بسيفي تقاتلني وبرمحي تطاعنني. كأنه يقول عز وجل: بنعمتي قويت على الاستكبار والمعصيان.

٦. الفتح: ١٠.

ملائكته، ثم أدخله جنته، ثم أخرجه بذنوب واحد^١.

و جميع ما يروى في هذا الباب محمول على هذه المعاني.

وأما حديث ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرّحمان؛ إن شاء أزاعه و إن شاء أقامه^٢. فالإصبع عندهم الأثر الحسن، فمن قولهم: نلت منه إصبعاً، أي أثراً حسناً. وليس لك عندي أثر و لا إصبع، يعنون نعمة كبيرة أو صغيرة.

و منهم من ذهب إلى أن الإصبعين هو الكاف و التّون^٣.

و ما روي عنه عليه السلام أنه قال: ما من عسكرين يلتقيان إلّا و كفّ الله بينهما، فإذا أراد أن يهزم احدي الطائفتين أمال بكفّه عليها. فالكفّ المنع هاهنا لا غير، يقال: كففته أكفّه كفّاً، أي منعته. [و من] قال هاهنا بكفّ اليد المعلوم، اعتقد آلة للقديم سبحانه، و من اعتقدها لزمه الكفر؛ لأنّ الكفّ اسم واقع على أجزاء كثيرة مؤلّفة، و من اعتقد التأليف في ذات القديم لا بدّ من إثبات المؤلّف [و] هو أولى بالربوبية ممّن ألّف.

فقيس على هذا سائر الأخبار المأثورة في هذا النوع.

و أمّا الجنب؛ فهو الطّاعة، و على هذا تفسير قوله عزّ ذكره: ﴿أن تقول نفس يا حسرتى

على ما فرّطت في جنب الله﴾^٤.

و قول العرب: جمعت هذا بجنب فلان و في جنبه، أي بقوّته و وعونه.

و من العلماء من فسّر الجنب هاهنا على الدّنيا.

و منهم من فسّره على المصطفى ﷺ.

١. راجع الدرّ المنثور: ٣١١/٤ و علل الشّرائع: ٣٨٠/٢.

٢. رواه ابن ماجه في السنن: ٧٢٨ عن الكلابي عن رسول الله ﷺ و راجع الجامع الصّغير: ٢٥٧/٢

والمجازات النبوية: ٣٤٦.

٣. أي «كن».

٤. الزّمر: ٥٦.

ومن قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله، وأنا حجة الله، وأنا الطريق إلى الله^١. ولا يوصف القديم بالجنب المعلوم من الإنسان؛ لأنه أحد طرفيه، والطرف هو الحد، والحد هو النهاية، والله ليس بذي حد ولا نهاية، ومن جوز الانتهاء في ذاته أثبتته جوهرأ مدركاً محاطاً به، وفيه من الفساد ما يطول شرحه.

وأما الساق؛ فهو الشديد في الأمر. يقال: قد بلغ الأمر الساق وقد قامت الحرب على الساق: إذا اشتدت وبلغت منتهاها. ومنه قوله عز ذكره: ﴿والتفت الساق بالساق﴾^٢ يقول: اجتمعت الشدة مع الشدة.

وعلى هذا تفسير قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾^٣. ذكر أن ابن عباس قال: هو الشديد من الأمر.

ولا يوصف القديم بالساق المعلوم؛ لأنه أجزاء مختلفة مركبة توجب مُركباً قبله، وفي اعتقاد هذا المعنى في القديم إبطال قدمه وإثبات حدثه، والمحدث لا يكون إلهأ خالقأ.

وأما السعة؛ فهو الغنى والجود، والواسع من أسماء القديم، وهو الغني والجواد. قال الله عز اسمه: ﴿والله واسع عليم﴾^٤.

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا واسع المغفرة. ومن اعتقد السعة في ذات القديم أثبت عرضاً وطولاً، ومن أثبتته اعتقده مقدراً ذومساحة، وفي هذا إبطال التوحيد.

وأما القوة؛ فمعناها القدرة والقوي القادر، قال الله تعالى: ﴿إن الله لقوي عزيز﴾^٥. ذكر

١. راجع المناقب لابن شهر آشوب: ٦٥٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٩/١، ملحقات إحقاق الحق: ٣٥١/٢٢.

٢. القيامة: ٢٩.

٣. القلم: ٤٢.

٤. البقرة: ٢٤٧ وغيرها.

٥. الحج: ٤٠ و ٧٤.

عن ابن عباس: قويّ بنصرة أوليائه، عزيز بنقمة أعدائه.

وأما المجيء والإتيان؛ فهو إظهار حكم وإمضاء قضية.

وكذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته^١: قربه قربه، وبعده عظمته، ونزوله إلى الشيء إقباله عليه، وإتيانه إيّاه اتصاله لما يريد.

وهو معنى قوله عزّ ذكره: ﴿فأنى الله ببيانهم من القواعد﴾^٢ يعني أمضى حكمه فيها بالهدم والتخريق. وقوله: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾^٣ وكلاهما جائز لأنّ الإتيان في الشيء يوجب كون الآتي في وعاء، وهو يوجب كونه محدوداً، وفيه فساد أصول التوحيد.

وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾^٤. فجعل مجيء جلائل الآيات مجيئاً له إعظماً للحال، وهو كقولهم:

علّفتها تبنياً وماءً بارداً حتى شئت همالة عينها

والماء خارج من حكم العلف.

وعلى هذا، يحمل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا لثلاث الليل الآخر فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ومن الذي يستترزقني فأرزقه؟ ومن الذي يستغفر لذنوبه فأغفر له؟ ومن الذي يستكشف الضرّ فأكشفه عنه؟ حتى إذا انفجر الصبح^٥.

والنزول والإتيان بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان، لا يجوز على القديم المستغني عن الأمكنة؛ لأنّ النقلة من مكان إلى مكان لا تكون إلا لوحشة أو ضيق أو

١. راجع معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام: ٢٦٩/٢ نقلاً عن الأماشي للمرشد بالله الشجري: ١٠١/٢ و١٠٨.

٢. النحل: ٢٦.

٣. البقرة: ٢١٠.

٤. الفجر: ٢٢.

٥. لقائله: ذوالرمة.

خوف أو تنزه بالمكان المنتقل إليه، والله لا يوصف بهذه المعاني لأنها إبطال القدم.
ومن قول أمير المؤمنين عليه السلام: الأمكنة لا تستسكنه؛ لأنه لو كان في محلّ دون محلّ
لأنس المسكون فيه وأوحش الخالي منه.

وأما الجدّ؛ فهو العظمة. قال الله تعالى يحكي قول الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ
صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^١.

وذكر عن ابن عباس قال: لو علمت الجنّ أنّ العرب تسمي أب الأب جدّاً ما قالت:
﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾^٢.

و حديث أنس بن مالك: كان الرّجل منّا إذا قرأ سورة البقرة و آل عمران جدّ في
عيوننا و عظم في صدورنا^٣.

وكرهت الأئمّة عليهم السلام ذكر الجدّ في استفتاح الصّلاة بعد التكبير؛ وهو قول القائل:
و تعالَى جدّك^٤.

و الجدّ: الحظّ و القسم، و تقول العرب: اسع بجدّك لا بكذّك^٥.
فهذه معاني الآيات المتشابهات على الجهال و الأخبار الواردة قد بيّناها، فتدبر
حقائقها لتقف عليها إن شاء الله.

١. الجن: ٣.

٢. راجع السنن الكبرى للبيهقي: ١٧/١ و المصنّف لعبد الرزّاق: ٢٦٤/١٠ و غريب الحديث لابن سلام:
٢٥٨/١.

٣. مسند أحمد: ١٢٠/٣ و ١٢١ و غريب الحديث لابن قتيبة: ١٧/١.

٤. انظر الخصال للشيخ الصدوق: ٦٠٤ و الخلاف للشيخ الطوسي: ٣٢٣/١.

٥. أول من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمداني.

[ذكر القضاء والقدر]

قال الحافظ:

القضاء يتصرّف على وجوه:

منها الأمر؛ قال الله عزّ ذكره: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^١. قال ابن عباس: وأمر ربك ألا تطيعوا إلا إياه.

وفي قراءة ابن مسعود: ووصى ربك^٢.

ومنها الحكم؛ قوله عزّ اسمه: ﴿وقضى بينهم بالحقّ وهم لا يظلمون﴾^٣.

ومنها الإعلام والإخبار؛ قوله: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾^٤.

ومنها خلق الشيء وإحداثه؛ قوله: ﴿فقضاهنّ سبع سموات في يومين﴾^٥.

ومنها إتمام الشيء والفراغ منه؛ قوله: ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾^٦ يعني تمّمه وفرغ

منه.

ومنها الفصل والبيان؛ قوله: ﴿إن الحكم إلاّ لله يقضي الحقّ وهو خير الفاصلين﴾^٧.

١. الإسراء: ٢٣.

٢. راجع المعجم الكبير للطبراني: ١٣٨/٩ و تفسير القرآن للصنعاني: ٣٧٦/٢.

٣. الزّمر: ٦٩.

٤. الإسراء: ٤.

٥. فضّلت: ١٢.

٦. القصص: ٢٩.

٧. الأنعام: ٥٧، وفي الكشّاف: يقضي الحقّ، وقرئ: يقضّ الحقّ، فراجع.

ومنها الأداء؛ قوله: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾^١ يعني أدّيتها.

ومنها قضاء الأوطار؛ وهو حصولها لقاضيتها، قوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾^٢ يعني حصل مراده.

ومنها الحتم والإيجاد؛ قوله: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض﴾^٣.
وأما القدر فهو أيضاً على وجوه:

منها الأجل والنّهاية؛ قوله عزّ ذكره: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ يعني ضعيف ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ يعني حريز ﴿إلى قدر معلوم﴾^٤ يعني أجل نهاية، وهو خروج الولد من الرّحم.

ومنه المقدار؛ قوله: ﴿إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾^٥ وقوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾^٦ يعني بين مقادير الأقوات. وقوله لكليمه: ﴿ثمّ جئت على قدر يا موسى﴾^٧ يعني على وقت معلوم. ومنه القضاء؛ قوله: ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾^٨. قال ابن عباس: قضاء كأنناً. وقيل: قدر المقدور.

والقدر اسم لما سبق في المعلوم وظهر من المحتوم.

ولهذا المعنى قال ابن عباس: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد.

وروي عنه أيضاً قال: إن أول ما كتب الله له في اللوح المحفوظ: بسم الله الرحمن

١. النساء: ١٠٣.

٢. الأحزاب: ٣٧.

٣. سبأ: ١٤.

٤. المرسلات: ٢٢.

٥. القمر: ٤٩.

٦. فصلت: ١٠.

٧. طه: ٤٠.

٨. الأحزاب: ٣٨.

الرَّحِيمِ، لا إِلَهَ إِلا أَنَا، ومحمَّد رسولِي، من استسلم لقضائي و صبر على بلائي و شكر
لنعمائي كتبته صديقاً و بعثته مع الصديقين يوم القيامة، و من لم يستسلم لقضائي و لم
يصبر على بلائي و لم يشكر لنعمائي فليختر لهاً سواي.

و ما روي من الآثار عن الرسول ﷺ في ذكر القدر: «خيرهُ و شرُّهُ من الله» فهو
صحيح؛ و الخير و الشرُّ هو الفقر و الغنى و العزَّ و الذلُّ و الصَّحَّةُ و المرض و رخص
الأسعار و غلاها، و غير ذلك من المحبوب و المكروه في الطَّبْع، لا الطَّاعَة الَّتِي أمر الله
بها و المعصية الَّتِي نهى الله عنها.

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَعَ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ﴾ يعني بالفقر و الهلاك ﴿دَعَاءَ بِالْخَيْرِ﴾^١ يعني بالغنى
و النِّجاة.

و قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ يعني الفقر و الشَّدَّةُ ﴿جَزوعاً إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾
يعني الغناء و النِّعْمَةُ ﴿مُنوعاً﴾^٢.

و كان العرب يرون هذه الأشياء من تأثير النجوم و ينسبها بعضهم إلى الدهر، ألا
ترى قوله حيث يحكي هذا منهم: ﴿إِنْ تَصِيْبُهُمْ حَسَنَةٌ﴾ يعني رخصاً و سعة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تَصِيْبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعني قحطاً و جدوبة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ أي بشؤمك أصابنا
﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^٣ نزل و هو مقدَّره.

و قوله: ﴿مَا هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يَهْلِكُنَا إِلا الدَّهْرُ﴾^٤ قال الله: ﴿وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ
عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾^٥.

و لهذا المعنى قال رسول الله ﷺ: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر. أراد تكذيب

١. الإسراء: ١١.

٢. المعارج: ٢٠.

٣. النساء: ٧٨.

٤. الجاثية: ٢٤.

٥. الجاثية: ٢٤.

الدَّهْرِيَّةَ فِي إِحَالَتهَا لِلْبُؤْسِ وَالتَّعْمَى إِلَيْهِ^١ فَلَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْطَلَ مَذَاهِبَهُمْ وَأَضَافَ الْمَحْبُوبَ وَالمَكْرُوهَ إِلَى مَقْدَرِ الْأَشْيَاءِ وَخَالَقَهَا، وَدَلَّ الخَلْقَ عَلَى التَّسْلِيمِ إِلَيْهِ وَالخُضُوعَ لَهُ إِثْبَاتًا لِلرَّبُوبِيَّةِ وَإِقَامَةً لِلْعِبُودِيَّةِ.

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ قَالَ: مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ، وَآمَنَ بِالقَدْرِ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ مِنْ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ أَمْسَكَ وَتَرَكَ فليس بِمُؤْمِنٍ^٢.

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ﴾ يعني بالبلاء والعافية ﴿فِتْنَةً﴾ يعني اختباراً ﴿وإِلَيْنَا تَرْجِعُونَ﴾^٣.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يعبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ يعني على شك ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ يعني غنى ونعمة ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ يعني فقراً وشدّة ﴿انقلب على وجهه﴾ معرضاً عن ربّه، مستخفّاً بحقّه ﴿خسر الدنيا﴾ ببطلان الحسنات ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ بحلول العقوبات ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾^٤ فوت الدنّيا والعقبى كلاهما. فالأخبار الواردة في هذا الباب محمولة على هذه المعاني، فاعرفها حميداً إن شاء الله تعالى.

١. في الأصل: عليها.

٢. راجع المستدرک للحاکم: ٣٣١/١ و تاريخ مدينة دمشق: ١٤/٩ و المصنّف لابن أبي شيبة: ٢٠٩/٧.

٣. الأنبياء: ٣٥.

٤. الحجّ: ١١.

ذكر العرش والكرسي

قال الحافظ:

العرش عندنا هو ملك الباري، يدلّ عليه قول الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلّت^١ عروشهم فأودوا كما أودى أباد وحمير^٢

[وقال] آخر:

لَعَمْر ما قَدَّرِ أجْدَى بمصرعه لقد أخلّ بعرشي أيّ إخلال^٣

و منهم من قال: هو أعلى صحائف العالم وأجلّ الأماكن، واستوى عليه الباري استواء تمكّن واستقرارٍ حتّى قال بعضهم: امتلأ العرش به، ولم يعلموا أنّ الاستقرار سكون بعد اضطراب. يقال: استقرّ الماء واستقرّت السفينة: إذا سكنت عن اضطرابها. ومنه استقرار الرّكاب على ظهر المركوب، ومنه استقرار الملك على الملك. وفسّروا الآيات في ذكر استواء الربّ على العرش على الاستقرار، وهو محض التشبيه وردّ التنزيه ونقض التوحيد لأنّ الامتلاء والاستقرار صفتان للجواهر السيّالة لا القديم الغنيّ بذاته عن المكان والزّمان.

فإن سأل [سائل] عن معنى الاستواء، قلنا: الاستواء على وجوه:

منها الاستقرار لما يجوز منه مثل السفينة والرّكاب على ظهر الدّابة والأشياء

١. في الأصل: ناهت، وفي البحار: ثلّت، وكلاهما بمعنى هلكت.

٢. كنز الفوائد: ٢٣٨.

٣. لقائله: أوس بن حجر.

المضطربة المتحرّكة، قال الله تعالى يذكر السفينة وجرّيها على ظهر الماء و سكونها بعد اضطرابها: ﴿واستوت على الجودي﴾^١ يعني استقرّت. وقال: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركيبون لتستوتوا على ظهوره﴾ يعني لتستقرّوا ﴿ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه﴾^٢ يعني إذا استقررتم.

ومنها القصد والتّعمّد، قوله عزّ ذكره: ﴿ثمّ استوى إلى السماء﴾^٣ يقول: قصد و عمد إلى خلق السّماء.

ومنها الكمال و التمام، قوله: ﴿ولمّا بلغ أشده و استوى﴾ يقول: و كملت قوّته و تمّ خلقه ﴿آتيناه حكماً و علماً﴾^٤.

ومنها الاختيار، و هو قولهم: استويت لحاجتك. يقول: اخترتها على سائر الحاجات.

ومنها الاستيلاء و الملك، و هو قول شاعرهم:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق^٥

و ذلك معنى الاستواء على العرش فيما نطق القرآن بقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^٦. و قوله: ﴿ثمّ استوى على العرش﴾^٧ و غيرهما من الآيات في هذا الدّكر.

فإن قال لي: لم خصّ العرش بالملك و الاستيلاء و هو مستول على جميع الأماكن؟ قلنا: تشرifaً للمكان كما إضافة البيت إليه و النّاقة و الخليل و الكلّيم و الحبيب

١. هود: ٤٤.

٢. الزّخرف: ١٢.

٣. البقرة: ٢٩، وفضلت: ١١.

٤. القصص: ١٤.

٥. القائل: الأخطل، انظر تاج العروس: ١٨٩/١٠.

٦. طه: ٥، السجدة: ٤، الحديد: ٤.

٧. الأعراف: ٥٤.

والمساجد، وإضافة الرسول الرّجب إليه^١ على سبيل التّشهير والتّفضيل، وإضافة بعض الأيّام [إلى الله في] قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾^٢ و الأيّام كلّها له، وإضافة الملك إلى يوم الدّين [في] قوله: ﴿مالك يوم الدّين﴾^٣.

فإن قال: قد عرفنا [التّجوز] في إضافة هذه الأشياء و تخصّصها بالذّكر، فما الغرض في إضافة الاستيلاء إلى العرش و تخصّصه بالملك؟
قلنا: لأنّ معظم الأماكن خمسة:

أولها الأرض، وهي مستقرّ البشر والجنّ و سائر الحيوان المحسوسة، ولهم فيها تصرف.

ثمّ السّموات، وهي مجاري الأفلاك والكواكب و مقرّ الملائكة، ولها خزّان و حرّاس.

ثمّ الجنّة، وهي مستقرّ الأولياء، ولها خزنة قد وكلّهم الله لحفظها و تقسيمها و التّصرف فيها.

ثمّ النّار، وهي مستقرّ الأعداء، ولها خزنة قد وكلّوا بتسجيرها وإيقادها.
فبقي العرش وهي أجلّ الأماكن وأعلاها، ولا يملكه مخلوق ولا يتصرف فيه، فأضاف الملك إليه لأنّ من ملك أعظم الأشياء لا يعجز عن أصغرها.

ومن اعتقد أنّ الله مستقرّ على العرش متمكّن عليه، لا يمكنه إثبات حدث العالم بوجه من الوجوه؛ لأنّ أوكد ما استدلّ به أهل الإسلام على حدث العالم الاجتماع و الافتراق، و معنى الاجتماع تقارب الجسمين، و معنى الافتراق تباعدهما، و استقرار القديم على العرش و ملاقاته معه يوجب الاجتماع، و نزوله عنه و انتقاله إلى مكان آخر يوجب الافتراق، و هذا يوجب قدم العالم المحدث و حدث القديم.

١. كذا في الأصل.

٢. إبراهيم: ٥.

٣. الفاتحة: ٤.

مع أنه لو كان القديم تعالى على العرش كان مثله أو أكبر منه أو أصغر، فلو كان مثله لكان له مثل، وقد نفى العقول الأمثال وأبطله الكتاب، ولو كان أكبر منه لأوجب كون القديم لا على مكان^١، ولو كان أصغر منه لكان القديم بائناً منه غير متمكن على مكان، وهذا عند القوم باطل.

ولو كان القديم على العرش لكان محمولاً^٢ إذا كانوا حملته. قال الله عزّ من قائل: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾^٣ وقال: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم﴾^٤.

وروي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: حملة العرش طعامهم التسبيح وشرابهم التهليل ولباسهم الرّحمة خضوعاً لربّ العالمين^٥.

وما روي من الآثار في هذا الباب فهو محمول على هذا المعنى و مصروف إليه، ففس عليه سواه واجتنب ما عداه.

ومعنى العرش عند أهل التصوّف والتّحقيق: القلب، وهو محلّ التجلّي والاستواء، وعند أهل اللغة وأهل العلم العرش: السرير في مواضع آخر، قال الله عزّ ذكره يحكي قول الطائر الغائب بعد إيباه: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كلّ شيء ولها عرش عظيم﴾^٦ يعني سريراً كبيراً. فأبطل الله قول الطائر، فقال: ﴿الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم﴾^٧ وقال نبيّ الله لأشرف قومه و علمائهم: ﴿أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾^٨ وقال بعد

١. ٢٠١. هنا سقط في الأصل.

٢. الحاقّة: ١٧.

٣. غافر: ٧.

٤. راجع البحار: ٢٤٩/٦٠.

٥. النمل: ٢٣.

٦. النمل: ٢٦.

٧. النمل: ٣٨.

حصول العرش عنده: ﴿نكروا لها عرشها﴾^١ وهو السرير في هذه المواضع لا غير؛ لأنّ المخلوق يستقرّ على السرير ويتشرف به، والقديم لا يستقرّ على شيء ولا يتمكن عليه ولا يحتاج إليه ولا يتشرف به؛ لأنّه الغني بذاته، كان إذ لم يكن معه مكان ولا إنس ولا زمان.

وذكر [عن] الصادق عليه السلام قال: من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله مخلوقاً، ومن زعم أنّ الله على شيء فقد جعله محمولاً، ومن زعم أنّ الله في شيء فقد جعله محدوداً^٢. وسئل الصادق عليه السلام عن معنى قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾^٣ قال: استوى له ملكوت كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء^٤.

وسئل محمد بن الحسن الشيباني^٥ عن معناها، فقال شعراً:

لم يخلق الله خلقاً يستقلّ به ولا استوى ربنا فيه لمقتد
لكن علاه بسلطان ومقدرة لا بالتنقل يعلوه ولا الصعد

وذهب بعض المحدثين إلى أنّ العرش متعبّد للملائكة كالكعبة في الأرض، وهذا لا يبعد عن الصواب، والله أعلم.

وأما الكرسي؛ فهو العلم، قال الله تعالى: ﴿وسع كرسيه السماوات والأرض﴾^٦ أي ملأ علمه السماوات والأرض، فلا يعزب عن علمه شيء. ومنه قول الشاعر:

مالي بغيبك كرسي أكاتمه ولا يكرس علم الغيب مخلوق^٧

١. التمل: ٤١.

٢. نقله القشيري في الرسالة القشيرية: ٣٠ بتفاوت.

٣. طه: ٥.

٤. راجع التوحيد للشيخ الصدوق: ٣١٥ وفيه: «استوى من كل شيء» مكان «استوى له ملكوت كل شيء».

٥. المتوفى سنة ١٨٩ وله كتب كثيرة في الفقه والأصول، وهو الذي نشر فقه أبي حنيفة. راجع الأعلام

للزركلي: ٨٠/٦.

٦. البقرة: ٢٥٥.

٧. راجع تفسير أبي الفتح الرازي: ٣٢٦/٢ والتبيان: ٣٠٩/٢.

و كرسيّ الشيء: المتلبّد بعضه فوق بعض، مثل أبعاد الإبل. ومنه الكراسية، وهو الشيء المجتمع والحروف المجموعه، يدلّ عليه قول الشاعر:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال نعم أعرفه وأبلساً^١

وسئل محمّد بن الحنفية عليه السلام عن الكرسيّ، فقال: فلك البروج. فمن جعله فلك البروج جعل العرش فلك الكلّ أو فلك الأفلاك.

و ذهبت المشبهة إلى أنّ العرش موضع التدبير والتقدير، والكرسيّ موضع التجليّ والزياره، وذكروا أنّ الله ينزل من العرش إلى الكرسيّ فيتجلّى للخلق ويقضي بينهم! وإنما قالوا ذلك لأنّهم نقلت عن الرسول عليه السلام في هذا المعنى، ولو عرفوها لما ضلّوا؛ معناها أنّ الله يتجلّى للخلق من طريق العلم بإقامة الأدلّة كما بيّنا في معنى الكرسيّ ليس أنّه ينتقل من مكان إلى مكان.

ورأيت لبعضهم أنّ العرش مظهر الرّب والكعبة معلمه، فدعا الله العباد إلى مظهره بقلوبهم وإلى معلمه بأبدانهم. وقال أرباب القلوب - خصوصاً جُنيد قدّس الله روحه -: القلب هو العرش، والصّدر هو الكرسيّ، وهذا [أصحّ] الوجوه و [أقومها] وأحسنها و...^٢.

ومنهم من قال: الله متمكّن على العرش وقّده على الكرسيّ! جلّ القديم عن صفات المخلوقين ونعوت المربوبين وسمات المحدثين.

واعلم أنّ من اعتقد القديم جسماً متمكناً على مكان، وأثبت له وجهاً وعيناً ويدياً وقدمين، واعتقده نازلاً منتقلاً من مكان إلى مكان متحرّكاً، فقد اعتقد مصوراً مخلوقاً، والله خالق الصّور والأجسام ومحدث الجواهر والأعراض ومبدع الأماكن والأزمان، لا تصوّره الأوهام ولا يحيط به الأفهام، لا تدرّكه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير^٣.

١. راجع التّبيان للطوسي: ٣٠٩/٢، وقائل البيت: العجاج.

٢. هناكلمة لا تقرأ.

٣. الأنعام: ١٠٣.

ذكر اللوح والقلم

قال الحافظ:

اللوحة والقلم يثبتهما الكتاب، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾^١ وقال: ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^٢ وفي الأثر: أَنَّ إِسْرَافِيلَ مُوَكَّلَ بِاللُّوْحِ يَنْظُرُ فِيهِ، يَسْتَنْظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفِخَ فِي الصُّورِ.

[وقيل: اللوح] مجمع علوم الكواكب؛ أصله من ذهب، ودفناه ياقوتتان حمراوان، [عرضه] من المشرق إلى المغرب، وطوله من العرش إلى الثرى.

وقال بعض المحققين وأهل التصوف: المراد باللوحة المحفوظ: القلب، وهو محفوظ ومستور عن عين الظاهر^٣، وهو مظهر العلوم ومحل التجلي ومعاني الكلام، وهكذا قول عبد الله بن عباس في ﴿لوحة محفوظ﴾ أي في قلب محفوظ.

وأما القلم؛ [فهو] بيضاء طوله ألف سنة.

وفي الأثر: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ قَالَ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: عِلْمِي فِي خَلْقِي. فَجَرَى الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^٥.

١. البروج: ٢٢.

٢. القلم: ١.

٣. في الأصل: عن غير الظاهر.

٤. هناكلمة لاتقرأ.

٥. راجع البحار: ٣٧٤/٥٧ ومسند أحمد: ٣١٧/٥ وسنن الترمذي: ٣١١/٣.

وروي عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: سبق العلم و جَفَّ القلم و تمَّ القضاء بتحقيق الكتاب و تصديق الرّسالة، و بالسّعادة من الله و بالشّقاوة من الله^١.
و ذكر صاحب كتاب الاعتقاد: أنّ اللوح و القلم هما ملكان^٢. فإثباتهما من طريق الخبر و العقل يجوّزه، و لا يوجب الإيمان بهما حسب ما يوجبهُ الأخبار الصّادقة، و الله أعلم.

١. التّوحيد للصدوق: ٣٤٠.

٢. الاعتقادات للشيخ الصدوق: ٤٤.

ذكر الأفلاك والكواكب

قال الحافظ:

إن الله تعالى زين السماء بالنجوم وقسمها.

فمنها للدلالة والهداية؛ قال الله: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾^١ وقال: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾^٢.
ومنها للحسن والزينة؛ قال الله تعالى: ﴿ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح﴾^٣ وقال: ﴿إننا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾^٤.

وفي الأثر: عن رسول الله ﷺ: إن الله زين أربعاً بأربع؛ السماء بالنجوم، والأرض بالعيون، والرجال باللحى، والنساء بالذوائب^٥.

ومنها للحفاظ والرجم؛ قال الله تعالى: ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزينناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع﴾ يعني اختلسه ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾^٦ يقول:

١. النحل: ١٦.

٢. الأنعام: ٩٧.

٣. الملك: ٥.

٤. الضافات: ٦.

٥. راجع الصراط المستقيم: ٢٨٥/٣ والبحار: ٣١٦/٦١ و٢١ وتفسير القرطبي: ٢٩٤/١٠ وتاريخ مدينة

دمشق: ٣٤١/٣٦.

٦. الحجر: ١٦.

فأدرکه نجم مضيء. وقال: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾^١.
و معظم الكواكب سبعة:

أولها: القمر، طبيعته المرّة البيضاء. يدلّ على كثرة المشي والسّير في البلاد وقطع الأماكن البعيدة، وهي للرّسل وأصحاب الأخبار والجواسيس والفيوج، وحظّه من الأيام يوم الاثنين.

والثاني: العطارد، وطبيعته في السّعد والنّحس طبيعة النّجم الذي يقترن معه، وهو يدلّ على العلم والبلاغة والخطّ والكتابة والتميّز بين الأشياء والحساب والنّجوم والنّفس والتّصوير، وهو للكتبة والنّقاشين والمنجمين، وحظّه من الأيام يوم الأربعاء.

والثالثة: الزّهرة، وطبيعتها المرّة البيضاء. تدلّ على الفرح والسّرور واللّهو واللعب والمناكحة والتنظف والتّجمل والتّطيب والتّعطر والتّلطف في الأمور، وهي للنّساء والمطربين والعطّارين وأصحاب الملاهي، وحظّه من الأيام يوم الجمعة.

والرّابعة: الشّمس، وهي أجمل الكواكب، ومنها نور العالم، وطبيعتها المرّة الصّفراء، وهي تدلّ على الأمور السّنيّة والأسباب الرّفيعة وكمال المرّوة وطهارة النّفس والعقل وأحكام التّدبير، وهي للملوك والأمراء والكبراء والعظماء والأجلة، وحظّها من الأيام يوم الأحد.

والخامسة: المريخ، طبيعته الصّفراء. يدلّ على الشّرّ والفساد والحرق والقّتل والغارات، وهي لأصحاب الأسلحة والقوّاد والأخبار^٢، وحظّه من الأيام يوم الثّلثاء. والسادسة: المشتري، طبيعته المرّة الحمراء، وهو يدلّ على العلم والفقّه والصّلاح والسّداد والعدل والسّكينة، وهو للعلماء والفقهاء والقضاة والمعدّلين والعقلاء والأدباء والزّهّاد والعبّاد، وحظّه من الأيام يوم الخميس.

١. الصّافّات: ١٠.

٢. كذا.

و السَّابِعة: زحل، طبيعته المَرَّة السُّوداء. يدلُّ على الحرث و الزَّراعة و كثرة الأكل و اللباس و المكر و الخيانة و الحيل و العداوة و التفكُّر في الأمور و التعمُّق في الأسباب و سموُّ الهمة و الظَّفَر في الحروب، و هي للمتكبِّرين و المتجَبِّرين و المتعظِّمين و المتسلِّطين و من له رأي ثاقب و همة عالية، و حظُّه من الأيام يوم السَّبْت. و الأفلاك تسعة:

أولها: فلك القمر، و فلك عطارد، و فلك الزَّهرة، و فلك الشَّمس، و فلك المَرِيخ، و فلك المشترى، و فلك زحل، و فلك البروج، و فلك الأفلاك، و هو الفلك المستقيم و يسمَّى فلك الكلِّ و حامل الأفلاك. و يقال: أوَّل الأفلاك فلك الأثير.

و الفلك: مجمع الأنوار العلوية، و سَمِّي فلك الدَّوران^١ و منه اشتقَّ المغازل لاستدارته و دورانه.

و البروج اثنا عشر، قال الله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بُرُوجاً﴾^٢ و قال: ﴿و السماء ذات البروج﴾^٣ فأوَّل البروج: الحمل، و الثَّور، و الجوزاء، و السَّرطان، و الأسد، و السَّنبلَة، و الميزان، و العقرب، و القوس، و الجَدِّي، و الدَّلُو، و الحوت، و هو آخر البروج. و السَّرطان بيت القمر، و الجوزاء و السَّنبلَة بيت عطارد، و الثَّور و الميزان بيت الزَّهرة، و الأسد بيت الشَّمس، و الحمل و العقرب بيت المَرِيخ، و القوس و الحوت بيت المشترى، و الجَدِّي و الدَّلُو بيت زحل، فالزَّحل يبقى في كلِّ برج خمسة و ثلاثين شهراً و يقطع البروج في خمس و ثلاثين سنة، و المشترى يبقى في كلِّ برج سنة، و يقطع البروج في اثنا عشر سنة، و المَرِيخ يبقى في كلِّ برج خمسة و أربعين يوماً، و يقطع البروج في ثمانية عشر شهراً، و الشَّمس يبقى في كلِّ برج شهراً، و يقطع البروج

١. لعلَّ الصَّحيح: سَمِّي فلكاً لدورانه.

٢. الفرقان: ٦١.

٣. البروج: ١.

في كل سنة و الزهرة يبقى في كل برج خمسة وعشرين يوماً، ويقطع البروج في عشرة أشهر - ويقال: في ثمانية أشهر - و عطارد يبقى في كل برج شهراً - ويقال: خمسة عشر يوماً، وهو الأصح عندهم - ويقطع البروج في سنة - ويقال: في ستة أشهر - والقمر يبقى في كل برج يومين و ثلثاً، ويقطع البروج في ثمانية وعشرين يوماً.

واعلم أن كل برج - على ما حكم به أهل التنجيم - ثلاثمائة وستون درجة، كل درجة ستون دقيقة، كل دقيقة ستون ثانية، كل ثانية ستون ثالثة إلى العواشر وإلى ما دق من الحساب، والله أعلم.

وأول نجم يطلع من المشرق شمساً طالعاً، ومنه ينظر في الأمور والأسباب، فأول البيوت بيت الحياة، والثاني بيت الماء والمطر والزرع، والثالث بيت الإخوة والأخوات والأقرباء والسفر القريب، والرابع بيت الآباء والأمهات والعاقبة، والخامس بيت الأولاد والنساء والرفقاء والأحباء، والسادس بيت العبيد والإماء والمراتب والمرض، والسابع بيت الشركاء والخسران والحرب والخصومة والهزأب والسراق، والثامن بيت الموارث والبلديات والغموم والأحزان، والتاسع بيت السفر البعيد والعلم والديانة وعمارة الدنيا والسقوط من المرتبة والعز، والعاشر بيت الملوك والأمراء والأجلة والدخول في أسبابهم، والحادي عشر بيت الرجاء والوصلة، والثاني عشر بيت الأعداء والمسجونين.

واعلم أن علم النجوم نبوي؛ يقال: أول من تكلم فيه واحتج به ودل الخلق عليه إدريس النبي ﷺ وهو الذي يسمى أخنوخ، وهو جد أب نوح ﷺ، وذلك أن الله أطلعه على الأفلاك وسير الكواكب حتى لم يخف عليه شيء منها، وكان الغالب في زمانه النظر في الكواكب والافتخار بمعرفتها، كالحسن في زمن الصديق، والسحر في زمن الكليم، والقوة في زمن الأواب، والملك في زمن سليمان، والطب في زمن المسيح،

و الفصاحة و البلاغة في زمن الحبيب المصطفى صلوات الله عليه و على الرّسل أجمعين.

و قد نطق القرآن بنظر الخليل في النّجوم؛ قال الله يصف سيرته: ﴿نظّر نظرة في النّجوم فقال إني سقيم﴾^١ فالآية محمولة على ظاهرها لا تحول إلّا بدليل قاطع، فقد ذهب بعضهم إلى أنّ نظره في النّجوم فكره تفكّر في نفسه. و قيل: في أصحابه.

و كيف يبطل علم النّجوم و لا يصحّ النّظر فيها و قد قال الله عزّ ذكره: ﴿يسألونك عن الأهلة﴾^٢ يعني زيادتها و نقصانها ﴿قل هي مواقيت للنّاس و الحج﴾^٣ و قال: ﴿وجعلنا الليل و النّهار آيتين فمحونا آية الليل و جعلنا آية النّهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربّكم و لتعلموا عدد السّنين و الحساب و كلّ شيء فضلناه تفصيلاً﴾^٤ و قال: ﴿هو الذي جعل الشّمس ضياءً و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عدد السّنين و الحساب ما خلق الله ذلك إلّا بالحقّ يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾^٥ و قال: ﴿و الشّمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم و القمر قدرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم﴾^٦ يقول كالعذق المقوّس الذي حال الحول عليه، ثمّ بيّن حالهما فقال: ﴿لا الشّمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النّهار و كلّ في فلك يسبحون﴾^٧.

فدلّ ما تلونا من الآيات على تحقيق علم النّجوم و النّظر فيها، و كيف لا يصحّ ذلك و قد قال الله عزّ ذكره: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السّموات و الأرض و ما خلق الله من شيء﴾^٨. و أمر نبيّه بترديد البصر فيها، قال: ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور ثمّ ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً و هو حسير﴾^٩ و قال: ﴿أنظروا إلى السّماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها و ما لها

١. الضافات: ٨٩.

٢. البقرة: ١٨٩.

٣. الإسراء: ١٢.

٤. يونس: ٥.

٥. يس: ٣٩.

٦. يس: ٤٠.

٧. الأعراف: ١٨٥.

٨. الملك: ٤ و ٣.

من فروج^١ أي من شقوق وصدوع وعيوب وخلل.

فإن احتجَّ بحديث أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: المنجم عند الله عاص وعند الناس متهم.

قلنا: إن صحَّ هذا بعد ما أطلق الكتاب النَّظْرَ إليها ودلَّ على التَّفَكَّرِ فيها، أراد به ﷺ من رأى الصَّنْعَ منها واعتقدَها مسبباً لا أسباباً موضوعةً مجبورة، وأراد به ذمَّ أقوام يعبدون النجوم ويضيفون المضارَّ والمنافع إليها دون خالقها ومجريها ومدبِّرِ أمرها. وهي المُدَبَّرَاتُ عندي لا المدبِّرات؛ لأنَّ المدبِّرَ هو المقدر الحكيم العالم القديم لا الكواكب [التي] يقع عليها النَّحْسُ والسَّعْدُ، وهي تسير وتجري بأمر مجريها كالأرحية الموضوعة للطحن لا بدَّ لها من مدبِّرٍ وسائس يسوس أمرها ويدبِّرُ أسبابها.

وهذا أمير المؤمنين ﷺ كان إذا نظر إلى الهلال قال: أيها الخلق المطيع، الذائب السريع، المتردد في منازل التقدير، المتصرف في فلك التدوير، آمنت بمن نور بك الظلم وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات ملكه [و] علامة من علامات سلطانه، فامتحنك بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإبارة والكسوف؛ في كل ذلك أنت له مطيع وإلى إرادته سريع، سبحانه ما أعجب ما دبِّر في أمرك والطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث، جعلك الله هلال بركة لا تمحقها الأيام وطهارة لا تدنسها الآثام، هلال أمانة من الآفات وسلامة من السيئات، هلال سعد لا نحس فيه، ويمن لا نكد معه، ويسر لا يمازجه عسر، وخير لا يشوبه شرّ، هلال آمن وإيقان ونعمة وإحسان. اللهم اجعلنا أرضى من أطَّلَ عليه، وأزكى من نظر إليه، وأسعد من تعبد لك فيه، ووفَّقنا فيه للتوبة، واعصمنا من الحوبة، وأوزعنا فيه شكر النعمة، وألبسنا فيه خير العافية، وأتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنة، إنك أنت المنان الحميد^٢.

١. ق: ٦.

٢. هذا هو الدعاء ٤٣ من الصحيفة السجادية مع تلخيص و تفاوت.

كيف لا يجوز النَّظَرُ في شيء يدرك النَّاظِرُ فيه حقيقة التَّوْحِيدِ و آثار الرِّبَوِيَّةِ و أحكام الإلهيَّةِ. و مثل هذه الحقائق لا يَطَّلَعُ عليها إلا العلماء الرّاسخون و الأوصياء المعصومون مثل أمير المؤمنين و أشياعه الأطهرين.

و كان مؤلّف الكتاب إذا وصف أمير المؤمنين عليه السلام قال: قمرِي السَّبَقِ و السَّرْعَةِ، عطاردي الخَطِّ و الكتابة، زهروي الظَّرْفِ و الملاححة، شمسي الخَيْرِ و المنفعة، مَرِيخي البطش و الشُّجاعة، زُحَلِي الحقد و الحميَّة.

وإنَّ الله لم يخلق الأشياء عبثاً و لم يترك الخلق سُدىً، و لم يضع الأدلَّةَ باطلَّةً و لم يرسل الرّسل هزلاً، و إنَّه جعل لكلّ شيء سبباً و فتح له باباً و بيّن له سبيلاً. فمن اعتمد السَّبَبِ و نسي المسبَّبَ فقد ضلَّ عن السَّبِيلِ و عمى عن الدَّلِيلِ، و من استعمل السَّبَبِ و توكلَّ على المسبَّبِ و فوض الأمر إليه و أيقن بما لديه و فقه لما فيه الرّشدِ و حميد العاقبة، فإنَّه الكافي الوفيّ، و لا قوَّةَ إلا بالله، و ما النَّصرُ إلا من عنده، و هو العزيز الحكيم.

ذكر العالم

قال الحافظ:

العالم عندي - والله أعلم - ما يعلم وجود الباري و وحدته، وهو عند العرب كل ناطق مختار. ألا ترى ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسير قوله: «رب العالمين» يعني رب كل ذي روح على وجه الأرض.

و العالم اثنان: عالم صغير، و عالم كبير.

أما الصغير؛ فهو نفس الإنسان المركبة من العناصر الأربعة، وهي النار و الهواء و الماء و التراب، و جمع فيها من الآيات ما جمع في العالم الكبير ليستدل الناظر على مدبرها و خالقها.

و أما الكبير؛ فهو الآفاق، و فيها دلالة العقلاء و عبّر البصراء و حجج العلماء و بصر الحكماء.

و قيل: العالم اثنان: عالم مشهود، و هو ما يشهده الإنسان نظراً و اعتباراً. و عالم موعود، و هو ما وعده الباري بشرى و انتظاراً.

و قيل: العالم اثنان: جسماني و روحاني.

أما الجسماني؛ فالدنيا و ما فيها.

و أما الروحاني؛ فالآخرة و ما فيها

و قال أهل التصوف: العالم اثنان: عالم الصورة، و عالم الصفا.

و قيل: العالم اثنان: سفلي و علوي.

أَمَا السَّفَلِيّ؛ فالأَرْضُ و من عليها.

و أَمَا العُلُوّيّ؛ فالسَّمَاوَاتُ و من فوقها.

أَمَا الأَرْضُ فعُلَى ضَرَبَيْنِ: بَرٌّ و بَحْرٌ. و البَرُّ عُلَى ضَرَبَيْنِ: سَهْلٌ و جَبَلٌ. و البَحْرُ عُلَى وَجْهَيْنِ: عَذْبٌ و مَلْحٌ، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَ هَذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَمَلٌ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ وَ حِجْرٌ مَّحْجُورٌ﴾^١ و هو حَاجِزٌ قَدْرُهُ، وَ كَلَّ شَيْءٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَهُوَ بَرْزَخٌ، وَ ﴿حِجْرٌ مَّحْجُورٌ﴾ يَمْنَعُ أَحَدَهُمَا عَنِ الْاِخْتِلَاطِ بِالْآخَرِ.

وَ فِيمَا يُوَثِّرُ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) - وَ اللهُ أَعْلَمُ -: إِنَّ الأَرْضِينَ عُلَى رَأْسِ الْمَلِكِ، وَ الْمَلِكُ عُلَى الصَّخْرَةِ الخَضْرَاءِ، وَ الصَّخْرَةُ عُلَى قَرْنَيْ الثَّوْرِ، وَ الثَّوْرُ عُلَى ظَهْرِ الحَوْتِ، وَ الحَوْتُ عُلَى المَاءِ، وَ المَاءُ عُلَى الرِّيحِ، وَ الرِّيحُ عُلَى الهَوَاءِ، وَ الهَوَاءُ عُلَى الثَّرَى - وَ هُوَ النَّدَى مِنَ التَّرَابِ - وَ الثَّرَى فَوْقَ الصَّخْرَةِ السَّوَدَاءِ، وَ الصَّخْرَةُ هِيَ السَّجِّينِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفَجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾^٢ - قِيلَ: مَخْتُومٌ. وَ قِيلَ: مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ صَاحِبِهِ - وَ تَحْتَ الصَّخْرَةِ جَهَنَّمُ ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾^٣ وَ هِيَ أَسْفَلُ العَالَمِ.

هَذَا مَذْهَبُ العُلَمَاءِ مِنَ أَهْلِ النُّظَرِ فِي تَرْكِيبِ الأَرْضِ. وَ مَا يَرُوى مِنَ الأَخْبَارِ مَبْنِيَّةٌ عُلَى هَذَا أَوْ عُلَى مَا يَقَارِبُهُ.

وَ عِنْدَ أَهْلِ التَّنْجِيمِ أَنَّ الأَرْضَ سَبْعَةُ أَقَالِيمٍ مَتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَ أَنَّ اللهُ زَيَّنَ الأَرْضَ بِالمَاءِ وَ النِّبَاتِ وَ الحَيَوَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عُلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^٤.

وَ فَوْقَ الأَرْضِ الهَوَاءُ، وَ هُوَ جِسْمٌ رَقِيقٌ لَا يَرَى، لَكِنَّهُ إِذَا حَرَّكَ إِذَا حَرَّكَ، وَ يَسْمَى

١. الفرقان: ٥٣.

٢. المطففين: ٧.

٣. الحجر: ٤٤.

٤. الكهف: ٧.

الجوّ، قال الله تعالى: ﴿ألم يروا إلى الطّير مسخّرات في جوّ السّماء ما يمسكهنّ إلاّ الله﴾^١.
 وفي الهواء السحاب وهو ما ينعقد بين السماء والأرض فيمطر منه، والرّعد وهو
 الصّوت الذي يسمع من السّحاب، وهو عند الرّواة ملك يسوق السّحاب. قال الله
 تعالى: ﴿ويسيح الرّعد بحمده والملائكة من خيفته﴾^٢، والبرق وهو النّار التي تنفدح من
 السّحاب، والصّواعق وهي النّيران التي تخرج من السّحاب فتحرق الحيوان والنبات،
 والريّح وهي ما تهبّ في الهواء، وهي على وجوه: ريّح الصّبا، وريّح الجنوب، وريّح
 الدّبور، وريّح الشّمال. فريّح الصّبا بركة، وريّح الجنوب زيادة، وريّح الشّمال رحمة،
 وريّح الدّبور عقوبة.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: نصرت بالصّبا، وأهلكت عاد بالدّبور^٣.
 وقال: لا تسبّوا الرّيح فإنّها من نفّس الرّحمان^٤. يعني من نصرته، فالنّفّس: النّصرة
 هاهنا لا غير، يقال: نفّست كربته: إذا نصرته وفرّجت عنه، وهو قريب من قوله ﷺ:
 أجد نفّس ربّكم من قبل اليمن^٥. وذلك أنّ الأنصار كان أصلهم من اليمن. وفي رواية:
 إنّي لأجد نفّس الرّحمان من قبل اليمن^٦. وهو مخصوص بأويس القرني لأنّه ناصر
 دين الله وشرّيعه رسوله ﷺ.

وفي الهواء البارد، وهو المطر المنعقد الذي ينزل من السّحاب شبه اللثالي، والثلج
 وهو أجزاء الماء المنعقدة اللينة

وقيل: في الهواء جبال وبحار، والله أعلم بذلك، قال الله تعالى: ﴿ألم تر أنّ الله يزوجي
 سحاباً ثمّ يؤثّف بينه ثمّ يجعله ركاماً﴾ يعني متراكماً بعضه فوق بعض ﴿فترى الودق﴾ وهو

١. النحل: ٧٩.

٢. الرّعد: ١٣.

٣. راجع نوادر الرّواوندي: ١٠٣ وصحيح البخاري: ٢٢٢/٢.

٤. راجع المجازات النّبوية: ٥٧ و سنن التّسائي: ٢٣٢/٦ والإيضاح لابن شاذان: ١٤.

٥. راجع مسند أحمد: ٥٤١/٢ والمعجم الأوسط: ٥٧/٥ والمجازات النّبوية: ٥٦.

٦. راجع النهاية لابن الأثير: ٩٣/٥ ومسند الشاميين: ١٥٠/٢.

المطر الغزير العظيم القطر «يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء» فضلاً ونعمة «ويصرفه عنّ يشاء» اختباراً وحكمة «يكاد سنا برقه» يعني ضوئه «يذهب بالأنصار»^١.

ثمّ العالم العلويّ وهو السّماوات السّبع المطبّق بعضها فوق بعض، قال الله تعالى: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا»^٢ و قال: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»^٣ و السّماوات أماكن البروج و الأفلاك و الكواكب الثابتة و السّائرة و مستقرّ الملائكة، و فيها البيت المعمور، و في السماء المجرّة و هي الطّريقة البيضاء، و فيها الأصباغ و هي التي تنعقد في السّماء بعقب المطر أيّام الرّبيع، تسمّيها العامّة: قوس قزح، و سمّاه أمير المؤمنين عليه السلام قوس الله. و قال: هي أمان من الطّوفان بعد الغرق و دلالة على الخصب^٤. قال الله تعالى: «وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحَبْكَ»^٥ و هي الطّرائق التي كأنّها مركّب بعضها فوق بعض، و فيها الخنّس و هي الأنجم التي تسير في البروج كسّير الشّمس و القمر، و هي التي تخنس، أي ترجع بينما ترى أحدها في آخر البرج، ثمّ كرّ راجعاً إلى أوّله و يسمّى أيضاً كنّساً لأنّها تكنس، أي تستتر كما تستتر الطّباء

و أديم السّماء هو ظاهرها

و عنان السّماء ما عنّ منها و عرض للبصر.

و سئل أمير المؤمنين عليه السلام هل للسّماوات قفل و هل للقفل مفتاح؟ قال: [نعم] قفلها الشّرك و مفتاحها الشّهادة^٦. قال الله تعالى: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»^٧.

١. التّور: ٤٣.

٢. الملوك: ٣.

٣. المؤمنون: ١٧.

٤. انظر الخصال: ٤٤١، تحف العقول: ٢٢٩، روضة الواعظين: ٤٦.

٥. الذاريات: ٧.

٦. راجع غاية المرام ٢١٧/٥ و الغدير: ٢٤٢/٦ و البحار: ١١٨/٣٠.

٧. فاطر: ١٠.

و حِرَاسِ السَّمَاوَاتِ النُّجُومِ، وَ هِيَ الشَّهْبُ الثَّوَابِقِ. قَالَ اللَّهُ يَحْكِي قَوْلَ الْجِنِّ: ﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَ شَهْبًا﴾^١.

و فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْمَلَكُوتِ وَ هُوَ مَلِكُ الْبَارِي، وَ يُقَالُ: هُوَ دَانَ مَلِكُهُ. وَ يُقَالُ أَيْضًا: مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَصِفُ الْخَلِيلَ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^٢.

وَ فِي الْمَأْثُورِ: سَبْحَانَ ذِي الْمَلِكِ وَ الْمَلَكُوتِ، سَبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَ الْجَبْرُوتِ^٣. وَ جَبْرُوتُهُ عَظَمَتُهُ، وَ تَجَبَّرَهُ وَ عَظَمَتُهُ جَلَالَةُ أَمْرِهِ وَ عُلُوُّ سُلْطَانِهِ.

وَ لَا يُعْتَقَدُ فِي ذَاتِهِ طُولٌ وَ عَرْضٌ، فَإِنَّهَا تَوْجِبُ الْمَسَاحَةَ، وَ الْمَسَاحَةَ تَوْجِبُ التَّقْدِيرَ وَ التَّحْدِيدَ، وَ مَثَبْتَ هَذَا خَارِجٌ عَنِ حُكْمِ الْمُؤَخِّدِينَ.

وَ الْجَنَّةُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَ النَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ، وَ عَرْضُ الْجَنَّةِ الْوَاحِدَةُ مِثْلُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.

وَ الْأَفْقُ الْأَعْلَى: اسْمُ مَوْضِعٍ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ.

وَ عَلَيُّونَ: لَوْحٌ مِنْ زَبْرُجَدٍ أَخْضَرَ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَ هُوَ مَشْهُدُ الْأَمْلَاقِ لِعَرْضِ الْأَعْمَالِ وَ نَسْخَةِ الْأَجَالِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ مَا عَلَيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^٤.

وَ فِي الْآثَارِ: أَنَّ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ حَجَبٌ مِنْ بَحَارٍ وَ أَسْتَارٌ^٥ أَوْدِيَةٌ تَتَوَقَّدُ مِنْهَا نِيرَانٌ، وَ فِيهَا صَفُوفٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ قَائِمٍ وَ رَاكِعٍ^٦ وَ مَلْفٍ رَأْسُهُ فِي جَنَاحِهِ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ وَ عَنِ الْعِبَادَةِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ، لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ مَقَامٌ

١. الجن: ٨.

٢. الأنعام: ٧٥.

٣. مصباح المتهجد: ٨٥.

٤. المطففين: ٢١.

٥. هنا سقط في الأصل.

٦. هنا سقط في الأصل.

معلوم لا يجاوزه إجلالاً لعظمة الله و تعظيماً لهيبته، قال الله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾^١ و هيهات! لو شاهدتها عاقل بقلبه لطار فؤاده و ذهب رقاده و طال حنينه و اشتد أنينه لما يرد عليه من الهيبة آثار علوية و أحكام إلهية و شواهد ربانية و أسرار ملكوتية و دلائل برهانية، سوابق لطف و ألطاف برّ و خزائن حكمة و كنوز رحمة، سرّ مخزون و قلم مكنون و لوح مصون و عرش مجيد و كرسي رفيع و أمر بديع، لا يشهده إلا المقرّبون و لا يطّلع عليه إلا المرسلون و لا يوقن به إلا المطهّرون و لا يتفكّر فيه إلا المخلصون و لا يحقّقه إلا العارفون، حجب العقول عن إدراكها، و الألسن عن جحودها، و المعرفة عن ردها، عند ذكره يخضع نفوس المتجبرين، و يتحير أوهام المتفكرين، و تصفو عقول المستبصرين، و تطيش أحلام العارفين إظاماً لأمر ربّ العالمين.

ذكر النفس الأمّارة واللّوامة والمطمئنّة

قال الحافظ:

أجلّ الأنفس نفس [الحيوان وأجلّ من] الحيوان نفس الإنسان لأنّها الجامعة للمعاني القابلة^١ بالمعاش، الذّاكرة للمعاد، النّاظرة في العواقب، الطّالبة للرّشد. [والنفوس] ثلاثة:

نفس أمّارة، قال الله يحكي قول امرأة العزيز: ﴿وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمارة بالسوء﴾^٢.
ونفس لّوامة، قال الله: ﴿ولا أقسم بالنفس اللّوامة﴾^٣.

ونفس مطمئنّة، قال الله تعالى: ﴿يا أيّها النفس المطمئنّة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾^٤
فالأمارّة أرضيّة، واللّوامة سماويّة، والمطمئنّة ملكوتيّة عرشية. فالأمارّة تميل إلى الدّنيا وتّبع هواها وتطلب الشّهوات وتقضي مناها، واللّوامة تجتهد في الطّاعة وتخالف هواها وترفض الشّهوات وتترك مناها، والمطمئنّة تشتاق إلى الملكوت بسموّ همّتها وصدق إرادتها وصفاء ذهنها.

١. هنا سقط في الأصل.

٢. يوسف: ٥٣.

٣. القيامة: ٢.

٤. الفجر: ٢٧.

[ذكر النفس والروح والقلب]

فالنفس مرید الدنیا، والروح مرید الآخرة، والقلب مرید الملك. فأما سبیل النفس إلى مرادها فالنهمة والشهوة، وأما سبیل الروح إلى مراده فالرغبة والرغبة، وأما سبیل القلب إلى مراده فالشوق والإنابة

فالإنسان مركب من الأصول المذكورة في قوله عز ذكره: ﴿لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قيل: الروح، وقيل: هو [نبات] الشعر، والأول أولى ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^١ فظهر فعل الربوبية في خلق الإنسان.

وقد قيل: الإنسان هو العالم الصغير، وهو أفضل الأشياء وأكملها وأقربها وأحسنها، وقد فضله الله على غيره بالعقل والتمييز والصورة الحسنة وتجنس الأفعال، قال الله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾^٢.

ولم يخلق الله في العالم الكبير شيئاً إلا وخلق مثله في نفس الإنسان الذي هو العالم الصغير و غرض العالم الكبير.

ففي العالم الشمس والقمر والنجوم، وفي نفس الإنسان المعرفة والعقل والعلم.

١. المؤمنون: ١٢. وفي تفسير الطبري ٩/١٨: عن قتادة، يقول بعضهم: هو نبات الشعر، وبعضهم يقول: هو

نفخ الروح.

٢. الإسراء: ٧٠.

وفي العالم الفلك، وفي النفس القلب، وهو فلك البدن.

وفي العالم الرّسل والأنبياء، وفي البدن الحواس الخمس، وهي رسل الجوارح إلى القلب القابل المدبّر للأمور.

وفي العالم أزداد وأشكال، وفي النفس كذلك.

وبقاء العالم بالمادة العلوية، وبقاء النفس بالدماغ الذي هو أجل الأعضاء الرئيسية.

وفي العالم بحار وعيون وأنهار من عذب وملح، وفي النفس عروق شبه الأنهار والعيون والبحار.

وفي العالم جبال، وفي النفس عظام بها بقاء النفس كما بتلك الجبال الزواسي ثبوت الموكن^١.

وفي العالم رياح مُصلحة ومميّزة، كذلك في النفس رياح جاذبة وهاضمة وماسكة ودافعة.

وفي العالم محن وأهوال، وفي النفس خواطر وشبه.

وفي العالم نبت وأشجار، وفي النفس كذلك، وهو الأشعار^٢ والأشجار والحواجب وما شاكلها.

وفي العالم آفات ونوازل، وفي النفس أمراض وأسقام وأوجاع.

وفي العالم سعود ونحوس، وللنفس خذلان وحرمان وتوفيق وعصمة وأفعال سنّية وأخلاق رضيّة وأطباق رديّة وآثار ذميمة.

وفي العالم عبّر وأمثال، وفي النفس عجائب وأحوال، قال الله تعالى: ﴿سُئِرْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^٣.

فالنفس ضيعة المؤمن، والشّهوات شوكة، والشياطين خنازيره، والعقل حرّاته،

١. كذا.

٢. في الأصل: الشفاء.

٣. فضلت: ٥٣.

والعلم دليله، والحلم وزيره، والصبر جنته، والفقر شعاره، والخوف دثاره، والزهد سريره، والحكمة خزائنه، والتوكل حصنه، والحجة سيفه، والله وليه ومولاه وحسبه وكفاه.

وقيل: النفس عدوٌ لا تحذر، وعداوتها ظاهرة لا تستر.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: رأيتم نفساً إن نعمها صاحبها وفتقها ذمته غداً قدام الله وإن أتعبها صاحبها وأنصبها مدحته غداً قدام الله. قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: تيكم أنفسكم التي بين أجنبتكم.

فعلى العاقل الرّشيد أن يؤدّب نفسه ويهذّب أخلاقه ويحملها على ما يزينها ويصونها عما يسيئها ويتفكّر في عاقبتها، فإنّ الأنفس جواهر ولها أثمان و خزائن، وإنّما التفاضل في هذه الجواهر بالعلم الإلهي، فقد قال سيّد الأنبياء ﷺ: إنّ من العلم شيء مكنون - أو قال: مدفون - لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نظقوا به لم يجهله إلا أهل الغزّة بالله، فلا تحقروا عبداً آتاه الله علماً، فإنّ الله لم يحقره لما استودعه علمه^١.

ومن مشهور قول أمير المؤمنين عليه السلام: قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره^٢.

و اتفقت الحكماء على أنّ من عرف نفسه فقد عرف ربّه؛ لأنّ الأنفس بما فيها من العجائب دالّة على خالقها ومحدثها ومصوّرها.

وفضائل الإنسان الشريفة أكثر من أن تحصى، وحسبك أنّ النفس الواحدة شاهدت الملكوت فاطلعت على الكوائن الأبدية بصفاء ذهنها ونور عقلها، وهو نفس المصطفى من الرّسل على ذكره سلام الله، وتلقنت النفس الثانية الشريفة ما ألقى إليها لسان التبليغ عند فراق المحنة تخصيصاً لها من بين البشر بحبله وموافقته معه في العسر واليسر والسّر والجهر.

١. راجع الكامل لابن عدي: ١١١/٤ وتذكرة الموضوعات: ١٨.

٢. الخصال: ٤٢٠.

وهذا أبو البشر ساد الملائكة المقربين بفضائل نفسه الشريفة، فخرّوا له ساجدين وأقروا بفضله طائعين، ونزلت اللعنة على المستكبرين، وسخر الله العالم بما فيها لمن تباهت فضائله من نفس الإنسان يكشف عن مضمرة أحوال المرسلين و آثار النبيين. وفي رواية الصادقين عليهم السلام: كان جبرائيل يقعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فغدة العبد بين [يدي] مولاه^١. كل ذلك بإذن باريه وإذن خالقه ومنشئه إظهاراً لفضله وإثباتاً لشرفه، ولو لم يكن من فضائل هذه الأنفس الشريفة إلا ما جعل الله فيها من النبوة والزسالة والإمامة والخلافة والملك والسياسة والشرف والرئاسة والحكم والقضية والحدق والمهارة مع سوابغ نعمها وخصائص منها التي اختصت بها دون البرية^٢. فتدبر أمر نفسك وتفكر في ما ندبت له ودعيت إليه، ولا تكن ممن جمحت به الشهوات في الوحول المردية فأطغاه الكبر وأبطره الغنا وغرق في بحار المني وأثر الأولى على الأخرى وصار إلى نار اللظى، قال الله تعالى: ﴿فأما من طغى﴾ يعني خرج من حدّ العبودية ﴿وأثر الحياة الدنيا فإنّ الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنة هي المأوى﴾^٣.

١. راجع علل الشرائع: ٧/١.

٢. جواب «لو» محذوف ظاهراً.

٣. التّازعات: ٤٠.

ذكر الطبِّ وطبائع الإنسان

قال الحافظ:

الطبُّ علم إلهيِّ سماويِّ نبويِّ، نطق به الكتاب ووردت فيه السنَّة عن الرِّسول ﷺ والأئمَّة بعده.

أما الكتاب؛ فقولُه عزَّ ذكره في شأن النحل و ذكر العسل و ما جعل فيه من الشفاء: ﴿وَأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً و من الشجر و ممّا يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾^١.

لم يقل هو شفاء للناس؛ دلَّ على أنه نافع من وجه و ضارَّ من وجه، و ذلك أن العسل ينفع للمرطوب و يضرُّ للمحروور.

و فيما يؤثر عن رسول الله ﷺ قال: إن العسل شفاء ألا وهي سمُّ الله القاتل^٢.
و أمَّا السنَّة؛ فما روي عن رسول الله ﷺ قال: لا تكثرهوا أربعاً فإنها لأربع: لا تكثرهوا الزمذ فإنه يقطع عروق العمى، و لا تكثرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام، و لا تكثرهوا السعال فإنه يقطع عروق البلغم، و لا تكثرهوا الدمل فإنه يقطع عروق البرص^٣.
فقد أبان ﷺ جميع ما فيه مصالح الإنسان من عوارض العلل و ما تعقَّب من الشفاء

١. النحل: ٦٩.

٢. كذا في الأصل. و لكن في مستدرک الوسائل: ٣٦٨/١٦. في الخبر أن العسل شفاء من السمِّ القاتل.

٣. راجع الحاصل: ٢١٠ و ميزان الاعتدال: ٣٧٦/٤ و لسان الميزان: ٢٥٥/٦ و الكامل لابن عدي ٢٤٢٧.

ليستدلّ الناظر على أنّ أعلم الخلق بالطبّ رسول الله ﷺ وأنبيأوه وأوصياؤه ﷺ، هذا المسيح صلّى الله عليه بلغ من التأييد في هذا الباب أن أحياى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن خالقه ومنشئه، وعجز عن دون ذلك رؤساء الفلاسفة وقُدماء الأطباء. وقد أيد الله رسله ﷺ بالمعاجيز الباهرة حتّى لم يؤثّر السّم الناقع في بواطنهم ولا النّار المحرقة في ظواهرهم، يستدلّ على ذلك بأمر الخليل مع نار نمرود وشأن الحبيب مع الذراع المسموم.

ومما يدلّ على أنّ الرّسل وأتباعهم كانوا أعلم الخلق بالطبّ ما أوحى الله إلى العذراء البتول ﷺ عند ولادة المسيح ﷺ من أكل الرّطب قوله: ﴿ومرّي إليك بجذع النّخلة تساقط عليك رطباً جيّناً فكلّي﴾ يعني من التمر ﴿واشربي﴾ من النّهر ﴿وقري عينا﴾^١ بالولد المبارك. علّمها أنفع الأشياء للتّغساء.

ولو لم يكن هذا العلم الإلهيّ التّبويّ لهلك في معرفة أدنى دواء عالم من البشر إذ لا يوقف على طبائع الأغذية والأدوية إلّا بتعليم أو تجربة.

وذكر [عن] أمير المؤمنين ﷺ قال: إذا شكّا أحدكم بطنه فليسنأل من صدق امرأته ثلاث دراهم وليشتر به العسل وليشربه بماء السّماء، يجمع الله له الشّفاء. والهنىء والمرىء: المبارك^٢.

وذكر عنه ﷺ قال: من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفّف الرداء، ويلزم الجداء، وليقلّ غشيان النّساء^٣.

وانتفتت الأطباء أنّ رأس الطبّ الحمية والأزم^٤ وهو ما قالت الرّسل ﷺ من دلالة الخلق على الصّوم وتعظيم أمره وتفضيل أيّامه على سائر الشّهور، ومدحهم الجوع

١. مريم: ٢٥.

٢. راجع تفسير العيّاشي ٢١٨/١.

٣. راجع الفقيه ٥٥٥/٣ والأمالى للطّوسى: ٦٦٦ وعيون أخبار الرضا ﷺ: ٤٢/١.

٤. الأزم: الحمية وأزم عن الشيء: أمسك عنه.

ونهيهم عن كثرة الأكل واقتصارهم على الأدنى من ذلك.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات تَقْمَنُ به صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه^١.

وقال ﷺ: أجيئوا أكبادكم وأعروا جنوبكم وشعثوا رؤوسكم، وصبوا عليكم جلباب الحزن لعلكم تلقون ربكم بقلوبكم^٢.

وانفقت الحكماء على ذم الشَّبَعِ المورث لِلتَّخَمِ المولِدِ للفضول، وإنما أخذوا ذلك من الرّسل صلوات الله عليهم، يدلّ عليه قول المصطفى ﷺ: من بات في خِيفَةٍ من الطّعام والشّراب تداكت حوله الحور العين حتّى يصبح^٣.

وقوله ﷺ: عرض عليّ ربّي أن يجعل لي بطحاء مكّة ذهباً وفضّة، فقلت: أشبع يوماً وأجوع يومين، فإذا شبعت حمدت وإذا جعت تضرّعت^٤.

وقال يحيى بن الحسن^٥: إن أردت أن لا تحتاج إلى طبيب فاجعل الحلّق ميزان البطن؛ فإنّه ما أفسد الجوع يصلح بدائق، وما أفسد الشَّبَعِ لا يصلح بمائة درهم.

وقيل: الجوع شدّة مع سبعين راحة، والشَّبَعِ راحة مع سبعين داء.

وقيل: الجوع سحابة تمطر الحكمة، والشَّبَعِ غطاء يمنع الرّحمة.

وكان ابن مسعود يقول: عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن.

وبلغني عن بعض الفلاسفة أنّه كان يحمل على نفسه في الحمية، فقال له تلميذه:

أيّها الحكيم، لو زدت في غذائك شيئاً ازددت به قوّة ونشاطاً! فقال له: يا بني، إنّما أطلب

الغذاء حرصاً منّي على البقاء، ولا أطلب البقاء حرصاً منّي على الغذاء.

١. راجع البحار: ٣٣٠/٦٦ و مسند أحمد: ١٣٢/٤ و سنن ابن ماجة ١١١١/٢.

٢. راجع مشكاة الأنوار: ٤٤٨.

٣. راجع المعجم الكبير: ٢٥٨/١١ و مكارم الأخلاق: ١٥٠.

٤. راجع الكافي: ١٣١/٨ و مسند أحمد: ٢٥٤/٥ و سنن الترمذي: ٦٧٤.

٥. أو الحسين.

واعلم أنّ الطبائع العظمى أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. اثنان منها فاعلان بإذن الله؛ وهما الحرارة والبرودة، واثنان مفعولان؛ وهما الرطوبة واليبوسة. ثمّ يتركّب من هذه المفردات الأربع أمّهات مركّبات؛ أولها النّار وهي حارّة يابسة، ثمّ الهواء وهو حارّ رطب، ثمّ الأرض وهي باردة يابسة، ثمّ الماء وهو بارد رطب. وقوام كلّ شيء في العالم بهذه الأربعة ولا يستغني عنها شيء من حيوان ولا نبات ولا يقوم إلّا بها، أعني الدّم والبلغم والمرّة الصّفراء والمرّة السّوداء، ومن هذه المزاجات يكون أبدان النّاس وسائر الحيوانات. وذكر أطباء بابل أنّ البدن أربعة أجزاء:

الأوّل منها: الرأس وما يليه، فإذا اجتمع فيه فضول كان آية ذلك ظلمة العينين وثقل الحاجبين وضربات الصّدغين ودويّ الأذنين وانسداد المنخرين، فمن أحسّ شيئاً من ذلك فليأخذ إفستين^١ فيطبّخه [في] شراب حلّو مع أصول الشعير حتّى يذهب^٢ نصف الماء ويتغرّغ به في كلّ غداة ويأكل الخردل والعسل، فإنّه إن أغفل عن ذلك أورثته وجع العينين والخنازير وأوجاع الرّأس الشّديدة الصّعبة مثل الصّداع الدّائم والحرقة في الحلق وغير ذلك.

والجزء الثاني: الصّدر، فإذا اجتمع فيه فضول كان آية ذلك ثقل اللسان وملوحة الفم ومرارته وحموضة الطّعام يجدها على رأس المعدة والسّعال، فينبغي لمن أحسّ ذلك أن يخفّف من طعامه ويتقيّاً فإنّه إن ترك ذلك أعقبه ذات الجنب ووجع الكلية والحمّى وغير ذلك من الأمراض.

والجزء الثالث: البطن وما يليه، فإذا اجتمع فيه فضول كان آية ذلك التقطير ووجع الكلّيتين والاقشعرار، فينبغي لمن أصابه ذلك أن يسهل البطن ويفرغ الفضول بالأدوية الّتي تلائم تلك العلل والأوجاع، فإنّه إن أغفل عن ذلك كان خليقاً أن لا يأمن

١. قال في بحر الجواهر: هو حشيشة فيه مرارة...

٢. في الاصل: يذهب.

استطلاق البطن الشديد المنهك للبدن و الزحير^١ و وجع الوركين و المفاصل و الظهر و البواسير و النقرس و الرياح الصعبة.

و الجزء الرابع: المثانة و ما يلها، فإذا اجتمع فيه فضول كان آية ذلك فتور الشهوة و بشر^٢ يظهر على الاليتين و العانة، فينبغي لمن أحس ذلك أن يأخذ الكرفس و الزرايانج^٣ و من أصولهما فينقعه في شراب أبيض طيب الريح، ثم يأخذ منه في كل غداة شيئاً ممزجاً بالماء و العسل على الزيق، و يقل من أكل الطعام، فمن أغفل عن ذلك أورثه وجع المثانة و حصر البول و وجع الكبد و الرثة.

و قال جالينوس: إن حفظ الصحة يكون بإذن الله على وجهين:

أحدها: الاعتناء بما يوافق سن الإنسان و زمان السنة الذي هو فيه و العادة التي اعتادها بالأطعمة و الأشربة التي ألفها و بنيت بنيته عليها.

و الوجه الثاني: إخراج ما يتولد فيه من الفضول و المواد الرديّة.

و قال: إذا كانت المعدة حارة قوية كان أنفع الأغذية لصاحبها ما غلظ و قوى كالنار العظيمة التي تقوى على إحراق الجلال الجزل من الحطب، و إذا كانت باردة ضعيفة كان أنفع الأغذية له ما خفّ و استمرأ كالنار الضعيفة التي توقد بالقضب و دقاق الحطب.

و من الدلائل على الاستمرار خفة البدن و صفو الجشأ و حركة الشهوة، و أمّا التخمة استرخاء البدن و الكسل و انتفاخ الوجه و كثرة التمطي و ثقل العين، و أن يصير الجشأ حامضاً أو منتناً و يهيج قراقر و نفخ و فتور شهوة و يتحلّب البلبل في الفم.

و قال جالينوس: ينبغي للرجل إذا انتبه من نومه أن يتمشّي قليلاً و يغمز رقبته و رأسه نَعماً و يتمرّح بدهن موافق لسنته و زمانه و يتمشّط، فإن الغمز المعتدل يصلب

١. قال في بحر الجواهر: كأمير ...

٢. جمعه: البثور و هي أورام صفار كالدمل.

٣. هو صنغان برّي و بستاني... كذا في بحر الجواهر.

البدن، والتدهنّ يلين الجلد، والمشط يخرج البخارات من الرأس. فأما الغمز المفرط فإنه يرخي البدن ويورث الفتور، وإذا انتهى أكل ما يوافق طبيعته وزمانه، ولا يأكل في الشتاء بارداً ولا في الصيف حاراً، فإذا نام فليتم على يساره ساعة، ثم لينقلب على يمينه لأن الشق الأيسر بارد فهو يحتاج إلى ما يسخنه، وليبدأ بما لان من الغذاء [بأن يأكل ما] كان منها مريئاً سهلاً، ثم يأكل بعده ما صلب منها لأن الطعام اللين المريء يخرج من البدن سريعاً فيسهل لذلك خروج الطعام الصلب بعده، وإن هو بدأ بالطعام الصلب البطيء ثم أكل بعده ما لان من الطعام انضمت تلك الأطعمة اللينة سريعاً وطلبت مخرجاً واحتبست تلك الغليظة عنها غير منهزمة، فإذا لم تجد تلك الخفيفة مخرجاً فسدت وأفسدت ما تحتها من الأطعمة الغليظة.

وقال بقراط: إن مما يعين على الصحة أن لا يأكل الرجل حتى يتعب نفسه قليلاً ثم يستريح إلى أن يشتهي الطعام، فإذا أكل اضطجع ونام فإن أحس بثقل في شراسيفه نفعه أن يضع على بطنه مرفقه أو ينام عليها أو يعانق صبيه أو شيئاً حاراً، وإن تجشأ جشأ حامضاً دل على برد المعدة فليشرب الماء الحار بالسكنجيين ثم يتقيأ، فإن أحس بثقل في الكبد فليشرب السكنجيين أو الجوارش^١ الكموني^٢، وإن عطش ليلاً ثم لم يشرب كان ذلك أقوى لحرارته والإكثار من مياه الجليد والتلج مما يطفى الحرارة الغريزية ويورث الأسقام والسّل إلا أن يكون ذلك العطش من حمى ملهبة أو مطاعم وشارب حارة جداً.

وقال بقراط أيضاً: إن الحركة والضّمور^٣ قبل الطعام توقدان نار المعدة، وأما بعده فردي لأنه ينزل الطعام غير نضج فيورث ذلك سداداً وأسقاماً^٤.

١. في الأصل: الجوارشين ومعناه الهاضم للطعام. كذا في بحر الجواهر.

٢. في بحر الجواهر: الكمون: زيره، حارّ يابس...

٣. كذا.

٤. في الأصل: أسقاطاً.

وقال: النوم بعد الطّعام يغذي ويقوّي لأنّه إذا نام الإنسان برد ظاهر البدن واجتمعت الحرارة الغريزيّة المنتشرة من البدن كلّهُ إلى المعدة وما والاها فيقوّي المعدة على الإنضاج.

ومدح بقراط العشاء، فقال: إنّ من اعتاده ثم تركه يبس عليه طبيعته .

وذكر أنّ الغداء يستقبل حرّ النّهار مع شغل الحوائس والنّفس بما يسمع الإنسان ويأشُر ويفكّر وينتشر الحرارة في ظاهر البدن فيضعف المعدة لذلك عن إنضاج الطّعام. وأمّا العشاء فإنّه خلاف ذلك لأنّه يستقبل سكون البدن وهدوء الحوائس والنّفس وهجوم الليل الباردة التي تهرب الحرارة الغريزيّة منه إلى جوف البدن.

ومما قالت الهند في تدبير الصّحّة: ينبغي للإنسان أن يقوم من نومه في السّبع الآخر فينعم الرّوضوء و يلبس أنظف لباسه و يبدأ بحمد الله و يتضرّع إليه في حاجته، ثمّ يستاك بسواك من أشجار مرّة أو خريفة، و يكون السّواك رطباً مستويّاً قليلاً العقد في غلظ الخنصر و طول الشّبّر و لا يكون من شجرة مجهولة لأنّه لا يؤمن أن يكون ذلك سمّاً و لا يجعله عففاً^١ و لا عنيفاً، و يستاك عرضاً على الأسنان و الحنك و اللسان و يغسل الفم في أيّام الصّيف بماء بارد و في الشّتاء بماء حارّ.

وذكر الأعاجم: أنّ ملكاً من ملوكها جمع الأطباء من الهند و الرّوم و فارس و أمرهم أن يصف كلّ واحد منهم شيئاً إذا لزمه و استعمله أيّام شبابه؛ ففعله و لم يضرّه، فكان ما اختاره و أشار به الطّبيب الرّومي الماء الحارّ، و ما أشار به الهنديّ الهليج الأسود، و ما أشار به الفارسيّ الحُرْف^٢، و قد ينفع كلّ واحد منها من أدواء كثيرة.

قالت الفرسيّ: من أمسى و ليس في بطنه ثقل لم يخف الفالج و وجع المفاصل، و من أكل في كلّ شهر سبعة مثاقيل زبيب لم يخف البلغم و حاد حفظه، و كذلك إن كان بذل

١. كذا.

٢. وهو بالفارسية: تخم سندان.

الزَّبِيب سبعة أعواد من زنجبيل أو عوداً لطيفاً من الوشح^١ المرَبِّي بالعسل، و من أكل في كلّ غداة من أيّام الصَّيف خيارة واحدة لم يصبه البرسام تلك الصَّيفة، و من أدمن شمّ المرزنجوش و استعمل دهنه لم يصبه صداع و لم ينزل في عينه الماء، و من أكل في كلّ غداة من أيّام الشّتاء ثلاث لقم من الشَّهد لم يصب البرسام شتوته تلك، و من أكل الحلتيت و استعمله أمن من حمى الرِّبع^٢، و من أكثر المشي حافياً أمن من النّقرس، و من أخذ في كلّ غداة جوزتين و ثلاث تينات مع ورقات من السذاب^٣ لم يخف يومه ذلك إضرار السّم.

و ذكروا أنّ الحارث بن كلدة الثَّقفي^٤ قصد كسرى أنوشروان، فأذن له بالدخول فانتصب بين يديه، فقال له كسرى: من أنت؟ قال: أنا الحارث بن كلدة الثَّقفي. قال: و ما صناعتك؟ قال: طيب. فقال: أعربي؟ قال: من صميمها. قال: و ما تصنع العرب بالطبّ مع جهلها و ضعف عقولها و قلّة قبولها و سوء أغذيتها؟ قال الحارث: ذلك أجدر إذا كانت بهذا الوصف أن تحتاج إلى من يصلح جهلها و يقوّم عوجها و يسوس أبدانه و يعدّل أمزاجها. قال كسرى: فما الذي يحمّد من أخلاقهم و يذمّ من مذاهبهم؟ قال الحارث: لهم أنفُس سخية و قلوب جريّة و لغة فصيحة، يمرق الكلام من أفواههم مروق السَّهم من الرّمية، ألين من الماء و أعذب من الهواء، لهم عزّ لا يرام و^٥ لا يضام، لا يقرّون لفضل أحد من الأنام. فاستوى كسرى جالساً و التفت إلى جلسائه و قال: أطرى قومه فلو لا ما تداركه من فهمه لكذّح قومه غير أنّي أراه راجحاً. ثمّ أمره بالجلوس

١. كذا.

٢. و هي الحمى السّوداوية. كذا في بحر الجواهر.

٣. من الحشائش المعروفة.

٤. طبيب العرب في عصره، مولده قبل الإسلام و مات نحو سنة ٥٠ للهجرة؛ له كتاب «محاورة في الطبّ» بينه

و بين كسرى أنوشروان. راجع الأعلام: ١٥٧/٢.

٥. هنا كلمة لا تقرأ.

فجلس. فقال: كيف بصرک بالطب؟ قال: ناهیک^١، قال: فما أصل الطب؟ قال: ضبط الشفتين والرّفق باليدين. قال: أصبت. قال: فما الدّاء الدّوي؟ قال: هي التخمّة إن بقيت في الجوف قتلت وإن تحلّلت أسقمت. قال: فما تقول في شرب الدّواء؟ قال: اجتنب الدّواء ما لزمك الصّحة، فإن أحسست بحركة الدّاء فأخرجه قبل استحالته، فإنّ البدن بمنزلة الأرض إن أصلحتها عمرت وإن أهملتها خربت، قال: فما تقول في الحجامة؟ قال: احتجم في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم والنّفس طيّبة والسّرور حاضر. قال: فما تقول في دخول الحمام؟ قال: لا تدخل الحّمّام شبعاناً ولا تغش أهلك سكراناً ولا تقم^٢ بالليل عرباناً ولا تقعد على الطّعام غضباناً وارفق بنفسك تكون أرحى لمقيلك. قال: فما تقول في الشّراب؟ قال: أرقّه وأصفاه لا تشربه صرفاً^٣ فيورثك صداعاً ويثير^٤ عليك الدّاء أنواعاً. قال: فما تقول في أكل اللحم؟ قال: اسمنه وأنضجه. إيّاك والمالح والقديد فإنّهما رأسا كلّ علة. قال: ما تقول في شرب الماء؟ قال: إنّه حياة البدن وبه قوامه، ينفع ما شرب^٥ وشربه بعد الجماع والحّمّام ضرر. قال: فما لونه؟ قال: اشتبه على الأبصار لونه، لون كلّ شيء فيه ويحكيه. قال: فما طعمه؟ قال: شيء لا يوصف، مشتقّ من الحياة. قال: فما هذا النّور الذي يبصر به الأشياء؟ قال: العين مركّبة من أشياء؛ فالبياض شحم والسّواد ماء والناظر ريح. قال: فما تقول في أكل الفواكه؟ قال: كلها إذا أقبلت وتركها إذا أدبرت وتولّت فانقضى أيّامها، أفضل الفواكه الرّمّان والأترج، وأفضل البقول الهندباء والخس، وأفضل الرّياحين الورد والبنفسج. قال: فما تقول في إتيان النّساء؟ قال: كثرة غشيانهنّ رديء، إتيانك والمرأة المولىة فإنّها كالشّن

١. «ناهيك» كلمة يتعجّب بها في مقام المدح.

٢. ولعلّ الصحيح: لا تنم.

٣. شربه صرفاً، أي غير ممزوج.

٤. في الأصل: وينثر.

٥. هنا كلمة لا تقرأ.

البالي؛ تجذب قوّتك و تسقم بدنك، ماؤها قاتل و نفسها موت عاجل، عليك بإتيان الشّابة؛ فإنّ ماءها عذب زلال و معانقتها غنج و دلّال، فمها بارد و ريحها طيّب و رحمها ضيق، يزيدك ضمّها قوّة و نشاطاً. قال: فأبّي النّساء القلب إليها أميل و العين برؤيتها أسرّ؟ قال: إذا أصبتها مديدة القائمة عريضة الهامة و اسعة الخدّين مليحة العينين لطيفة القدمين بيضاء فرعاء غضة بضة تختالها بالنّهار شمساً طالعة و بالليل قمرأ زاهراً، إن كشفت عنها [كشفت] عن بيضة مكنونة، و إن عانقتها عانقت ما هو ألبن من الزّبد و أحلى من الشّهد. قال: ففي أيّ الأوقات أفضل؟ قال: عند إدبار الليل يكون الجوف أخلى و النّفس أهدي و الرجح^١ أقوى.

قال: فاستضحك كسرى حتّى اختلجت كتفاه، قال: لله درك يا أخا العرب، لقد أعطيت علماً و خصّصت من بين الجهلاء فطنة و فهماً. ثمّ أمر بإعطائه و إكرامه و صرفه و لم يملك نفسه حتّى قام من مجلسه و دخل دار نسائه.

و الإنسان ثلاثة أجزاء: جسد و نفس و روح؛ فالجسد ما ركّب من الطّبائع و احتاج إلى الغذاء، و النّفس ما قام به الجسد، و الرّوح هو الجوهر اللطيف القابل للمعاني. و الطيب اثنان: ديني و نفسي؛ أمّا الدينيّ فهو العالم بأحكام الشّريعة و أسباب المعاد و المصالح الدنيّة، و عنده أدوية القلوب بالموعظة الحسنة و الحكمة البالغة. و النفسيّ الباحث عن مقادير الدّاء و أصول الأدواء و عوارض العلل و العلاجات المزيلة لتلك العلل العارضة للأبدان المركّبة، و لا بدّ للغفلاء من الطّبيين و الأوّل مقدّم لأنّ حقّ الدّين أعظم و أولى، و لا يصلح أحدهما إلّا بالآخر.

و قد قيل: العالم طيب معالجته دواء و مجالسته شفاء.

ذكروا أنّ عيسى و يحيى عليهما السلام [دخلا قرية و] نزل عيسى على الفجّار و يحيى على الأبرار، فسئل المسيح عن ذلك، فقال: أنا طيب أعالج المرضى.

وسئل بعضهم: ما بال المرضى يحمدون الأطباء إذا أخبروهم من دأئهم والجهال يذمون العقلاء إذا كشفوا لهم عن بواطن عيوبهم؟ قال: لأنَّ المرضى يرون فراق دأئهم سلامة و غنيمة، والجهال يرون ترك شهواتهم و عيوبهم رزيةً و مصيبة.

و سئل: ما بال المريض أرغب في طلب الدواء إلى الأطباء لإصلاح الطبايع من أهل الذنوب إلى مواعظ الحكماء لإصلاح القلوب؟ قال: لأنَّ المريض لألم الداء أوجد من صاحب الذنوب لألم العقوبة.

وقيل: العالم طبيب الدين و العلم دواؤه و المال دأؤه، فإذا رأيت الطبيب يجزّ الداء إلى نفسه فاعلم أنه لا منفعة في دوائه.

و نظر بعض المتعنتين إلى عالم من المتقدمين، فقال: غير تقّي يأمرني بالتقى كطبيب يُداوي المريض و الطبيب مريض .

و غير تقّي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس و هو عليل^١
فأجابه العالم: اعمل بعلمي و لا تنظر إلى عملي، ينفعك علمي و لا يضرّك تقصيري.

و ذكروا أنّ موسى بن عمران عليه السلام شكّا إلى ربّه، فقال: ياربّ، أنا غريب أنا مريض أنا فقير. فأوحى الله إليه: يا موسى، أتدري من الغريب [والمريض و الفقير؟] الغريب من ليس له مثلي حبيب، و المريض من ليس له مثلي طبيب، و الفقير الذي ليس بيني و بينه معرفة^٢.

و إنّ الله تعالى ابتلى الأطباء بعلم عجزوا عن تداويها دلالة على أنّ الشفاء من غيره و أنّ على العبد أن يتوكّل عليه عند العلل و يثق به في الصّحة و المرض، و لا ينساه في العافية و يدعوه في البلاء

ففي المعرض عن ربّه الأبق من سيّده الهارب من مولاه، قال الله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا

١. في الأصل مكان المصراع الثاني: كطبيب يداوي والطبيب عليل!

٢. راجع نهج البلاغة: كتاب ٣١ و عيون الحكم و المواعظ: ٤٦ و عذّة الداعي: ١٠٧.

على الإنسان أعرض ونا بجانبه وإذا مسّه الشرّ فذو دعاءٍ عريض^١.

و يعلم أنّه كاشف الضرّ ومفرّج الكرب و طيبب المرضى و مصلح أحوالهم
و الشافي لأسقامهم و المطلّع على ضمائرهم و العالم بأسبابهم، فيسأله راغباً راهباً
و يدعوّه خائفاً راجياً و يعبده صافياً مخلصاً و يذكره دائباً واصباً، فعنده الصّحة
و الشفاء، و لديه الشدّة و الرّخاء، و منه العافية و البلاء.

ذكر الأمراض وأجر المريض

قال الحافظ:

المرض سبب تطهير العبد و تكفير سيئاته، وهو رسول الموت و منبّه الغافل و المبشّر بفناء الدّنيا، وفيه أجرٌ عظيم لمن صبر عليه.

فقد روي عن رسول الله ﷺ قال: حمى ليلة كفارة سنة^١.

قالوا: لأنّ ضعفها يبقى في الناس سنة.

و روي عنه ﷺ قال: من مَرَضَ مريضاً ليلة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه^٢.

إذا كان التمريض يخرج من الذّنوب، فالمرض أولى.

و روي عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ قال: أنين المريض تسبيح، و صياحه

تهليل، و نفسه صدقة، و قلبه جنباً إلى جنبٍ كأنما يقاتل في العدو، و نومه على

الفرش عبادة، و يكتب له من الحسنات مثل ما عمل في صحته، و يقوم و يمشي و ما

عليه من ذنب^٣.

و ذكر عن محمّد بن زياد قال: دخلت على كعب الأخبار و هو مريض، فقلت له:

كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: جسد أخذ بذنبه، فإن صحّ استأنف العمل، وإن

مضى فإلى ربّ رحيم، وإن الحمى لتأكل ذنوب المؤمن كما تأكل النار خبث الحديد^٤.

١. علل الشرائع: ٢٩٧/١ و ثواب الأعمال: ١٩٢.

٢. راجع الجامع الصغير: ٦٤٨/٢.

٣. دعوات الزاوي: ٢٢٤ و ميزان الاعتدال: ٤٣٦/١ و تاريخ بغداد: ١٨٨/٢ و الفقيه: ٣٦٤/٤.

٤. راجع سنن ابن ماجه: ١١٤٩/٢.

والمريض على وجهين: ظاهر وباطن؛ أما الظاهر فما يصيب النفس من العلل والأسقام المتولدة من فضول الباطن، وأما الباطن فضعف القلب بإرادة المعاصي والشكوك الواردة بأنواع الشبه. قال الله تعالى يصف المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض﴾ يعني ضعف عقيدة ﴿فزادهم الله مرضاً﴾^١ يعني ضعفاً عند حصول العقوبة على العقائد الردية. وقيل^٢ وقال الله تعالى ذكره يعظم نساء رسول الله ﷺ وينهاهن: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾^٣ قيل: إرادة الرِّنا^٤.

[دعاء المريض]

[اللهم لك الحمد على ما لم أزل أتصرف فيه من سلامة بدني، ولك الحمد على ما أحدثت بي من علة في جسدي، فما أدري يا إلهي أي الحالين أحق بالشكر لك، وأي الوقتين أولى بالحمد لك؛ أوقت الصحة التي هنأتني فيها طيبات رزقك ونشطتني بها لابتغاء مرضاتك وفضلك وقويتني معها على ما وفقتني له من طاعتك، أم وقت العلة التي محصنتني بها والنعم التي أتحتفني بها تخفيفاً لما ثقل به علي ظهري من الخطيئات وتطهيراً لما] انغمست فيه من السيئات وتنبهت لتناول التوبة وتذكيراً لمحو الحوبة، وفي خلال ذلك ما يكتب لي الكاتبان من زكّي الأعمال ما لا قلب فكّر فيه ولا لسان نطق به ولا جارحة جنحت إليه، تكلفتها إفضالاً منك علي وإحساناً من صنعك إلي.

اللهم فحبّب إلي ما رزيت لي، ويسر علي ما أحللت بي، وطهرني من ذميم ما أسلفت، وامح عني شرّ ما قدّمت، وأوجدني حلاوة العافية، وأذقني برد السلامة، واجعل مخرجي من علتي إلى عفوك، ومتحوّلي عن مصرعي إلى تجاوزك، إنك المتفضل بالإحسان، المتطول بالامتنان، الواهب الكريم^٥.

١. البقرة: ١٠.

٢. هنا سقط في الأصل.

٣. الأحزاب: ٣٢.

٤. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٥. هذا هو الدعاء ١٥ من الصحيفة السجادية مع تلخيص وتفاوت يسير.

ذكر الخزائن

قال الحافظ:

خزائن الربّ خمسة:

أولها: المشيئة النافذة والقضية السابقة، وهما سببا تكوين الأشياء.

والثانية: اللوح المحفوظ، وهو مجمع العلوم.

والثالثة: قلوب الأولياء، وهي مستودع الأسرار والأنوار.

والرابعة: الجنة، وهي خزانة الثواب والكرامة.

والخامسة: جهنّم، وهي خزانة العقاب والإهانة.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١. قيل: خزائن السّماوات الغيوب،

وخزائن الأرض القلوب.

وذكر عن ابن عباس قال: خزائن السّماوات المطر، وخزائن الأرض النّبات^٢.

فجعل رضي الله عنه المطر من الخزائن لأنّ آثار السّماوات يظهر بعقبه، والنّبات

لأنّ المنافع الأرضية يحصل بوجود النّبات، وهي دلالة [على] البعث والنّشور.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: من أراد أن ينظر إلى النشور فليُنظر إلى الرّبيع،

ما أشبه الرّبيع بالنّشور.

وقال الله يصف الأرض وهو دها وتحرّكها بالنّبات دلالة على الحياة: ﴿وترى

١. المنافقون: ٧.

٢. زاد المسير: ٣٠/٨ عن ابن عباس.

الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج^١.

وقال عز من قائل: ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ يعني خزائنها، والمفتاح: الخزانة، والمفتاح: الخزائن ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ وهي خمس: علم السّاعة و علم كوائن الغد و علم انقضاء الآجال ﴿ويعلم ما في البرّ والبحر﴾ من المياه الزّاكدة و الفلك الجارية و سائر الخلق ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ يعني تقلّبها وقت سقوطها ﴿ولا حية﴾ يعني مستودعة ﴿في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾^٢ قيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: هو القرآن.

والقرآن مستودع كل علم و خزانة كلّ حكمة، قليل ألفاظه، كثير معانيه، و سائر الكتب كثيرة ألفاظها، قليلة معانيها، والله خازن الأرزاق، و الأرزاق في خزائن قدرته يوصلها إلى العباد بقدر ما شاء على حسب مصالحهم.

قال الله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعني أصول الأرزاق ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾^٣.

وفي كلام الحكيم: إنّ الحكماء قهارمة^٤ الله في الأرض، قلوبهم خزائنه و الحكمة كنوزه، أمرهم أن ينفقوا من كنوزه على الهاربين من سخطه التّاركين لدينياه الطّالبيين لرضاه.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: إنّ القلوب أواني الله في الأرض، فأحبها إلى الله أصلبها و أرقها و أصفاها؛ أصلبها في الدّين، و أرقها على الإخوان، و أصفاها من العيوب^٥.

١. الحج: ٥.

٢. الأنعام: ٥٩.

٣. الحجر: ٢١.

٤. جمع قهرمان وهو بمعنى الأمين والوكيل.

٥. راجع فقه الرضا: ٣٨١ و كنز العمال: ٢٤٣/١.

أما المشيئة؛ فلا يطلع عليها إلا بعد ظهورها في الموجودات.

و أما اللوح؛ فقد وكل الله به إسرأفيل عليه السلام يطلع على ما يطلعه الرب عليه.

و أما القلوب؛ فإن الله يجعل لملائكته دلائل و آثاراً يستدلون بها على حركاتها و أفكارها و خطراتها، و إلى هذا ذهب الحسن البصري في تأويل قوله: «ختم الله على قلوبهم»^١ قال: و سمّ يسم بها قلوبهم دلالة على أحوالها.

و قيل: القلوب جؤالة إما حول العرش و إما حول الحشر.

و أما الجنة؛ فحازنها الرضوان و تحت يده أملاك مقرّبون، قال الله تعالى: «و قال لهم خزنتها» عند حضورهم الباب «سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين»^٢.

و أما النار؛ فحازنها مالك و بأمره يتصرّف الأملاك فيها، قال الله عزّ و جلّ: «و قال لهم

خزنتها» عند حضورهم الباب: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم»^٣.

و ذكر صاحب كتاب الميزان^٤: إنّ خزائن الرب في مشيئته، و باب خزائنه رحمته، و في خزائنه جواهره، و أفضل جواهره معرفته. ثمّ فتح الله الخزائن بقدرته و استخرج المعرفة منها برحمته، و خصّ المؤمنين العارفين المقربين بمئته - في كلام يطول، أخذنا منه مقدار الحاجة -.

و قال بعض المريدين: الصّدور خزائن الأخبار، و القلوب خزائن الأسرار، و الأفئدة خزائن الأنوار. فالأخبار مكنونة، و الأسرار مخزونة، و الأنوار مصونة لا يطلع عليها ملك مقرّب و لا نبيّ مرسلّ و لا عبد صالح، فالأولياء بقوّة تلك الأنوار يطلعون على الآثار المغيبة و الأسرار المحجوبة، و هو قول المصطفى عليه السلام: اتقوا فراسة المؤمن

١. البقرة: ٧.

٢. الزّمر: ٧٣.

٣. الزّمر: ٧١.

٤. لم نعرف كتاب الميزان و صاحبه.

فإنه ينظر بنور الله وينطق بتوفيق الله^١. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^٢ يعني المتفرسين. فأقواهم فراسة وأسرعهم اطلاعاً رسول الله والمرضى من ذريته. قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾^٣.

وسئل الحسن بن علي عليه السلام عن صفة العترة الطاهرة، فقال: نحن عترة رسول الله وولاية أمر الله وخزنة وحى الله وورثة كتاب الله، طاعتنا فريضة وحبنا إيمان وبغضنا نفاق، ومحبتنا في الجنة وبغضنا في النار^٤.

فلائمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله خزنة العلوم النبوية ومستودع الأسرار الربانية ومحل الآثار العلوية ومختلف الأفلاك الروحانية، عندهم علم المنايا والبلايا والقضايا وفصل الخطاب.

وذكر عن كميل بن زياد النخعي - وهو مشهور عنه - قال: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فخرج بي إلى ناحية الجبان، فلما أصحرت نفوس الصعداء ثلاثاً، ثم قال: يا كميل بن زياد، إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني [ما أقول] الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق. يا كميل بن زياد، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على الإنفاق والمال تبديه التفقة - و يروى: تنقصه - يا كميل بن زياد، محبة العالم دين يدان به، تكسبه الطاعة في حياته وجميل الأحدثة بعد موته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال يزول بزواله. يا كميل بن زياد، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة وأمائلهم في القلوب موجودة، هاهنا إن

١. راجع الكافي: ٢١٨/١ والجامع الصغير ٤٢/١ و٢٤٣ وجامع البيان: ٦٢/١٤.

٢. الحجر: ٧٥.

٣. الجن: ٢٧.

٤. مناقب آل أبي طالب: ٣٣٦٣ وبشارة المصطفى: ٢٥٠ باختلاف يسير.

ها هنا - وأشار إلى صدره - علمألو أصبت له حملة بل أصبت لقتناً^١ غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعمته على كتابه، و متقاداً لحملة الحق لا بصيرة له بأحنائه، ينقدح الشك في قلبه بأؤل عارض من شبهة ألا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرماً بالجمع والادخار ليستا من رعاة الدين، أقرب [شيء] شبهاً بهما الأنعام، كذلك يموت العلم بموت حامله. اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائل بحق إما ظاهر مكشوف وإما خاف مغمور لئلا يبطل حجج الله وبيئاته، وكم وأين، أولئك الأقلون عدداً والأعظمون قدراً، بهم يحفظ الله حججه وبيئاته حتى يودعوها أمثالهم ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة فباشروا روح اليقين واستلنوا ما استوعر الجاثرون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمنزل الأعلى. يا كميل بن زياد، أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه، هاهن شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك، انصرف أينما شئت^٢.

قد أبان عليه السلام ها هنا أن للعلم خزنة وأرباباً يضعونه في أهله على قدر الاستحقاق. فقد قيل: من منع الحكمة أهلها فقد ظلمهم، ومن وضعها في غير أهلها فقد ظلمها. وفيما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا تطرحوا الدرّ في أفواه الكلاب. يعني العلم في غير أهله^٣.

وقيل: العلم خزائن ومفتاحها السؤال.

وقيل: مفاتيح قلوب الحكماء حسن سؤال الأتقياء.

فصن خزائن ربك واحفظ ودائعها، ولا تضعها إلا عند الأمناء، وأمنائها أولياؤه،

١. أي سريع الفهم.

٢. نهج البلاغة: ١٤٧ من الكلمات القصار، و الخصال: ١٨٧ باختلاف يسير.

٣. راجع الجامع الصغير: ٧٤٠/٢ و عوالي اللئالي: ٢٦٩/١ وتاريخ بغداد: ٣٠٨/١١.

وأولياؤه أهل طاعته، وأهل طاعته من ائتمر بأمره وانتهى عن نهيه وأخلص العبادة حتى أتاه اليقين، متوكلاً عليه، منيباً إليه، معتصماً بحبله، مقتدياً بنبيه، متولياً لأولياته، متبرئاً من أعدائه، داعياً إليه في السرّ والجهر، ذاكراً له في العسر واليسر، سامياً بهمته إلى عليين ومنازل المقرّبين ومقاعد الصّديقين ودرجات الصّالحين ومجالس الأكرمين، جعلنا الله وإياك من المهتهدين.

ذكر الغيب

قال الحافظ:

الغيب ما غاب عنك، وهو ما لا تدركه العقول ولا تقع عليه الأوهام وحجب عنه الأبصار و ردم دونه الأسماع، وأعظم الغيوب الأزل السابق وحكم القدم والأبد الباقي وحكم الدوام ونهاية العالم وحدوده وعلم الأرواح ومعرفة الآجال وقيام الساعة وخواطر القلوب.

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ بَصْرًا أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾^١.
وقال عزّ من قائل: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^٢
وقال في صفة القيامة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرْسِيهَا﴾ يعني متى ثبوتها وقيامها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ في كتاب ﴿لَا يَجْلِبُهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني خفيت على أهل السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ يعني كأنك عالم بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٣.

وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَعُ﴾^٤.

١. النحل: ٧٧.

٢. النمل: ٦٥.

٣. الأعراف: ١٨٧.

٤. طه: ١٥.

ولمّا سأل جبرئيل رسول الله ﷺ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل^١.
فأبان ﷺ أن علم الساعة مخفي على الأملاك المقربين والأنبياء المرسلين لما
خفي على الناموس الأكبر والنبي الأفضل.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ: لكل مؤمن أربعة أعين: عينان في الرأس، وعينان
في القلب، فإذا أراد الله بعد خيراً فتح عيني قلبه فأبصر الغيب بالغيب، فصّدق الغيب
بالغيب^٢.

ومدح الله المؤمنين بالغيب، قال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^٣.

قال ابن جريج في معناها: يعني بمعبود غائب عنهم، يعني عن إدراك الحواس، وهو
أشدّ الغيوب وأعمّاها لأنّ الأصول إلى معرفته تعالى من طريق الدلالة لا من طريق
التصوير.

فقد قيل: من لم يدرك علم العبودية كيف يدرك علم الربوبية؟ ومن اشتبه عليه
ظواهر الأشياء كيف يعرف بواطنها؟ ومن عجز عن إدراك الأشباح كيف يقف على
حقيقة الأرواح؟ ومن تحير في أحكام الجسمانية كيف يهتدي إلى أسباب الروحانية؟
ومن أخطأ سبيلاً يدرك بالأبصار كيف يصيب طريقاً لا يدرك بالأنوار.

واعلم أنّ الله تعالى شاهد غائب يشهد بالصنع والآثار ويغيب عن الأوهام
والأفكار، وهو المتجلّي للعقول بالأدلة الواضحة، والمحتجب عن الأبصار بالهيبه
والقدرة، لا يصوره فكر ولا يمثله ذكر، لا يقع الأوهام عليه ولا يشير الأفهام إليه،
أسراره أقداره النافذة في خلقه، ودائعه أسراره المستودعة عند أنبيائه ولدى أصفياه
المختصين بحقائق معرفته، وأدلأؤه رسله وأنبيأؤه وأئمة دينه، وأفضل أدلأئه سيّد
الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وآله، ثمّ الأوصياء من عترته، وأفضل أوصيائه

١. البحار: ٢٦١/٥٩ و صحيح البخاري ١٨١.

٢. راجع التوحيد: ٣٦٧ والخصال: ٢٤٠.

٣. البقرة: ٣.

خليفته في هجرته و وليه في كربته و رفيقه في غربته و وصيه في عترته و أخوه بين أصحابه و ختنه على ابنته سيده النسوان، ثم ابناه سبطا رسول الله ﷺ و ریحانتا فؤاده، ثم الأمثل فالأمثل منهم، هم منار الأحكام و نجوم الأنام و أفلاك الدین و مصابيح المؤمنین، ارتضاهم لغيبه و اجتباهم لعلمه و اصطفاهم لدينه، فأطلعهم على سره و اختصهم بأفضل بزه، قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ يعني ما غاب عن العباد ﴿فلا يظهر﴾ يقول: فلا يطلع ﴿على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾^١

فدل أن المرتضى هو المطلع على الغيوب بما أطلعه الله عليه تعظيماً لجلاله و دلالة على فضله و تخصيصاً بكرامته و تشریفاً لأمره .

ولو استقصيت هذا الفصل لطال الكلام و أدى ذلك إلى الحيرة، و فيما ذكرت كفاية لذوي العقول و التحصيل، القاصدين قصد السبيل.

ذكر دعوة الحق

قال الحافظ:

دعوة الحق الشهادة لله بالوحدانية، وهي كلمة الإخلاص [و] نفي الإلهية عمّن دون الله، وإثبات الوحدانية والفردانية له، وهي كلمة التقوى وسبب النجاة ومفتاح السماوات وأفضل الكلمات وثمر الجنة، وبه يدرك العبد شفاعة المصطفى والدرجة العليا، قال الله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾^١.
وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن أعلم الناس بالله وأنصحهم لله أشدهم تعظيماً لحرمة أهل لا إله إلا الله^٢.

وفيما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في الشُّور، كأنِّي أنظر إليهم عند الصيحة يخرجون من قبورهم ينفسون رؤوسهم من التراب يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن^٣.

والتقي من هذه الكلمة مقدّم على الإثبات دلالة على أن ترك المعاصي أفضل من فعل الطاعات، والبراءة من الأعداء أفضل من موالة الأولياء، قال الله يحكي قول الخليل: ﴿إني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين﴾^٤ وقال: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن

١. طه: ١٠٩.

٢. مستدرک الوسائل: ٤٢١/١٢ نقلاً عن لبّ اللباب للزاوندي.

٣. راجع البحار: ١٩٨/٧ نقلاً عن تفسير فرات، مجمع الزوائد: ٣٣٤/١٠، المعجم الأوسط: ١٨١/٩.

٤. الزخرف: ٢٧.

يعبدها وأنا بوا إلى الله لهم البشرى^١ و قال: ﴿فمن يكفر بالطّاعوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ وهي الملة الحنيفيّة وكلمة الإخلاص ﴿لا انقسام لها﴾^٢ يقول: لا زوال لقائلها عن الجنّة ولا هلاك بدخول النّار ولا انقطاع عن الثّواب.

ومن شرائط هذه الكلمة الشّريفة اعتقاد الوحدة للواحد القديم، و تصفية العقد وإخلاص الضّمائر، و صدق النّيّة و تعظيم الحرمة، و صحّة الإرادة و تصديق النّبوة و تحقيق الرّسالة، و موالة أهل الحقّ و معاداة أهل الباطل، و فناء العبوديّة و حلاوة العبادة، و رؤية المنّة و الصّبر على النّوائب و المحن، و الرّضا بالقضايا النّازلة، و التّسليم للأحكام الواردة، و الإيقان بالمواعيد الصّادقة، و صدق التّوكّل على الله في السّرّ و العلانية، و الإنابة إليه في البلوى و الرّاحة، و السّكون معه في الرّخاء و الشّدّة، و الاستيناس به في العسر و اليسر، و بذل المجهود في حال التّعذّر و الإمكان. فمن [قام] بهذه الشّرائط فقد قام بوفاء هذه الكلمة، و من ضيّعها أو واحدة منها فقد بخس حظّ نفسه و عدل عن منهاج سيّده و آثر هواه على دينه، قال الله تعالى: لا إله إلاّ الله حصني، من دخل حصني أمن من عذابي. رواه الرّضا عليه السلام عن أبائه الطّاهرين عن رسول ربّ العالمين عن جبرئيل عن الله و حده لا شريك له^٣

فتدبّر هذه الكلمة و اعرف حقّها و وقرّ أهلها و اعتقدّها اعتقاد عبد منيب إلى ربّه مقبل على أمره، ترى الخير فيه ديناً و دنيا، تُبتك الله و إيانا عليه، إنّه الكافي الوفيّ، و لا قوّة إلاّ به، و هو الله العظيم.

١. الزّمر: ١٧.

٢. البقرة: ٢٥٦.

٣. عيون أخبار الرّضا عليه السلام: ١٤٥/١ و الأمالي للصدوق: ٣٠٦.

ذكر الكتب المنزلة

قال الحافظ:

إن الله تعالى أرسل الرّسل مبشرين ومنذرين، وأنزل الكتب عليهم حجة ودلالة ورحمة وحكمة وبصيرة وهدى وبشارة. فالحجة للأنبياء، والدلالة للأوصياء، والرحمة للأتقياء، والحكمة للعلماء، والبصيرة للعقلاء، والهدى للأصفياء، والبشارة للأولياء.

فأول الكتب على ما بلغنا - والله أعلم - كتاب آدم أبي البشر ﷺ وهي حروف المعجزة في احدى وعشرين صحيفة؛ فيها تبيان الأسماء والجرف والصناعات، ثم كتاب شيث بن آدم وهي تسعة وعشرين صحيفة، ثم كتاب إدريس صلوات الله عليه وهو ثلاثون كتاباً في ذكر الأفلاك والنجوم وسير الكواكب والآثار العلوية، ولم ينزل على نوح كتاب على ما قيل، ثم صحف الخليل وهو عشرون كتاباً في بيان ملته التي أمر الله بها وشرائعها التي ندبه إليها، ثم كتاب الكليم وهو التوراة فيها تفصيل كل شيء وبيان كل موعظة وقصص الماضين وأخبار المتقدمين وابتداء خلق السموات والأرضين ونعوت سيد المرسلين، ثم كتاب داود وهو الزبور فيه المواعظ والترغيب والترهيب، ثم كتاب المسيح وهو الإنجيل فيه ترك الدنيا والزهد والعبادة والصلح والعفو وإيثار الصبر والقناعة والنصيحة والشفقة والسخاوة والتواضع، ثم الفرقان الأعظم وهو القرآن كتاب المصطفى سيد الرسل ﷺ أنزله الله في أفضل الشهور وأفضل الليالي بأحسن اللغات وأشرف العبارات وأوكد الدلالات، قال الله تعالى: ﴿إنا

أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون^١، وقال: ﴿قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾^٢ وهو شفاء الصدور ونور الأبصار وكشف الشبهات وشرح المعضلات وإيضاح المشكلات وتصديق الكتب ورفع الحجب وفتح الأبواب وذكر الأسباب... وتنبية الغافل وتذكير العاقل وتأكيـد الدّعوة وقيد الملاعين وتنزيه الأنبياء وتفضيل الأولياء... قال المصطفى ﷺ: إنها ستكون بعدي [فتنة. قلت: فما المخرج منها] يا رسول الله، قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم [وخبير ما يرد بعدكم وحكم ما بينكم] هو الفصل ليس بالهزل، وهو الصّراط المستقيم، وهو الذي [لمّا] سمعته الجنّ لم ينته دون أن قالت: ﴿إنّا سمعنا قرآنًا عجيباً﴾^٣ فمن قال به صدق، ومن عمل به أوجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم^٤.

وهو الثقل الأكبر والكبير الأجلّ والعلم الأفضل والنور الأبهـر والقوة الأبهـر والحجة الأبلغ والتّعمة الأسبغ وهو شافع مشفّع وماحل مصدّق ولا اعتراض عليه ولا محيص عنه ولا استبدال به، ظاهره أنيق وباطنه عميق، عين العلوم وبحر الحكم، بستان الأُنس وبيت الكرم، حجة المصيب ودلالة المنيب، فيه علم الأولين والآخـرين وأخبار النّبیین والمرسلين وقطع أطماع الملحدين والدّعوة إلى دين ربّ العالمين. قال الله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾^٥.

وذكروا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسهح الناس جهالته، و [وجه تعرفه العرب] وتفسير يعلمه العلماء، وتأويل لا يعلمه إلا الله،

١. يوسف: ٢.

٢. الزّمر: ٢٨.

٣. الجنّ: ١.

٤. شرح الأخبار: ٣١٠/٢، مناقب أمير المؤمنين رضي الله عنه للكوفي: ٣١٢/٢، المختصر النافع: ١٧. وراجع البحار:

٢٥/٩٢ و سنن الدارمي: ٤٣٥/٢ و سنن الترمذي: ٢٤٦/٤.

٥. النحل: ٨٩.

[من انتحل منه علماً فقد كذب]¹.

وعن الحسن² قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهْرًا وَبَطْنَاً وَحَدًّا]³ و مطلعاً، فظْهَرُه تنزِيلُه، وَبَطْنُه تأويلُه [وحدَه] ثوابه وعقابه⁴. وليس في القرآن زيادة [ولا نقيصة] وهو ما بين الدفتين، ونزل به الأمين جبرئيل على رسول الله ﷺ. [قال الله:] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁵ وقال: ﴿وَإِنَّ لِكِتَابِ عَزِيزٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، نَزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁶ و تقديم السور و تأخيرها لا يوجبان الزيادة و النقصان، و الاختلاف الواقع في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و عدد السور و الآيات و الوقوف و الفصول لا يوجب شيء من ذلك زيادة إذ لم يقع الزيادة في الأصل، و ما روي عن الأئمة عليهم السلام في هذا الباب راجع إلى هذا و مبني عليه.

وكان جبرئيل صلوات الله عليه ينزل على رسول الله ﷺ بالقرآن و غيره ممّا أراد الله أن يوحى إليه، و هو مشهور عند علماء العترة و الأئمة، و قد قال الصادق عليه السلام: القرآن واحد، نزل من عند واحد على واحد، ولكن الاختلاف وقع من جهة الزواة⁷. و روي⁸ عن رسول الله ﷺ قال⁹: بالقرآن و بمثليه، و القرآن أقسام شتى: أمر و نهى، و وعد و وعيد، و محكم و متشابه، و أخبار و قصص، و مواعظ و أمثال، و حجج و دلائل. [والأمر من] الله ينصرف على وجوه:

-
١. مسند الشاميين للطبراني: ٣٠٢/٢، و راجع مجمع البيان: ٢٦٧/١ و جامع البيان للطبري: ٥٤/١. و للمحقق الأردبيلي كلام حول هذا الخبر في زبدة البيان: ٢.
 ٢. جامع البيان: ٥٤/١.
 ٣. ما بين المعقوفين من كتاب الأصول الأصيلة للفيض الكاشاني: ٤١.
 ٤. راجع الأصول الأصيلة للفيض: ٤١، البرهان للزركشي: ٢٥/٢.
 ٥. الحجر: ٩.
 ٦. فصلت: ٤١ و ٤٢.
 ٧. الكافي: ٦٣٠/٢.
 ٨. راجع جامع البيان: ٤٩/١.
 ٩. هنا سقط في الأصل.

منها إيجاد و تكوين، مثل قوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^١.
و منها تسخير و تذليل، مثل قوله للسماوات والأرض: ﴿اتبيا طوعاً أو كرهاً قالنا أتينا
طائعين﴾^٢.

و منها فرض و إيجاب، مثل قوله: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾^٣ و غير ذلك من أنواع
المفروضات.

و منها نذب و ترغيب، مثل قوله: ﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾^٤ و قوله: ﴿واذكروا الله
ذكرًا كثيراً و سبحوه بكرة و أصيلاً﴾^٥ و مثل قوله: ﴿فكانبوهم إن علمتم فيهم خيراً و آتوهم من مال الله
الذي آتاكم﴾^٦ و مثل قوله: ﴿وأنكحوا الأيامن منكم﴾^٧.

و منها إطلاق و إباحة، مثل قوله: ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾^٨ و قوله: ﴿فإذا قضيت الصلاة
فانتشروا في الأرض﴾^٩.

و منها تأديب و تعليم، [مثل قوله: ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾^{١٠} و قوله:
﴿واشهدوا إذا تبايعتم﴾^{١١}.

و منها طرد و تبعيد، مثل قول اللعين إبليس: ﴿واستفز من استطعت منهم بصوتك و اجلب
عليهم بخيلك و رجلك﴾^{١٢}.

١. يس: ٨٢.

٢. فصلت: ١١.

٣. البقرة: ٤٣ و ١١٠، التور: ٥٦ و غيرهما.

٤. الحج: ٧٧.

٥. الأحزاب: ٤١.

٦. التور: ٣٣.

٧. التور: ٣٢.

٨. المائدة: ٢.

٩. الجمعة: ١٠.

١٠. البقرة: ٢٨٢.

١١. البقرة: ٢٨٢.

١٢. الإسراء: ٦٤.

ومنها زجر و تهديد، مثل قوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾^١ وكقوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾^٢.
ومنها تئيس و^٣ مثل قوله لأهل النار: ﴿اخشوا فيها ولا تكلمون﴾^٤.
وجميع ما في القرآن من الأوامر الواردة من الله مبني على هذا أو على ما يقاربه.
وأما النهي؛ فهو على وجهين: محتوم و مكروه.

أما المحتوم؛ فهو مثل المحظورات التي وقع التحريم عليها بالإجماع كالربا و قتل النفس المحترمة^٥ و غير ذلك

وأما المكروه؛ فهو ما يقع الاختلاف^٦ وإن قيل: النهي على وجهين: معقول و مسموع؛ فالمعقول مثل كفر النعمة و إنكار المنعم و بخس الحقوق و ما شاكلها، و المسموع ما نطق به القرآن و وردت به السنة، لم يبعد عن الصواب. و الله أعلم.
وأما الوعد؛ فهو الترغيب في أداء ما أمر به بذكر ثواب أو عوض أو ما شاء من الكرامة في ستر عيب و غفران ذنب و كشف كرب و إصلاح فاسد و إجابة دعوة أو صرف بليّة أو تهوين شدة.

وأما الوعيد؛ فهو الترهيب و التباعد عن ارتكاب ما نهى عنه بذكر عقاب أو إحداث آلام أو تبديل نعمة أو تغيير حال أو هتك ستر أو تسليط عدوّ أو تقييح ذكر أو تعجيل بلاء أو تغليظ محنة و ما شاكل ذلك من أنواع العقوبات.

و لا يقع الخلف في الوعد و الوعيد، فإن فيه إبطال الحكمة و إغراء على الباطل و هو غير جائز في حكمة الحكيم. و ذهب قوم إلى أن الوفاء بالوعد واجب و العفو

١. الزمر: ١٥.

٢. فضلت: ٤.

٣. هنا في الأصل كلمة لا تقرأ.

٤. المؤمنون: ١٠٨.

٥. هنا في الأصل كلمة لا تقرأ.

٦. هنا في الأصل كلمة لا تقرأ.

عن الوعيد جائز، وفي الكلام^١ يطول، تركنا بيانه لانتساب كلا الطائفتين إلى العترة الطاهرة عليه السلام برثت العترة الهادية من القول...^٢. توحيد الله وأثبت النبوة والرسالة واعتقد الإمامة والخلافة المنصوصة من الله ومن رسوله عليه السلام وحقق الشريعة وآمن باليوم الآخر وأيقن بالثواب والعقاب وأحل المحلل وحرم المحرم، ثم ضيع مفروضاً مقرراً بوجوبه وفرضيته أو ارتكب محظوراً مصداقاً بتحريمه غير مستحل له، هذا والله خارج عن شرائط الرحمة، مخالف لوجوه الحكمة، يؤدي إلى بخرس حقوق الضعفاء، تعالى الله عن ذلك، فاعلمه.

وأما المحكم والمتشابه؛ فذكر عن ابن عباس رحمه الله قال: المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه، وأما المتشابهات فمنسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله، وهو أقرب الأقاويل من الأصول.

وقيل: المحكمات ما أوجه ظاهر الكتاب والأخبار المتواترة واتفقت الأمة الهادية عليه، والمتشابهات ما احتمل وجوهاً كثيرة، واختلف فيه العلماء.

وقيل: المحكمات الأصول المتفق عليها، والمتشابهات الفروع المختلفة فيها.
وأما الأخبار...

وأما القصص فهو ذكر آثار المرسلين ومن والاهم من المؤمنين

وأما المواعظ... وترغيب في دار البقاء وتنبية الجاهلين...

وأما الأمثال فهي رموز وإشارات...

١. هنا في الأصل كلمة لاتقرأ.

٢. لعل الجملة الساقطة: بتأييد الوعيد فيمن اعتقد.

[في ذكر الرحمة والرفقة]

١.. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾^٢ والجنة معدن المصالح وعند دخولها تصلح أمور المؤمنين، وهذه المعاني كلها راجعة إلى ما قلنا في معنى الرحمة أنه إصلاح الأشياء الفاسدة.

وروى الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال في خطبة الوداع: ألا وإن الله خلق مائة رحمة فحزن منها تسعة وتسعين تحت قائمة من قوائم عرشه، وبت في أهل السماوات وأهل الأرض رحمة واحدة فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، فإذا كان يوم القيامة أضاف التسع والتسعين إلى الواحدة فيظلمهم بها من فوق رؤوسهم حتى أن إبليس رأس الكفر ليتناول يومئذ عنقه رجاء أن يدخل في رحمة الله، فالخائب يومئذ من [خاب من] رحمة الله^٣.

ولا يستحق العبد الرحمة من الله إلا بأداء أمره واجتناب [مخالفة] حدوده وتعظيم أوليائه والشفقة على عباده والإحسان إليهم، وغير ذلك من الأفعال الجميلة. والرفقة أخص من الرحمة... وبهما وصف الله المصطفى عليه الصلاة والسلام؛ قال: ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^٤ لولا الفضل والرحمة من الله ما اهتدى عبد... ولا سبغت

١. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٢. آل عمران: ١٠٦.

٣. راجع البحار: ١٨٣/٤ و مسند أحمد: ٤٢٤/٢ وصحيح مسلم: ٩٦٨ والطرائف: ٣٢٣.

٤. التوبة: ١٢٨.

نعمه عليه ولا ظهرت كرامة لديه، قال الله تعالى: ﴿ولو لا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ وقال لنبيه ﷺ: ﴿ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾^١ وقال: ﴿بما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾^٢.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، الله أرحم بعبده من الوالدة الشفيقة بولدها^٣.

فالطاعة مفتاح الرحمة، والمعصية مفتاح العقوبة، وبالرحمة يصل العبد إلى رضوان الله وينجو من سخطه ويفوز بالكرامة الدائمة والنعمة الباقية. فاطلب رحمة الله بالرحمة على عباده، فإن رحمة الله على العبد بقدر رحمته على عبده. ومدح الله العالم الرباني بالرحمة والعلم؛ قال: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً﴾^٤ فالرحمة والحكمة مقرونتان لا يفارق أحدهما صاحبه، وهي من أخلاق المرسلين وآثار الصديقين وصفات المتقين، وهي مفاتيح خزائن رب العالمين وسبب النجاة في يوم الدين، والوصول إلى النعيم المقيم في مقعد صدق عند الملك الكريم.

١. النساء: ١١٣.

٢. آل عمران: ١٥٩.

٣. راجع روضة الواعظين: ٥٠٣.

٤. الكهف: ٦٥.

ذكر نعم الله

قال الحافظ:

[إِنَّ أَوَّلَ نِعْمِ اللَّهِ] على عبده خلقه إياه حياً، وإنما شرطنا الحياة مع الخلق لأنه بهذا يتلذذ بالمطاعم والمشارب و سائر الملاذِّ والمنافع، ثم [العقل، فبه] يستدلُّ على خالقه ويهتدي إلى دينه ويميّز الصَّحيح من السَّقِيم ويتصرَّف في المعاش ويصل إلى المعاد. وسئل الفيلسوف ما خير الأشياء للإنسان؟ قال: عقل يولد معه، فإن حرم فأدب يسترَّ به، فإن حرم فمال يغطَّى عليه، فإن حرم فجائحة^١ تستأصله.

وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: نعمتان عظيمتان مغبون فيهما كثير من النَّاس: الصَّحَّة والفراغة^٢.

وذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: النِّعم ستَّة: أوَّلها الإسلام، والثَّانية القرآن، والثَّالثة محمَّد ﷺ، والرَّابعة العافية، والخامسة السِّتر، والسادسة معاشرَةَ النِّساء^٣.

فجمع عليه جلَّ ما أنعم الله به على الخلق؛ لأنَّ الإسلام أجلُّ النِّعم، والقرآن أسبغها، والمصطفى أكملها، والعافية والسِّتر أحسنها وأجملها، والنِّساء ألذَّها وأشهاها.

وقال ابن عباس رحمه الله في معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^٤:

١. الجائحة: البليَّة والتَّهلكة والذَّاهية العظيمة.

٢. الأماي للطُّوسي: ٥٢٦، صحيح البخاري: ١٧٠٧.

٣. راجع مجمع البيان: ٤٣٢/١.

٤. لقمان: ٢٠.

أما الظاهرة فالإسلام وما حسن من خلقك، وأما الباطنة فما ستر من الذنوب والعيوب وأفضل عليك في الرزق.

[والنعم] دنيوية وأخروية:

أما الدنيوية؛ فصحة الجسم [وكمال العقل واعتدال الخلق] والطعام المريء والشراب الزوي والملبس البهي والمفرش... والولد والزوجة الصالحة والملك العادل والسيد الرؤوف والجاه العريض والمال الواسع والبلد العامر والأمر النافذ وكفاية الهمّ والمحبة في الناس وموافقة الأصحاب ومنادمة الأحباب وقهر الأعداء ونصر الأولياء ودرك البغية ووجود المنية وما شاكلها.

وأما الأخروية؛ فتضعيف الحسنات وتكفير السيئات وتوفيق الطاعات وعصمة المعاصي وإيضاح الدلالة وكشف الشبه ونور اليقين وقوة التوكل وراحة التفويض ولذة التسليم ونزهة الرضا وبستان الشكر ولباس الإخلاص وغنية القناعة وحلاوة الذكر وأمن المؤونة وفراغة العبادة وأنس الخلوة وصحبة الأبرار ومفارقة الفجار وموافقة الأخيار ومخالفة الأشرار وصفوة الأسرار والبشرى عند الموت والنور في القبر والركوب في المحشر وخفة الحساب ولطف العتاب وثقل الموازين والجواز على الصراط والنجاة من النار ودخول الجنة والرفعة في الدرجات ورؤية المرسلين وتسليم الأملاك المقربين ورضوان رب العالمين، وألذ الأشياء... ونعم الله لا تحصى وأياديه لا تعد ولا تحصى، قال الله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾^١ ومن أفضل النعم الرسل والأنبياء.^٢

١. إبراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

٢. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

ذكر التواضع والكبر

قال الحافظ:

التواضع قبول الحقّ وتحقير النفس و تعظيم الأخ في الدين و الخضوع لله بالانقياد والتسليم.

و ضدّه الكبر، و هو ردّ الحقّ و تفضيل النفس و تحقير الأخ و الاستنكاف عن الإقرار بالوحدانيّة و الخضوع لله بالعبوديّة.

و علامة التواضع اختيار الأدنى من المطاعم و المشارب و الملابس و المراكب و المساكن و المجالس فعّل المرسلين و أخلاق الأوصياء الصديقين و آثار المؤمنين الصالحين.

و علامة التكبر اختيار الأرفع من هذه الأشياء فعّل الأكاسرة و رسوم الأفاصرة و آثار الجبابرة.

و سئل جنيد عن التواضع، فقال: تذللّ القلوب لعلام الغيوب.

والتواضع على وجوه: أفضلها تواضع الأنبياء و الرّسل ﷺ لملائكة الله حين لقنّتهم الوحي و ألقت إليهم الرّسالة و نزلت عليهم السّكينة، و تلقنوا منهم ما ألقى إليهم من العلوم و الحكم.

ثمّ تواضعهم في تعليم البشر و دلالة الخلق و دعوة الناس إلى الرّسل ﷺ و حفظ شرائط الوصاية.

ثمّ تواضع الأمة لهم صلوات الله عليهم عند تبليغ الرّسالة إليهم و قبولها منهم،

و العمل بما علّموهم من السنن و الشرائع و الأخلاق و الآداب.
 ثمّ تواضع العلماء بالنصيحة للمتعلّمين و الشفقة عليهم و احتمال المؤمن عنهم
 و إقالة عثرتهم و سدّ خلّتهم، فقد قيل: ما أحسن الأستاذ أن تراه يخدمك بجسمه
 و يؤدّبك بقلبه؛ فجسمه خادمك و قلبه مؤدّبك، يخدمك تواضعاً لله و يؤدّبك تقرّباً إلى
 الله .

ثمّ تواضع المتعلّمين لمن علّمهم الألفاظ^١ و دلّهم على المعاني و أنطق ألسنتهم
 بفوائد الحكم و نور قلوبهم بمعرفة الحقائق بالتدليل بين أيديهم و حسن السّؤال عنهم
 و تعظيم أسمائهم و النّظر إليهم بعين التعظيم و الوقار، و نشر فضائلهم و الرّواية عنهم
 في مجالس الكبراء و إحياء آثارهم.

ثمّ تواضع الملوك لأهل الفضل في الدّين بتقرير مجالسهم و الإقبال عليهم بالبرّ،
 و النّظر إليهم بعين التعظيم و تقديمهم على من سواهم، و رفع الحجاب عن أبوابهم
 و تفقّد أسباب الرّعيّة^٢ و بسط العدل على القريب و البعيد.

ثمّ تواضع الرّعيّة للملوك بالسّمع و الطّاعة، فقد قال المصطفى ﷺ أمر بالسّمع
 و الطّاعة لمن وّلاه الله الأمر و الملك على الحقيقة [أي] من وّلى العباد و البلاد بتولية الله
 إيّاه، لا بالقهر و الغلبة.

ثمّ تواضع الوالدين للأولاد بالتربية اللطيفة و تلقين الصّواب في الصّغر و إماطة
 الأذى عنهم في أحوال الضّعف و حملهم [على] الأخلاق الحميدة و تأديبهم في
 الأوقات و إدناء أطفالهم و إيناسهم بنفسهم في خلواتهم

ثمّ تواضع الأولاد لهم بحفظ... بالحرمة و الإقبال عليهم بالتعظيم و القيام لهم في
 المحافل و كفّ الأذى عنهم بالقول و الفعل و خفض الجناح لهم بالدّلّ و الرّحمة.
 ثمّ تواضع العامة من المؤمنين لله بكثرة الرّكوع و السّجود، و تواضع بعضهم لبعض
 عند الأخذ و الإعطاء و سائر المعاملات.

١. في الأصل: الأسباب.

٢. في الأصل: الرّغبة.

وفيما يؤثر عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة يحبهم الله من عباده: من تواضع لله، وخشع قلبه، ولبس الدون من الثياب. قيل: يا رسول الله، وما الدون من الثياب؟ قال: الصوف^١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابن الحنفية فيما أوصاه به: واعلم يا بني، إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرف آبائك، فإن من أعطاه الله مالاً وجمالاً وشرفاً وسلطاناً فواسى في ماله وعف في جماله وتواضع في شرفه وعدل في سلطانه كتبه الله في أعلى عليين من خالص ذكرى الدار.

وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: إذا رأيتم المتواضعين من عبادي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين من عبادي فتكبروا عليهم، فإن ذلك لهم صغار ومذلة^٢.

والكبر على وجوه: فأقبحها كبر الكافر بربه الجاحد لدينه المستكف عن السجود لمعبوده.

ثم كبر الملوك المتجبرين فعل اللعين نمرود؛ تكبر على الخليل إبراهيم عليه السلام. ثم كبر الملوك المؤمنين باستعمال الرسوم والعادات في الحجب والمنع والتقريب والتباعد.

ثم كبر الأغنياء مع الفقراء عند أداء ما وجب عليهم من حقوقهم. ثم كبر العلماء الذين أعجبوا بعلمهم ولم يحجزهم الورع الصادق عن ذمهم أفعالهم، وقد قيل: كبر العلماء بعلمهم أكبر من كبر الملوك بملكهم.

ثم كبر العامة فيما بينهم بالأنساب والأموال والخدم والعبيد وغير ذلك من أنواع الزينة، قال الله تعالى: «سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق»^٣ ثم أخبر

١. راجع البحار: ٢٠٧/٧٣.

٢. راجع جامع السعادات: ٣١٥/١ وتذكرة الموضوعات: ١٩١.

٣. الأعراف: ١٤٦.

بمعاندتهم فقال: ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها﴾ إعجاباً و تكبراً ﴿وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً﴾ جهلاً و تجبراً ﴿وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً﴾ سفهاً و ضلالة ﴿ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ عتواً و استكباراً ﴿وكانوا غافلين﴾^١.

و قال عزّ من قائل: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله﴾ يعني من الكبر ﴿إنه هو السميع البصير﴾^٢.

و فيما روي عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر^٣.

وقيل: الكبر عدو الإيمان؛ عدو جائر شديد القهر والقدرة، لا يلبسه عبد تقوي ولا يتردى به مؤمن زكي، لأنه أول ذنب عُصي الله به، ومنه يتفرع سائر المعاصي مثل الحسد والحرص و ردّ الحق و سوء الظنّ و الزكون إلى الدنيا و طول الأمل و أخذ الحرام و الشبهات، و عاقبته دخول النار و الخلود فيها، قال الله يحكي قول خزنة جهنم لمستوجبها عند حضورهم الأبواب و وقوفهم عليها: ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾^٤.

و طوبى لعبد تواضع لله و افتقر إليه و افتخر به، كيف يرفعه الله غداً مع الأبرار على سرر المجد في دار القرار، و ويل لعبد تكبر على أولياء الله و افتخر بالدنيا و ركن إليها و أعجب بها، كيف يضعه الله غداً مع الفجار في دار البوار.

نسأل الله التوفيق لإقامة حقّ العبودية بإظهار التواضع و السكينة، [و نعوذ بالله من الكبر و أخلاق المتكبرين و العدول عن سير المؤمنين و آثار الصالحين و أخلاق المتقين و سنن المرسلين، إنه ملك كريم.

١. الأعراف: ١٤٦.

٢. المؤمن: ٥٦.

٣. ثواب الأعمال: ٢٢٢ وفيه: مقال حبة من خردل. و راجع أيضاً مسند أحمد: ٤٥١/١.

٤. المؤمن: ٧٦.

ذكر إرادات شريفة لا بدّ للعبد من حفظها واجتناب أضرارها

منها النصيحة فهي إصلاح أمور الخلق مع إرادة الخير بهم ودالاتهم على الحقّ واستتمام النعمة عليهم دنيا وديناً.

وقد قيل: الدنيا لمن تركها، والآخرة لمن طلبها، والنصيحة لمن قبلها.

وقيل: لا يبلغ العبد درجة النصيحة حتى يبذلها لمن أراد قتله أو سلب ماله.

فقد روي عن رسول الله ﷺ قال: ألا إنما الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين عامة^١.

وقد قيل: رأس الدين النصيحة، ووسطه القسط، وأصله الأمن، وهلاكه الطمع، وآفته البدعة، وزينته التقوى، وحليته التواضع، وجماله الأدب، وقوامه الصبر، ووقاره الفهم والبصر.

وضدّها الحسد؛ وهو إرادة الشرّ بالخلق ووقوعهم في البلاء والمحن وزوال النعم عنهم دنيا وديناً وحلول الشدائد بهم، وقد ذمّ الله الحاسد وجعله أقصى غاية الشرّ وأمر بالاستعاذة منه. قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكاً عَظِيماً﴾^٢.

ويذكر عن الصادق عليه السلام^٣.

١. صحيح البخاري: ٢٢/١ وفيه: ولأنمة المسلمين وعانتهم، وراجع أيضاً صحيح مسلم: ٥٣/١.

٢. النساء: ٥٤.

٣. هنا سقط في الأصل، ولعله: ويذكر عن الصادق عليه السلام أنه قال: نحن المحسودون.

وفي الأثر عن رسول الله ﷺ قال: إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب^١.

وقال - فدته نفسي قبل النفوس، عليه سلام الله ما كثر الجديدان واختلف العصران^٢: لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في سبيل الله^٣.

و منهم من جعل ضد النصيحة: الغش، واعتمد في ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: لا تنصحن لمن يراك غششته بعض النصيحة للملامة أقرب^٤ ومن ذهب إلى هذا جعل حد النصيحة إظهارك عيب أخيك له على سبيل العلم. والغش: كتمان عيبه عنه كي يطلع عليه فيقابل^٥ باللوم. وفي الحديث: من غشنا فليس منا^٦.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: لا يغش العقل من انتصحه^٧. كل ذلك دال على أن ضد النصيحة الغش.

وهو قريب من الأول لأن الغل والغش والحسد أشكال لا يفارق أحدهما صاحبه. والغل عندى - والله أعلم - الخيانة، وهي إرادة كتمان ما وجب إظهاره، قال الله تعالى: ﴿وما كان لبي أن يغفل﴾ قيل: أن يخون في أمته ﴿ومن يغفل﴾ يعني يخن ﴿بأتم غل يوم

١. الجامع الصغير: ٢٠١/١، نقلاً عن سنن أبي داود.

٢. العصران: الغداة والعشي، الليل والنهار.

٣. رواه ابن الشجري في الأمالي الشجرية، في أواخر الباب الرابع في فضل القرآن، والراغب الإصبهاني في محاضرات الأدباء في فضل قراءة القرآن.

٤. لم نجد في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام ولا في كتاب أنوار العقول للكيدري، ولعله من مفردات كتابنا هذا.

٥. في الأصل: فيقال!

٦. صحيح مسلم: ٦٩/١.

٧. نهج البلاغة ح ٢٨١ وفيه استنصحه. وفي غرر الحكم كما في المتن، فراجع معجم ألفاظ غرر الحكم: ٨١٦.

القيامة^١ يقول: بما خان.

وقيل: هو غليان القلب بالبغض والعداوة.

وفيما روى جبير بن مطعم قال: قام النبي ﷺ بخيف مني فقال: نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاثة لا يغفل عليهم قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة ذوي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائهم^٢.

ومنها الشفقة وهي إرادة بقاء النعم على المنعم وقيامه فيها بالشكر، وإخراج الحقوق منها بالعلم.

وقيل: هي ضرب من الخوف.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَمُّ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مَشْفُقُونَ﴾^٣. قيل: خائفون^٤.

وقال الله تعالى في وصف من أبى حمل الأمانة: ﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾^٥ وهو الخوف والخشية لا غير.

وضدّها: العداوة، وهي إرادة هلاك من خالفك قولاً أو فعلاً أو ديناً أو طبعاً، وإيراد الضرر عليه، وإنزال المكروه به.

ومنهم من جعل ضدّ العداوة: الولاية، وضدّ العدوّ الولي، وهو مشهور في اللغة مأثور في السنن، يدلّ عليه قول المصطفى ﷺ: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

وقوله: لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت^٦.

١. آل عمران: ١٦١.

٢. سنن ابن ماجه: ١٠١٦/٢ و ٨٤/١ و ٨٥ و ٨٦ باختلاف يسير.

٣. المؤمنون: ٥٧.

٤. انظر زاد المسير لابن الجوزي ٢٤٠/٥.

٥. الأحزاب: ٧٢.

٦. في حديث الغدير المشهور.

٧. رواه الصدوق في العيون ٢٣٦/٢ في رواية عن الرضا عليه السلام وفي سنن النسائي ٢٤٨٣: وإنه لا يذلّ من واليت.

و ثمرة العداوة الخذلان، و ثمرة الولاية النصرة.

قال الله تعالى: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾^١. وقال: ﴿والله وليّ المؤمنين﴾^٢.

دلّ على أنّ ضدّ العداوة على الحقيقة الولاية

و ثمرة الشفقة: الألفة، وهي إرادة الموافقة مع حسن المعرفة، والتأليف جمع

الأجزاء المتشتملة.

قال الله تعالى في وصف السحاب: ﴿ألم تر أنّ الله يزوجي سبحاً ثمّ يؤلف بينه﴾^٣.

وقال في وصف المؤمنين: ﴿وألف بين قلوبهم﴾ يعني جمعها على حسن الموافقة ﴿لو

أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألف بينهم إنّه عزيز حكيم﴾^٤.

[و منها النيّة] وهي إرادة الأخذ في العمل بالاستثناء^٥ وعند الفقهاء هي عقد القلب

على أداء ذلك الفعل جنس الفرض أو عين الفرض.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: نيّة المؤمن خير من عمله و نيّة الفاجر شرّ من

عمله^٦. يعني إرادة المؤمن الثبات على الطاعة إلى آخر العمر أفضل من عمله الذي

يباشره في الوقت.

و منهم من جعل معنى النيّة الإخلاص، وهو أنفع له من سائر عمله لأنّه بها يقبل،

ورياء الفاجر أضرّ له من سائر أعماله لأنّه بالرياء تردّ عليه، فلا يحصل له شيء.

وقال الحسن^٧: إنّما خلد أهل الجنة الجنة وأهل النار النار النيات.

و النيّة على وجهين: قديمة و حديثة؛ أمّا القديمة فهي إرادة أداء ما أمر به عند بلوغه

١. الزّوم: ٤٧.

٢. آل عمران: ٦٨.

٣. التّور: ٤٣.

٤. الأنفال: ٦٣.

٥. كذا في الأصل.

٦. رواه في المحاسن: ٢٤٠. راجع البحار: ٢٠٨/٦٧ و ٢٠٩.

٧. الظاهر أنّه الحسن البصريّ.

إلى آخر عمره. وأما الحديثة فهي استيناف تلك الإرادة مع الإتمام^١ عند ابتداء الفعل. و ذكر عن الحسن أنه قال: كل عمل من أعمال^٢ الإسلام لم تحضره فقد أجزأت النية القديمة في الإسلام، وليس هذا إجماعاً. ومنها الأمل وهي إرادة البقاء في الدنيا لوجود منيته وهو مذموم، أو كسب خير وهو محمود.

ومنها التمتع وهو إرادة الانتفاع بالملاذ وشكله التمتع، وهو إرادة الكون في النعمة والتلذذ بها، قال الله تعالى: ﴿ذَرِهِمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيَلْهَمُهُمُ الْأَمَلُ سُوفَ يَعْلَمُونَ﴾^٣. ومنها الطمع وهو إرادة وجود المأمول، فإذا كان إلى الله فهو محمود وإذا كان إلى الخلق فهو مذموم.

وقيل: إنَّ القدر عند الله بالتقوى وعند الخلق^٤. وقد قيل: طمع الطامع قفل على قلب المطموع فيه، لا يطمع فيمن بيده مفتاح القلوب.

و ذكر عن المسيح صلوات الله عليه: أخرج الطمع من قلبك تحلّ القيد من رجلك وتسلم سالماً إلى بيتك.

وأصل الإرادة يرجع إلى ثلاثة أقسام: إرادة الدنيا، وإرادة الآخرة، وإرادة المولى. فمن أراد الدنيا أسهر الليل وأظمأ النهار وقطع المفاوز وركب البحار وجمع الأموال وطلب الأرباح بأنواع التجارات.

ومن أراد الآخرة أسهر الليل راعياً وساجداً وباكياً وداعياً وصام النهار خاشعاً وخاضعاً وخائفاً وراجياً، وصحب الأبرار خادماً ناصحاً، وخدم العلماء معظماً موقراً.

١. كذا.

٢. في الأصل: أعلام.

٣. الحجر: ٣.

٤. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

و من أراد المولى أحسن الظنِّ وأخلص العمل وأصفى الهمة ورأى المنة.

فمرید الدّنيا مغرور، و مرید العقبیّ مذکور، و مرید المولیّ مستور.

و مرید الدّنيا نادم، و مرید العقبیّ سالم، و مرید المولیّ ناعم.

و مرید الدّنيا مكروب، و مرید العقبیّ محجوب، و مرید المولیّ مطلوب.

و مرید الدّنيا حاف، و مرید العقبیّ واف، و مرید المولیّ صاف.

و مرید الدّنيا غدار، و مرید العقبیّ صبار، و مرید المولیّ شكّار.

و مرید الدّنيا مريب، و مرید العقبیّ لبيب، و مرید المولیّ منيب.

و مرید الدّنيا حقير، و مرید العقبیّ فقير، و مرید المولیّ خطير.

و مرید الدّنيا عنيد، و مرید العقبیّ رشيد، و مرید المولیّ شهيد.

و مرید الدّنيا كثيب^١، و مرید العقبیّ غريب، و مرید المولیّ قريب.

و مرید الدّنيا غنيّ، و مرید العقبیّ [صفيّ] و مرید المولیّ وفيّ.

و مرید الدّنيا غافل، و مرید العقبیّ عاقل، و مرید المولیّ عادل.

و مرید الدّنيا متكبر، و مرید العقبیّ مفتقر، و مرید المولیّ مفتخر.

قال الله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾^٢ فأين يريد الله حقاً.

وقيل: ليس للمريد فترة ولا للعارف علامة ولا للصادق دعوى ولا للمحبّ

شكوى ولا للخائف قرار ولا لأحد من الله فرار.

وقال لقمان لابنه: يا بني، إن أردت أن تتقرّب إلى ربك وتقطع إليه وتقرّ له

بالعبودية، فتعلّم ما أمرك به ثم احرص على أدائه وتعلّم ما نهاك عنه، ثم اجتنبه وتفكّر

فيما وعدك فكيف أوعدك، وارغب فيما يرضيه عنك وانظر فيما عهد إليك وفيما

يسألك عنه وماذا يقول لك إذا ما قدمت عليه، وكيف خوّفك وكيف بشرك وكيف

١. في الأصل: كنيب أو كيبب. كنب الشيء في جراه: كنزه وحسه. وكتب الرجل على وجهه: صرعه.

٢. آل عمران: ١٥٢.

أنعم عليك وكيف يحصي عليك كتابك^١ وكيف بيّنت^٢ لك بحسابك وعمّا يسألك
و بم يعاقبك و بم يشيك وكيف يصدرك من بين يديه إلى جنة عالية أو نار حامية.
وقال الله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب﴾^٣.

١. في الأصل: شيا بك.

٢. كذا.

٣. السورى: ٢٠.

ذكر أقسام الذكر وأنواعه

قال الحافظ:

الذكر على وجهين: ظاهر وباطن.

أما الظاهر فعلى وجهين: فرض ونقل، أما الفرض فأداء المأمور به واجتناب المنهَى عنه، وأما النقل فهو الأذكار التي تجري على لسان العبد مثل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتمجيد والصلاة على النبي محمد وآله عليهم السلام.

[أما الباطن]... وهي أدوم من ذكر الظاهر؛ لأن العبد لم يؤمر بإدمان الذكر ظاهراً وأمر بإدمانه باطناً. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ يعني دائماً في السرِّ والعلانية ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^١ وهو نوع من الذكر خصَّه الله تأكيداً لما تقدّم.

ثم بيّن محلّ الذاكرين عنده، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي يَصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ عند الذكر ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يدعونه مستغفرين لأهل الذكر مصليين عليهم ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني ظلمات النسيان إلى أبواب الذكر ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ إذ أمرهم بإدمان ذكره وأطلق لهم الذكر على الأحوال ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ يعني تحيتهم باللفظ القول وأطيب التسليم تشريفاً لحال الذاكر ﴿وأعدّ لهم أجراً كريماً﴾^٢ يعني ثواباً حسناً بين المقرّبين في منازل الذاكرين.

١. الأحزاب: ٤٢.

٢. الأحزاب: ٤٣.

وقال عز من قائل: ﴿فأذكروني أذكركم﴾^١ يقول: أطيعوني في دار الفناء آتيتكم الجنة في دار البقاء، فهل يسع العبد نسيان معبوده والإعراض عنه بعد هذا البيان؟! وقال الله في التوراة: يا ابن آدم، من ذكرني بالطاعة ذكرته بالرّحمة، ومن ذكرني بالمعصية ذكرته باللعنة، فالزم طاعتي واحذر معصيتي.

وفيما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، فإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، فإن اقترب إليّ شبراً اقتربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إليّ ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني بمشي أتيته هرولة^٢.

معنى «النفس» في الحديث من العبد القلب، ومن الله الغيب المستور عن عبده. ومعنى «الملأ» الملائكة والرّسل والأنبياء صلوات الله عليهم، ومعنى «الاقتراب» من الله إقباله على العبد بأنواع البرّ، والذّراع عقب الشّبر والباع أثر الذّراع، والهرولة بعد المشي تحقيق للوعد وتقريب للحال.

وفي الحديث: ذكر الله بالعشيّ والأبكار أفضل من حطم السيوف في سبيل الله^٣. وقيل: الذاكر ناعم سالم غانم؛ ناعم بالذكر، سالم من الوزر، غانم من الأجر. وعن الثّوري قال: عند ذكر الصّالحين تنزل الرّحمة.

فقال بعض العارفين: عند ذكر الباري تنزل طرف الفوائد في تلك المشاهد على تلك الموائد، قال الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾^٤ قليل ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه. ولبعضهم قال: توحيد بين سيفين وذكر بين ذكرين وذنّب بين فرضين. قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: قاتل الكافر حتّى يسلم، فإن خرج من الإسلام فاقتله. وذكر بين

١. البقرة: ١٥٢.

٢. صحيح البخاري: ١٤٨/٩ - ١٤٧ بتفاوت يسير.

٣. راجع معاني الأخبار: ٤١١ والمصنّف لابن أبي شيبة: ٧٢٧.

٤. العنكبوت: ٤٥.

ذكرين: ذكر العبد بالتوفيق حتى يذكره وذكره بالثواب. وذنوب بين فرضين: فرض الله على العبد أن لا يذنب، فإذا أذنب فرض أن يتوب.

وقيل: أطيب العيش ما كان فيه أربع خصال: الرضا بالقضاء، ونشر الآلاء في بساتين العلماء، وموافقة الحق على... والاستيناس بالذكر مع الصدق والصفاء.

وضد الذكر: الغفلة وهي نسيان ما فرض الله عليه، واشتغال الخاطر بما لا يعنيه، والسهو عن المنن السابقة والتعم السابغة.

وقيل: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك طرفه عين.

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في الذكر: يا من ذكره شرف للذاكرين، ويا من شكره فوز للشاكرين، ويا من طاعته نجاة للمطيعين، اشغل قلوبنا بذكرك عن كل ذكر، وألستنا بشكرك عن كل شكر، وجوارحنا بطاعتك عن كل طاعة حتى ينصرف كتاب السيئات عنا بصحيفة خالية من ذكر سيئاتنا، ويتولّى كتاب الحسنات من عندنا مسرورين بما كتبوا من حسناتنا. فإذا انقضت أيام حياتنا وتصرمت مدد أعمارنا، فاجعل ختام ما يحصى علينا كتبة أعمالنا توبة مقبولة لا نوقف بعدها على ذنب اجترحناه ولا معصية اقترفناها، ولا تكشف لنا سترأ على رؤوس الأشهاد يوم تبلى أخبار العباد، إنك رحيم بمن دعاك، مستجيب لمن ناداك^١.

١. هذا هو الدعاء ١١ من الصحيفة السجادية مع تلخيص و تفاوت سير.

ذكر الفقر والغناء

قال الحافظ:

إنَّ العبد مادام في دار المحنة كان الفقر أصلح له من الغنا، فإذا فارقها فالغنا أفضل. قال الله تعالى: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ يعني ملة واحدة، وهي الكفر ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمان لبيوتهم سقفاً من فضة﴾ تغليظاً للمحنة ﴿ومعارج عليها يظهرون﴾ يعني ومراقي يرتقون عليها ﴿وليبيوتهم أبواباً وسرراً﴾ يعني في البيوت ﴿عليها يتكئون وزخرفاً وإن كل ذلك لنا متاع الحياة الدنيا﴾^١. ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾^٢ يعني ثواب الجنة أفضل لمن اتقى زينة الدنيا وزهد فيها.

دلَّت الآية أنَّ فقر الكافر مصلحة المؤمن، فوجب أنْ غناه مفسدة له في حدّ المحنة إلا من عصمه الله مثل نبيّ أو وصيّ أو وليّ.

وقال الله عزّ ذكره: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أراد بالبسط - والله أعلم - وجود الملك حسب المنى ﴿لبغوا في الأرض﴾ يعني لطلبوا ما ليس لهم ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ مقترناً بالخيرة ﴿إنّه بعباده خبير بصير﴾^٣ يعني بمصالح عباده عالم، فيدبّر أحوالهم بالحكمة. تبهت الآية أنَّ الغنا سبب البغي والطغيان، والفقر سبب الصلاح والإيمان.

١. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٢. الرّزق: ٣٣.

٣. السّورى: ٢٧.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: الفقر أزين بالمؤمن من العذار الجيد على خدّ الفرس^١.

وقال - فدته نفسي قبل النفوس - صلوات الله عليه وآله اللهم من أحببني وأطاع أمري فأقلل له المال والولد، اللهم من أبغضني وعصى أمري فأكثر له المال والولد^٢.

وفيما روي عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: تلمّض الفقير عند شهوة يشتهيها ولا يقدر عليها خير من عبادة الغنيّ سبعين ألف عام.

وروت الأئمة عن رسول الله ﷺ قال: من أنصف الناس فقد ظفر بالجنة العالية القصوى، ومن كان الفقر أحبّ إليه من الغنا فلو اجتهد عبّاد الحرمين لم يدركوا فضل ما يعطى^٣.

وفي الفقر راحة البدن وسقوط الحقوق وفراغة القلب وانتظار الفرج وخفة الحساب وفي الغنا تعب...

وقال يحيى بن الحسين: الفقر ثلاثة أشياء: دلالة واختيار ورضا؛ دلالة جبرائيل واختيار محمّد ورضا الرّحمان. وأصل الفقر في الظاهر عدم المال، وفي الباطن الحاجة إلى الخلق، وصدّه الغنا وهو في الظاهر وجود الملك، وفي الباطن الإياسة عن الخلق.

والغناء على وجوه:

منها سلامة الأعضاء عن العاهات وكمال الآلة مع حصول المعاني، وصدّه هذا الغنا فساد الآلة مع عدم المعاني، وكلّ عضو يفتقر إلى معنى فوجود ذلك المعنى غناه وعدمه فقره.

ومنها القناعة وثمرتها الرّاحة، وصدّها الحرص. والقانع غنيّ وإن جاع وعريّ، والحريص فقير وإن ملك الدّنيا.

١. راجع الكافي ٢/٢٦٥ والمعجم الكبير: ٢٩٥/٧ وكنز العمال: ٤٨٤/٦.

٢. راجع الأمالي للطوسي: ١٣٢ وكنز العمال: ٣٨٣/٦.

٣. كنز العمال: ٨٠٥/١٥.

و ذكر عن وهب بن منبه قال: الغنا والعزّ خرجا يجولان، فلقيا القناعة فاستقرّا.
ومنها اليأس وضده الطمع، فقد قيل: الطمع فقر حاضر، واليأس غناء ظاهر.
والطامع فقير وإن ملك الدنيا، والأيس غني وإن امتحن بالبلاء.
ومنها العلم وضده الجهل، والعالم غني لأنه لا يحتاج إلى تفقّد الأسباب من غيره،
والجاهل فقير لأنه قد انغلق عليه أبواب الإرشاد.
ومن دعاء المصطفى ﷺ: اللَّهُمَّ أغني بالعلم، وزيني بالحلم، وجمّلني بالتقوى،
وأكرمني بالعافية، يا وليّ العافية!^١
ومنها إكمال الطاعة وضدّها الوقوع في المعصية، لأنّ المطيع غنيّ وغناه ثواب
الأبد، والعاصي فقير وفقره عقاب الأبد.

ومنها الجنّة وهي غاية الغنا، وضدّها النّار وهي غاية الفقر.
وقد قيل: لا فاقة بعد الجنّة ولا غناء بعد النّار، ومن أغناه الله بدخول الجنّة فقد أنزله
أفضل منازل الأغنياء، ومن أفقره الله بدخول النّار فقد أصعب..^٢
وأشرف مقامات الغنا الاستغناء بالله والفقر إليه، قال الله تعالى: ﴿يا أيّها النّاس أنتم
الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد﴾^٣. وقال: ﴿والله الغنيّ وأنتم الفقراء﴾^٤.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: ما استغني أحد بالله إلا احتاج النّاس إليه.^٥
ولا يستغني بالله إلا من رأى منته بقلبه، ونظر إلى برّه بعين اليقين، وشاهد أسباب
القدرة بحقائق المعرفة، وأبصر خزائن الغيب بأنوار الفهم، واستسلم لواردات المشيئة
بقوّة التسليم، وطار بأجنحة التأييد في حجب الملكوت، وغاص بأقدام الصّدق في

١. راجع التهذيب للطّوسيّ: ٧٣/٣.

٢. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٣. فاطر: ١٥.

٤. محمّد ﷺ: ٣٨.

٥. راجع البحار: ١٥٥/٧١.

بحار الفضل، وطاف حول المملكة على مراكب الأفكار، وعبر أمواج المحن بعين الاعتبار، وانقطع إلى الحق متذلاً بالافتقار، وسكن على بابه متردياً بالافتخار، فهذه مراتب الغنا وجوه الفقر.

واعلم أن الفقر قيد المعاصي ولباس الذلّ وسبب التواضع، والغنا ميدان الذنوب ولباس الكفر، فاستغن بالله وافتقر إليه وتوكل عليه واعتصم به، فعنده الكفاية والعناية، ومنه الولاية والرعاية، وهو الكافي لمن توكل عليه، والوافي لمن فوض إليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ذكر منازل المؤمنين

قال الحافظ:

أفضل منازل المؤمنين ستّة: الخوف والرّجاء والشّوق والإنابة والمحبة والهيبة.
أما الخوف فهو على أربعة أوجه:

أولها خوف غريزي، وهو خوف العوأم، وهو الفرع عند درك المحذور من حلول المكروه في الطّبع.

والثاني خوف... [عند حلول المكروه] في العقل والشرع.

والثالث خوف مزعج مقلق يمنع...^١.

[والرابع] خوف... عارض عند الذّكر والقصص وتلاوة القرآن رقة كرقّة النّساء ليس لها ثبات، يسمّى خوف الحال.

والخوف والخشية والرّهبة والوجل كلّها قريب في المعنى، وأصل ذلك خاطر يزعج العبد في حالته و يقلقه.

وقيل: هو خاطر يدرك ما يفزع منه العبد. وهذه الأوصاف خارجة عن طاقة العباد.

ثمّ خوف الرّزق، وخوف الفقر، وخوف السّلطان، وخوف حلول الشّدائد،

وخوف الموت، وخوف القبر، وخوف القيامة، وخوف الحساب، وخوف ردّ الأعمال،

وخوف العقوبة، وخوف القطيعة، كلّ ذلك راجع إلى ما أشرنا إليه وبنينا الكلام عليه،

١. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

ولا يسكن خوف الخائف أبداً حتى يأمن من يخاف.

يدلُّ عليه قول المصطفى ﷺ لمعاذ: إنَّ المؤمن لا يسكن روعته ولا يطمئن من اضطرابه حتى تخلف جسر جهنم^١.

وذكر عن المسيح صلوات الله عليه قال: إنَّ خشية جهنم وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويبعدان العبد من راحة الدنيا^٢.

ومدح الله الخائفين، فقال عزَّ ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^٣ يعني ثواب عظيم في الجنة.

و وعد الخائفين جنتين موصوفتين ومن دونهما جنتان معروفتان، قال الله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾^٤ قيل: جنة المأوى وجنة النعيم، ثم وصفهما بأنواع الخيرات وفنون الكرامات، ثم قال: ﴿ومن دونهما جنتان﴾^٥ قيل: هما جنة عدن وجنة الفردوس، وهما عندي - والله أعلم - بستانان في الجنان لأنَّ الجنان^٦.. لمن أتى بكامل الطاعات وأفضل الخيرات، وذلك مقام الرسل الأكرمين والأوصياء الصديقين.

وقال عزَّ ذكره في مدح الخائف: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنَّ الجنة هي المأوى﴾^٧ قيل في معناها: من خاف مقامه بين يدي ربه فأنتهى عن المعصية، فالجنة مأواه. وهو صحيح من التأويل لأنَّ المنتهي عن ركوب المعاصي والنهي نفسه عن الوقوع فيها، هو من غلب عقله هواه وخضَّ بالعصمة الواقية، وهي درجة الرسالة ومحل الوصاية.

١. راجع كنز العمال: ١٦٣/١.

٢. الدرَّ المشثور: ٢٦٧٢.

٣. الملك: ١٢.

٤. الرِّحمان: ٤٦.

٥. الرِّحمان: ٦٢.

٦. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٧. النَّازعات: ٤١.

وقد بين الله درجات الخائفين عنده، فقال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قيل: هي الطاعات فيما بينهم وبين ربهم، وقيل: هي الإخلاص وصحة الإرادة ﴿أولئك هم خير البرية﴾^١ يعني أفضل الخليقة فضلهم على الملائكة بهذه الرتبة الشريفة، وهي درجة الصفا والإخلاص ﴿جزاؤهم عند ربهم﴾ يعني ثوابهم في الملكوت ﴿جَنّاتٍ عَدْنٍ﴾ وهو الإقامة ﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً﴾ يعني مقيمين دائمين لا يجري عليهم الفناء ولا يلحقهم العزل والزوال ﴿رضي الله عنهم﴾ بأعمالهم الخالصة ورضوا عنه ﴿بكراماته الباقية، ثم ختمه بما هو سبب الإخلاص والصفاء والقيام بالعبودية وتعظيم أمر الربوبية، وهو الخوف الذي بنينا عليه أصل الطاعات، فقال: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾^٢ يقول: هذا الثواب المذكور في الآية لمن خاف ربه بالغيب...^٣

[وَأَمَّا الرَّجَاءُ فَإِذَا كَانَ فِي الْخَالِقِ مَدْحٌ] وإذا كان في المخلوق ذمّ. قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه﴾ يعني طمع في ثواب ربه، وهو المحمود من الطمع ﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾^٤

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعني لا يطمعون في ثوابنا ولا يريدون كرامتنا ورضوا بالحياة الدنيا﴾ يقول: قنعوا بالعاجل دون الآجل ﴿واطمأنوا بها﴾ يعني وسكنوا بما وجدوا منها ﴿والَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ يقول: عن النظر فيها والاستدلال بها ﴿أولئك ما أوامهم النار بما كانوا يكسبون﴾^٥

وقال يحكي قول من انقطع رجاؤه و ضلّ سعيه و عناه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعني ثوابنا وكرامتنا ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْمَلَائِكَةَ﴾ لنسمع منهم ما يؤدّي إلينا الرّسل ﴿أو نرى

١. البينة: ٧.

٢. البينة: ٨.

٣. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٤. الكهف: ١١٠.

٥. يونس: ٧.

رَبَّنَا ﴿رؤية عيان فيخبرنا بتحقيق من بعث إلينا﴾ لقد استكبروا في أنفسهم ﴿بتمنيهم رؤية الملائكة﴾ وعوتوا عتواً كبيراً ﴿بارادة الرؤية﴾ يوم يرون الملائكة يعني يعاينوهم عند الموت وفي القيامة، ولم يذكر الرؤية لأنها تستحيل في العقول ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين﴾ بالكرامة والثواب ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ يعني حراماً محرماً ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ يقول: وعمدنا إلى أعمالهم فأبطلناها ﴿فجعلنا هباءً منثوراً﴾^١ فأخرج ما لا يقع عليه الحواس إلى ما يقع عليه الحواس مما لا ينتفع به تقريراً للمراد.

هذا صفة من انقطع رجاؤه من سيده، وأيس من كرامة ربه، و فقط من رحمة مولاه. وقيل: الرجاء أقوى من الخوف لأنه متعلق^٢. قال تعالى: من خاف غير عدلي ورجا غير فضلي، لم يعرفني حق المعرفة^٣.

و ضد الخوف الأمن، و ضد الرجاء الإياسة.

و الأمن سكون الفزع مما يحذرُه العبد، و الإياسة عدم المأمول و انقطاع الطمع. وقيل: خوف الخالق أمن، و الأمن منه كفر، و خوف المخلوق رق، و أمنه حرية، و الرجاء إلى الله غنى لا يضرمعه فقر، و الإياسة منه فقر، لا ينفع معها غنى.

وقيل: الحزن يمنع عن الطعام، و الخوف يمنع عن الذنوب، و الرجاء يقوي على الطاعات، و ذكر الموت يزهدي الفضول.

و قال أبو يزيد البسطامي قدس الله روحه: الخلق ثلاثة: خائف و راج و محب؛ فللخائف الهرب، و للراجي الطلب، و للمحب الطرب.

و أما الشوق فهو ضرب من المحبة عند حصول الغيبة و انقطاع المشاهدة، و هو مذكور في الآثار، و مأثور عن السيد المختار عليه السلام قال: راحة نفسي مع أصحابي، و قرّة عيني في الصلاة، و ثمرة فؤادي ذكر الله، و غمي لأجل أمّتي الذين يكونون في آخر

١. الفرقان: ٢٥.

٢. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٣. راجع الكافي: ٥٢٧/١ و كمال الدين: ٣١٠ و الغيبة للنعماني: ٦٣.

الزَّمان، و شوقِي إلى مولاي. ثم تلا هذه الآية: ﴿هو موليكم فنعم المولى ونعم النصير﴾^١. روي هذا عن أنس، عنه عليه السلام.

وقيل لبعضهم^٢: أشتاق إلى الله؟ قال: يشتاق إليه الغائب عنه.

ولا معنى للشوق إلى الله عندي إلا من وجهين: إما إلى الرؤية عند متهيئها، وهو لا يصلح لأنه طلب المحال. وإما إلى فراق المحنة والوصول إلى مقامات المقرَّبين في محلِّ الكرامة، وهو الوجه الصحيح فاعلمه لأنَّ في تلك الحالة سقوط المؤمن وزوال الشبه وحلَّ القيود ووضع^٣.

[وقيل:] الشوق يقلق، والحب ينطق، والحياء يسكت، والخوف يزعج، والرَّجاء يطلق.

وقال الثَّوري: المكر لا يعرفه إلا صاحب الوصل، والمريد لا يعرف الوصل لأنه في شوق و حرق.

وأما الإجابة فهي الرجوع إلى الله بالطاعة قولاً وعقداً و فعلاً، قال الله تعالى: ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ يقول: أقبلوا إليه بالطاعة ﴿وأسلموا له﴾ يقول: واخضعوا له بالعبودية ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾ يعني أحزان الفرقة ﴿ثم لا تنصرون﴾^٤ يقول: لا تمنعون من نيران القطع. والمنيب من رجع قلبه إلى الله بالتفكير في عظمته، ولسانه إلى الذكر لمنته، وبدنه إلى الخدمة في طلب مرضاته.

وأول درجة الإجابة رؤية المنة، وأوسطها صدق الإرادة، وأعلىها السكون مع الحق بنسيان الكل. قال الله تعالى: ﴿من خشى الرحمن بالغيب﴾ يقول: من خافه في السرِّ غير ناظر إلى من دونه ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مقبل إليه، معرض عمَّا سواه. يقول لهم الملائكة:

١. الحج: ٧٨.

٢. أي لبعض الصوفية.

٣. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٤. الزمر: ٥٤.

«ادخلوها» يعني الجنة «بسلام» من ذل القطيعة «ذلك يوم الخلود» يعني البقاء في الكرامة «لهم ما يشاؤون فيها» يعني ما يريدون من أنواع البر «ولدينا مزيد»^١ وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»^٢.

والمنيب من قام على باب سيده وعرف به، وضده المريب وهو المتهم في دينه المستخف بعقباه، فهو يتردد في أودية الشبهات ويتحير في عمق الضلالات، لا يطيب له عيش ولا يصفو له حال لأنه غير متوكل على القديم ولا منيب إلى الحكيم^٣ فخوفه من المخلوق ورجاؤه إليه وطمعه فيه واعتماده عليه. وأما المنيب فهو يرتع في رياض العلم بأنوار اليقين وبصائر المعرفة، يستأنس بالحق ويستوحش عن الخلق، فأيام ديناه له حسرة اشتياقاً إلى الله وانقطاعاً إليه وتوكلاً عليه وثقة بوعده وانتظاراً لكرامته، فطوبى لمن أناب إلى معبوده ورضي بمقصوده.

وأما المحبة فقد اختلفوا فيها؛ فقال ذواتون بن إبراهيم المصري: المحبة خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة.

وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة معيار الله في الأرض، يظهر فيه القريب من البعيد.

وقال السبلي: المحبة الفراغة للحبيب، وترك الإعراض عن قريب.

وقيل: المحبة معانقة الطاعة وملازمة الفاقة.

وقيل: المحبة نور للقلب، وشفاء للصدر، وراحة للنفس، وتقرب إلى المحبوب.

وقيل: المحبة انقطاع إلى الحق مع نسيان الخلق.

وكل ذلك عندي أوصاف المحب لا الإبانة عن حقيقة الحب، وهو على ما يتحقق

عند العلماء اسم جامع لمعانٍ مختلفة مثل الشوق والتوق والود والومق والعشق

١. ق: ٣٥.

٢. السجدة: ١٧.

٣. في الأصل: الحكم.

و الصداقة و الخلة و الوله، و كل ذلك يسمّى حباً، و هذه الأوصاف تختص بالأحوال، و قد بينا حقيقة الشوق فيما تقدّم.

و أما التوق ..^١.

و أما الومق فهو حب يتولد من البرّ مع تقارب الطّبعين، و هو قريب من العشق.

و أما العشق فهو يقع بمشاكله الطّبعين، و هو كامن في القلب كموّن النار في الحجر

إن قدحته أورى و إن تركته توارى، و أصل ذلك حرقة القلب مع توجّع.

و عن بعض العلماء قال: كَفَّرَ يحيى بقوله: أنا عاشق و الرّبّ معشوقى.

و سئل الشّبلي عن العشق، فقال: هو ملك عسوف مسلّط؛ دانت له القلوب

و خضعت له الرّقاب و انقادت له الأبواب و لانت له النفوس، و العقل أسيره و النّظر

رسوله و اللحظة لفظه، مستقرّه غامض و محلّه لطيف، دقيق المسالك، ينشأ في

الحركات، يتّصل بآخر حرف الحياة و يمتدّ إلى الممات. ذكره الصّفار عن القنّاد عن

الشّبلي رحمة الله عليه.

و قال بعضهم: هو جنون إلهي أدقّ من أن يحسّ و ألطف من أن يدرك، يتولد بينهما

مخالطة الأشباح و مناسمة الأرواح و ملاطفة الأحوال، لا يوقف عليه و لا يعبر عنه

لتباعد أوصافه. و هو مستحيل باطل في وصف القديم تعالى عنه و تنزّه لأنّه من سمات

الإنسان و صفات البشر و نعوت النّساء، لا يصف القديم به إلا جاهل أو ملحد.

و أما الودّ فهو التّمنى للشّيء و إرادة الوصل إليه، و منه قوله عزّ ذكره: ﴿وذكر كثير من أهل

الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّاراً﴾^٢ قيل: أراد و تمّنى. و قوله: ﴿وتودون أن غير ذات

الشّوكة تكون لكم﴾^٣ يعني يريدون و يتمنّون.

و أما الصداقة فهي حبّ مع التصديق، و منه يسمّى مهر المرأة صداقاً لأنّه تحقيق

١. سقط هنا من الأصل معنى التوق والودّ.

٢. البقرة: ١٠٩.

٣. الأنفال: ٧.

العقد، و عطية الفقير صدقة لأنها تحقيق لظنه و قصده و صدق الدعوى^١ ..
 و أما الخلة فهي حب مع الافتقار، و كان الخليل صلوات الله عليه مع ما أعطاه الله
 و خو له مفتقراً إلى ربه، يظهر السكينة و التواضع في جميع أحواله. و منه الخلة، و هي
 الحاجة. و قولهم: اختل إليه، يعني افتقر و احتاج. و اختلال الأسباب: تشتتها فيحتاج
 إلى تداركها. و الخليل: الفقير في اللغة، و منه قول شاعرهم:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول: لا غائب مالي ولا حرم^٢

و أما الوله فهو ذهاب العقل لفقدان الجسد^٣، و الواله: الذاهب فواده.

و يوصف القديم بالحب و لا يوصف بالشوق و التوق و الومل و الوله و غير ذلك
 من أنواعه، كما يوصف بالعلم و لا يوصف بأقسامه مثل الفهم و الفقه و الفراسة
 و أشكال ذلك، و كما يوصف بالفعل و لا يوصف بأجناسه مثل الكسب و الحركة
 و السكون و سائر ذلك من أنواع الأفعال. فهو محب لأوليائه بمعنى الإكرام و التقريب
 و سائر ألطافه التي يخص بها عباده المؤمنين، و قد بينت معنى الحب من الله و من العبد
 فيما تقدم من الكتاب، فما جاء في هذا الباب عن الله و عن الرسول ﷺ و الأنمة ﷺ
 فهو مبني على هذا. و كل معنى يوجب تشبيه القديم بالمخلوق أو قدحاً في النبوات أو
 جرحاً في الأنمة أو ضعفاً في الأصول فهو كذب باطل؛ لأن الوحي لم ينزل إلا بما
 أوجه العقل أو يحسنه، و الأصول لا ينقض بعضها بعضاً لأنها متفقة، و لو لم تتفق لم
 تكن أصلاً لأنها مباني، فإذا انهدمت لا يصح عليها البناء.
 و الحب على أربعة أوجه: حب الله و حب أوليائه^٤.

١. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٢. الحرم: الممنوع. و الشعر في لسان العرب ٢٠١/٤.

٣. كذا.

٤. هنا سقط من الأصل صفحتان أو أكثر. و فيما سقط شرح «الهيبة» كما لا يخفى.

[في ذكر النعمة]

١.. قال الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ: ﴿وذري والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾^٢ وقد قيل: النعمة للمؤمنين والنعمة للكافرين، وقيل: النعمة في الدين والنعمة في الدنيا. وكمال النعمة اتصال بعضها ببعض، وسبوغها سعتها على العبد، وتامها اتصالها بنعيم الأبد.

قال الله تعالى لنبيه: ﴿ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً﴾^٣ وأفضل المنتعمين عليهم من ذكرهم الله في كتابه، فقال تعالى ذكره: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ سيدهم محمد ﷺ ﴿والصديقين﴾ أولهم الصديق الأكبر علي بن أبي طالب عليه الرضوان والرحمة ﴿والشهداء﴾ أفضلهم حمزة ابن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب، قد رفع الله درجتهم ﴿والصالحين﴾ أجلهم الحسن والحسين ﷺ سبطا رسول الله ﷺ ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾^٤ يعني القائم من آل محمد خاتم الخلفاء، عليهم صلوات رب السماء.

هكذا رواه الرضا عن آبائه الطاهرين عن رسول رب العالمين صلوات الله عليه وآله

١. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٢. المزمل: ١١.

٣. الفتح: ٢.

٤. النساء: ٦٩.

في معنى هذه الآية^١ غير أن في الرواية زيادة تعظيم من مراتب الكتاب إعظاماً لأحوال المذكورين، على ذكرهم سلام الله

فمن عرف النعمة من الله، فعليه أن يؤدي شكرها بطاعته دائماً، فإن النعمة وحشية قيدها الشكر و ثمنها الزيادة

وقد قيل: النعمة المكفورة هي النعمة المستورة، فلا تعرض النعمة للزوال بكفرانه، فقد قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾^٢.

ولا تعتدّ بعدوّ الله الذي أطغاه النعمة فتكبر على أولياء الله فحلّت به العقوبة فتبترته تبييراً و دمرته تدميراً وأصابته سعيراً ﴿واينغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ بالبذل و المواساة ﴿ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾ و نصيبك منها ما قدّمته لخدك ﴿وأحسن﴾ إلى عباد الله انتهاءً ﴿كما أحسن الله إليك﴾ ابتداءً ﴿ولاتبغ الفساد في الأرض﴾ بالطغيان في النعمة و الركون إلى الظلمة ﴿إن الله لا يحبّ المفسدين﴾^٣.

١. راجع تفسير القمّي: ١٤٣/١.

٢. إبراهيم: ٧.

٣. القصص: ٧٧.

ذكر فضل الله

قال الحافظ:

إنَّ الفضل من الله تخصيص عبده بما يتميِّز به عن أقرانه، كاستخلافه آدم عليه السلام واصطفائه إياه بسجود الملائكة، وتقديمه على ساداتهم وتفضيله عليهم بعلم الأسماء، وإدخاله الجنة ابتداءً من غير عمل، وتخصيصه نوحاً عليه السلام بالمكث الطويل في الدعوة [إلى] الشريعة وإمداده أيام الطوفان بالسفينة المنجية، واختياره الخليل عليه السلام بالصفاء والخلة وقبول قربانه، وفدائه بالذبح المعظم وإبقاء ذكره في الأمم الغابرة وتحبيبه إلى البرية بمولاته، وتخصيص يوسف عليه السلام بالحسن المعجز والجمال الزائع مع ما ألبسه من سلطان النبوة وهيبة الرسالة حتى لم ينظر أحد إليه بعين الريبة، وتخصيص الكليم عليه السلام بالتربية العجيبة و صرف عدوه عن إهلاكه بعد نصبه الشبانك في طلبه وتدبر الحيل في أخذه، والله يكلأه في بيته وحجره ويربِّيه بين حشمه، مع سائر خصائص الله لديه وعليه من ابتداء حاله إلى انتهائه، وتخصيص داود عليه السلام بحسن الصوت وتلين الحديد وحشر الطير وتسييح الجبال، وتخصيص سليمان عليه السلام بالفهم الثاقب في صفائه¹ والقضاء الفاصل في حدائث سنه وإصابة الحق في حياة أبيه، دلالة على خلافته ونبوته بعد مضي نبئه عليه السلام، وتخصيص المسيح عليه السلام بخصائص لا تحصى ولا تعدّ من أوّل ظهوره إلى وقت رفعه إلى السماء واشتباؤه أحواله على الخلق، وذلك

١. لعلّ الصّحيح: صباه.

لما ظهر منه وفي أيامه ممّا أيده الله به من الآيات الباهرة والأنوار الزاهرة والقوى القاهرة والدلائل الظاهرة مثل معرفته بالكتب المنزلة وقت ولادته وإقراره بالعبودية قبل افتتاح الخلق به، وإثباته النبوة لنفسه بما أنطقه الله في صباه، وتنزيهه البرّة العفيفة العذراء البتول عمّا قذفت به ونسبت إليه، ونزول المائدة عليه عيداً لأوّله وآخره، وتخصيص المصطفى ﷺ بختم الرّسالة ونسخ الشرائع ودعوة الكافة وتأخير العقوبات عن الأمة وتحليل الطّيّبات وتيسير الثّوبه وتخفيف الشّريعة وإحلال الغنائم وكفارة الأيمان وإباحة القتال في البلد الحرام واقتران دعوته بدعوة القيامة وولايته بولاية الجنّة مع ما يعجز البيان عن إحصاء فضائله وذكر خصائصه، وهي مشهورة عند أولي النّهى والبصائر.

قال الله تعالى: ﴿ولو لا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلّوك﴾ يقول: ولو لا تخصيصه إياك بالعصمة الواقية لأضمرت طائفة من رؤساء الضّلالة أن يضلّوك عن الحقّ ﴿وما يضلّون إلا أنفُسهم﴾ يقول: وما يرجع وبال قصدهم لإضلالك إلا إليهم ولا حقّ بهم لأنهم الضّلال لا المعصومون من الضّلال ﴿وما يضرّونك من شيء﴾ دلالة له على قطع أطماع الملحدين عنه في الإضرار به ﴿وأنزل الله عليك الكتاب﴾ يعني القرآن ﴿والحكمة﴾ يعني معرفة التأويل والتفسير، وقيل: الإصابة في الخلق والفعل والإرادة ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ من الفرائض والسّنن والآثار والأحكام والدلائل والحجج وقصص الماضين وأخبار الباقين وما جرى به القلم المكنون من العلم المخزون في اللوح المصون، وما حجب عن المقرّبين ممّا لا تدركه الأوهام ولم يكتبه الأقلام ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾^١ في البدء والنّهاية والدنيا والآخرة، ومن يقف على كنه ما عظّمه الله وغاية ما كبره الله؟

قال الله تعالى إبانة عن قدرته و اظهاراً لهيبته: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثمّ لا

تجد لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً^١.

وقال عز من قائل: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً﴾^٢.

فأفضل الرسل سيدهم محمد ﷺ.

وذكر عن الصادق عليه السلام قال: فضلي من فضل آبائي، وفضل آبائي فضل لي، وفضلي

لآبائي فضل^٣.

وقد أبان الله عن فضله بذكر منته على المؤمنين فقال: ﴿و لكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم﴾^٤ دلّت الآية [على] أنّ تحبيب الإيمان وتزيينه في القلوب من الفضل، وتكره الكفر والفسوق والعصيان من النعمة.

وقال بعض المريدين: طلب الأعواض على الطاعات من نسيان الفضل، ونسيان الفضل من نسيان الرب، والعارف المحقق يفتخر بفضل الله ويفتقر إلى رحمة الله ويعتصم بحبل الله ويتوكل على الله ويفوض أمره إليه فعلى الصديق لما أظهر الدعوة وصرح الملة وأبان النسبة قال على أثره: ﴿ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾^٥ وكفعل^٦ نبي الله سليمان عليه السلام لما استقرّ عنده السرير قال: ﴿هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر﴾^٧.

وخبرت أنّ يحيى بن معاذ الزاوي^٨ دخل على حمزة بن حمزة العلوي ببلخ، فقال

١. الإسراء: ٨٧.

٢. الإسراء: ٥٥.

٣. راجع الأمالي للصدوق: ٥٣٨.

٤. الحجرات: ٨.

٥. يوسف: ٣٨.

٦. في الأصل: كفضل.

٧. النمل: ٤٠.

٨ أبو زكريا يحيى بن معاذ الزاوي: خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨ وهو واعظ زاهد، له كلمات سائرة. راجع الرسالة القشيرية: ٦٢، والأعلام: ١٧٢/٨.

له: ما تقول فينا أهل البيت؟ قال: ما أقول في طينة عجنت بماء الوحي و غريس غرس بماء الرسالة، فهل يفوح منه إلا مسك الهدى و عنبر التقى؟ قيل: فحشاه بالدرّ و زاره من الغد فقال له يحيى: إن زرتنا فبفضلك و إن زرناك فلفضلك، فالفصل لك زائراً و مزوراً^١.

ولمّا ذكر الله تعالى بعثه الرّسول ﷺ ﴿في الأمّتين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم﴾ بالتأديب و التّعليم ﴿و يعلمهم الكتاب﴾ يعني الوحي المنزل عليه ﴿و الحكمة﴾ يعني أسباب المعاش و المعاد ﴿و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين و آخرين منهم﴾ يعني من العرب و العجم أيضاً ﴿لمّا يلحقوا بهم﴾ يعني من بعث فيهم الرّسول ﴿و هو العزيز الحكيم﴾ قال على أثره: ﴿ذلك فضل الله﴾ التّخصيص بالرسالة و التّقديم على البرية و التّزكية بالأدب الحسنه و تعليم الكتاب و الحكمة ﴿يؤتيه من يشاء﴾ يقول: يخصّ به من استحقّ التّخصيص ﴿و الله ذو الفضل العظيم﴾^٢.

و الكلام في أبواب الفضل يطول لقصور الخلق عن إدراك أوّله و آخره، فاسأل المفضّل من فضله، فلولوا الفضل و الكرم ما زكى أحد و لا نجا بشر و ما صلح حال و لا تمّ بال. جعلنا الله ممّن يُسعدنا بفضله و يخصّنا بلطفه، إنّه المفضل الكريم العادل الحكيم.

١. و في ربيع الأبرار للزمخشريّ [باب الأخلاق و العادات الحسنه و القيحة]: زار الخليل [أي الفراهيدي] بعض تلامذته فقال له: إن زرتنا، الخ. و في كتاب حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين و القدماء للزوزني المتوفى سنة ٤٣١هـ [باب الاستعطاف و الاعتذار]: دخل يحيى بن معاذ الرازي ببلخ على حمزة بن حمزة سيّد العلويين بها، فقال: ما تقول فينا، الخ.

ذكر العفو

قال الحافظ:

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَفْوَ، دَلَّ رَسُولُهُ عَلَى الْعَفْوِ وَأَمَرَ أَوْلِيَاءَهُ بِالْعَفْوِ وَدَعَا أَصْفِيَاءَهُ إِلَى الْعَفْوِ.

قال لنبیه ﷺ: ﴿خَذِ الْعَفْوَ وَأُؤْمِرْ بِالْعَرَفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^١. و قال لأوليائه: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾^٢. و قال لأصفيائه: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم﴾^٣.

و العفو ينقسم إلى المعاني:

منها الفضل، قوله عزّ ذكره: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ يعني كم ينفقون ﴿قل العفو﴾^٤ أمر بإتفاق ما فضل عن الكلّ و العيال.

ومنها التّجاوز، قوله عزّ اسمه: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾^٥ يقول: تجاوز عن زلّاتهم.

ومنها التيسير و التّخفيف، قوله في ذكر القصاص: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ يقول:

١. الأعراف: ١٩٩.

٢. التّور: ٢٢.

٣. التّغابن: ١٤.

٤. البقرة: ٢١٩.

٥. آل عمران: ١٥٩.

فمن يُسّر له وسهّل عليه وخفّف عنه من دم أخيه أو ديته شيء ﴿فَاتَّبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءَ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾^١.

ومنها الكثرة، قوله جلّ جلاله: ﴿لَمْ يَدُلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا﴾^٢ يعني كثروا. والله العفو، يعني المتجاوز عن ذنب عبده، المتفصّل عليه بعظيم الثواب، المخفّف عنه شديد العقاب، يكثر البرّ والنعم معه والإحسان إليه وهو الغفور يعني السّاتر لعبده برحمته، والمغفرة ستره العبد بلطائفه حتّى لا يطّلع العبد^٣ عليه فيعيّره. ومنه غفر الخزّ، وهو ما ستره وعلاه. ومنه المغفر، وهو السّاتر للرأس، والله مظهر الجميل ويحبّ إظهاره، والسّاتر على القبيح ويحبّ ستره.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: استروا على المؤمن ما لم يضّر مسلماً. وقال: من اطّلع على سيّئة مؤمن فأفشاها عليه ولم يكتمها، كان كعاملها^٤. وعن البراء بن عازب، قال خطبنا رسول الله ﷺ فنأدى بأعلى صوته حتّى سمع العواتق في الخُدُور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تتّبعوا عورات المسلمين فإنّه من يتّبع عورة أخيه المسلم يتّبع الله عورته، ومن يتّبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته^٥.

وقال - بأبي وأمي - صلّى الله عليه شفقة على أمته: من أصاب منكم هذه القاذورات فليستر لستر الله. من أبرز صفحته لنا أقمننا عليه الحدّ^٦.

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام إذا ابتلي مبتلى [أو رأى] بفضيحة: اللّهم لك الحمد على

١. البقرة: ١٧٨.

٢. الأعراف: ٩٥.

٣. ولعلّ الصحيح: الغير.

٤. راجع البحار: ٢١٦٧٥.

٥. راجع ثواب الأعمال: ٢٨٨ وكنز العمال: ١٢٥/١٦.

٦. البحار: ٢٥٤/٧٢ و تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ١٧٨.

حلمك^١ بعد علمك و معافاتك بعد حُبرك، و كَلَّنَا مولانا قد اقترف العائبة فلم تشهره و ارتكب الخطيئة^٢ فلم تفضحه و تستر بالمساوي فلم تدلل عليه، كم من حرمة على عينك قد انتهكناها و خطيئة من وراء الحجب قد ركبناها، كنت المطلع عليها دون الناظرين و القادر على إعلانها فوق القادرين، كانت عافيتك لنا حجاباً دون الأبصار و ردماً دون الأسماع، فاجعل ما كشفت^٣ من عورته و أبرزت من دِخْلَتِهِ^٤ و أعلنت من حَفِيَّتِهِ^٥ و اعظاً لنا عن سوء الخلوة و إسرار الخبثة، و أنب بنا إلى التوبة الماحية و الطريقة المحمودة، و قرّب فيها الوقت ولا تسمنا الغفلة عنك، إنا إليك راغبون^٦.

١. في الصحيفة السجادية: سترك.

٢. فيها: الفاحشة.

٣. فيها: سترت.

٤. فيها: وأخفيت من الدخيلة.

٥. كذا.

٦. هذا هو الدعاء ٣٤م- الصحيفة السجادية.

ذكر الفضل والعدل

قال الحافظ:

اعلم أنّ الله عادل حكيم ومفضل كريم، فمن عدّله إرادة الخير بعبده وهدايته إلى الحقّ وتكليفه طاقته وتعذيبه بكسب يده ومجازاته الحسنة بالحسنة وبالسيئة السيئة، وإيصاله الرزق إلى المحتاج وإقامة الأدلة على الحقّ المأمور باتباعه وبطلان الباطل المنهي عن ركوبه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^١.

وقال يحكي قول القرينين اللذين يحيل أحدهما الذنب على صاحبه، وجوابه على سبيل العدل لهما ونهيه عن إحالة الذنب على البريء مع تنزيه النفس الجانية: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُمُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيْهِ﴾ يقول: ما يكرّر القول لَدَيْهِ وما يثنى إعظاماً لِحَقِّي وإجلالاً للموقف الأعظم ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾^٢ فنفي الظلم إثبات العدل. وفي الأثر المروي عن رسول الله ﷺ قال: ما خلق الله على ظهر الأرض أقلّ من العدل، وإنّ العدل ميزان الله في الأرض؛ فمن أخذه قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه إلى النار^٣.

وفيما روى أبو أمامة عنه رضي الله عنه قال: لو أنّ الله عدّب أهل سمائه وأهل أرضه لعدّبهم

١. يونس: ٤٤.

٢. ق: ٢٩.

٣. راجع جامع البيان: ٤٣٤/٥ والدرر المنثور: ٢٣٤/٢. ومستدرک الوسائل: ٣١٧/١١.

وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كان رحمته إياهم خيراً من أعمالهم، وإن مُتَّ على غير هذا دخلت النار^١.

وقيل: لو عامل السيد بعدله مع المذنبين لما عفى عنهم ولو بكوا إلى يوم الدين. وبالعدل تستقيم الأسباب وتفتح الأبواب، وتعمر البلاد وتصلح العباد. وقيل: لا ملك إلا بالجيش، ولا جيش إلا بالمال، ولا مال إلا بالعمران، ولا عمران إلا بالعدل. ومن فضل الله وكرمه تكليفه العبد دون طاقته وتوفيقه للمكلف - وهو اللطف - لمن استحقه والزيادة في الأدلة على تحقيق الحق وبطلان الباطل وستره العيوب عليه وعباده عما جنت يده وإعطاء الشفاعة فيه ومجازاته بالحسنة الواحدة عشرًا وبالسنة الواحدة واحداً، والبركة في الأرزاق. قال الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسنة فلا يجزي إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾^٢. وقال عزَّ ذكره: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسنة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾^٣. وقيل: من عامل مع الله بالجور عامل الله معه بالعدل، ومن عامل مع الله بالعدل عامل الله معه بالفضل، ومن عامل مع الله بالفضل عامل الله معه بجميع وجوه البر.

وبالفضل يسعد العبد ويصل إلى كرامة الأبد، وفضل الله عطاؤه وليس لعطاياه نهاية؛ لأنها أبدية سرمدية تظهر في الأوقات فوق الأوهام والأفهام خارجة عن الوصف والعبارة، وهو سبحانه موصوف بالعدل والفضل، معروف بالبرِّ والكرم، يعدل مع الأعداء ويفضل مع الأولياء، فعدله حجة وفضله نعمة، وهو العادل في قضائه المفضل في عطائه، لولا إمهاله العبد ما اجتري أحد على العصيان ولا مال إلى الطغيان.

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر الفضل والعدل: يا من لا يرغب في الجزاء ويا

١. راجع سنن ابن ماجه: ٣٠/١ ومسنده أحمد: ١٨٥/٥.

٢. الأنعام: ١٦١.

٣. النمل: ٨٩.

من لا يندم على العطاء ويا من لا يكافئ عبده على السواء، هبتك ابتداء و عفوك تفضل و عفوبتك عدل و قضاؤك خيرة، إن أعطيت لم تشب عطاءك بمنّ وإن منعت لم يكن منعك تعدياً، تشكر من يشكرك و أنت ألهمته شكرك و تكافئ من حمدك و أنت علّمته حمدك، تستر على من لو شئت فضحته و تجود على من لو شئت منعته، و كلاهما منك أهل الفضيحة و المنع إلا أنك بنيت أفعالك على التفضل و أجريت قدرتك على التّجاوز و تلقّيت من عصاك بالحلم و أمهلت من قصد لنفسه بالظلم، فتستظهرهم بأناتك إلى الإنابة و تترك معاجلتهم في التّوبة لكي لا يهلك عليك هالكهم و لئلا يشقى بنقمتك شقيهم إلا عن طول الإغذار إليه و بعد ترادف الحجّة عليه كراماً في فعلك يا كريم و عائداً من عطفك يا حلّيم.

أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمّيته التّوبة، و جعلت على ذلك دليلاً من وحيك لئلا يضلّوا عليه، فقلت: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار﴾^١ فما عذر من أغفل دخول المنزل بعد فتح الباب و إقامة الدليل؟ و أنت الذي زدت في السّوم على نفسك لعبادك تريد ربّحهم في متاجرتك و فوزهم بالزيادة عليك، فقلت: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها و هم لا يظلمون﴾^٢ و قلت: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة و الله يضاعف لمن يشاء﴾^٣ و ما أنزلت من نظائرهنّ في القرآن و أنت الذي دللتهم بقولك من غيبك الذي فيه حظّهم على ما لو سترته لم تدركه أبصارهم و لم تضمّنه أسماعهم و لم تغص عليه أو هامهم، فقلت: ﴿فأذكروني أذكركم﴾^٤

١. التّحرّيم: ٨.

٢. الأنعام: ١٦١.

٣. البقرة: ٢٦١.

٤. البقرة: ١٥٢.

وقلت: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^١ وقلت: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾^٢ وقلت: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له﴾^٣ فذكروك وشكروك ودعوك وتصدقوا لك، وفيها كانت نجاتهم من غضبك وفوزهم برضاك، ولو دلّ مخلوق مخلوقاً على مثل الذي دلت عليه عبادك منه كان محموداً، فلك الحمد ما وجد في حمدك مذهب وما بقي للحمد لفظ تحمد به ومعنى يصرف إليه، يا من تحمد إلى عباده بالإحسان والفضل واملهم بالمنّ والطول، ما أفشى فينا نعمك وأسبغ علينا منتك وأخصنا ببرك، هديتنا لدينك الذي اصطفيت، وملتكَ الذي ارتضيت، وسبيلك الذي سهلت، وبصرتنا ما توجب الزلفة إليك والوصول إلى كرامتك^٤.

١. إبراهيم: ٧.

٢. غافر: ٦٠.

٣. الحديد: ١١.

٤. هذا هو الدعاء ٤٥ من الصحيفة السجادية مع التلخيص وتفاوت في الألفاظ.

ذكر السعادة والشقاوة

قال الحافظ:

أصل السعادة الراحة لأنَّ ضدها الشقاوة، قال الله تعالى: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾^١ يقول: فتتعب في طلب المعيشة وأنواع المحنة. وقيل: لا تأكل رزقك إلا بعرق الجبين.

وقال عزَّ ذكره: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضلَّ ولا يشقى﴾^٢ يعني فلا يغوى في الدنيا ولا يتعب في الآخرة.

وقال لحبيبه ﷺ: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ يقول لتتعب وتنهى^٣ ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾^٤ يعني عظة لمن يرهب ويخاف.

وحقيقة السعادة راحة الأبرار في دار القرار، والشقاوة تعب الفجار في محلِّ البوار. قال الله تعالى: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ متعوب في العذاب ومستريح في النعمة ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾^٥.

١. طه: ١١٧.

٢. طه: ١٢٣.

٣. كذا في الأصل.

٤. طه: ٢.

٥. هود: ١٠٥.

وهو كلام التأكيد والتأبيد، فمن قولهم: لا أكلمك ما كرّ الجديدان واختلف العصران ما دامت السماوات والأرض. وأما الاستثناء فهو حكم وتحقيق، وقيل: الاستثناء واقع على كون الأشيياء في الراحة قبل الوقوع في تعب الأبد. «وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك». وهو واقع على كونهم في المحنة والتعب قبل الوصول إلى الراحة الدائمة واللذة الصافية والنعمة الكاملة و سرور الأبد، ثم أوضح البيان وأزال الشبهة بقوله: «عطاء غير مجذوذ»^١ يعني غير مقطوع، والجذذ: القطع عند أهل اللسان.

والسعادة على وجهين: سعادة في الدنيا وسعادة في الآخرة؛ أما في الدنيا فصحة الجسم والثناء الحسن وكثرة الجدة والرأي الأصيل والمشورة المصيبة وكمال الطاعة والنظر في العواقب، وأما في الآخرة فالنجاة من العقاب والوصول إلى الثواب والرفعة في الدرجات. والشقاوة على ضد ما ذكرنا.

وروى الصادق عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أربع خصال من الشقاء: جمود العين وقساوة القلب وبعث الأمل وحب الدنيا.^٢

وبغير هذا الإسناد فيما روي عنه عليه السلام قال: أربعة بالمرء سعادة: أن تكون له زوجة موافقة، وإخوانه صالحين، وأولاده أبراراً، وأن يكون رزقه في بلده.^٣

دلّ الخبران على أن السعادة هي الأفعال السنية من أداء المأمور به واجتناب المنهي عنه، وغايتها راحة الدارين.

وفيما يؤثر عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه، وكلّ ميسر لما خلق له وقد جرى القلم وفرغ مما هو كائن إلى

١. هود: ١٠٧.

٢. تحف العقول: ١٢.

٣. راجع نوادر الزوائد: ١١٠ والجامع الصغير: ١٤١/١ وكنز العمال: ٩٣/١١ وتاريخ دمشق: ١٧٨/٥٤ وفي كلهم: أربع من سعادة المرء.

يوم القيامة، وإنَّ العبد ليعمل حيناً من دهره أعمال أهل السعادة حتى يقال هو منها، فيدركه الشقاء بما كتب عليه، وكذلك الشقي^١.

وأصل السعادة والشقاوة: الراحة والتعب، وإنما ذكره رسول الله ﷺ على تقارب الحال.

ومما يدل على أن السعادة والشقاوة يتعلّق بالأفعال، قول رسول الله ﷺ: إنَّ أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ومن يخضب هذه من هذه^٢. يعني ابن ملجم المرادي الذي ضرب سيّد الأوصياء عليه السلام بسيفه المسموم فاحمرت لحيته من دمه، فأخبر عليه السلام أن أشقى الخلق من قتل أفضل البشر بعد أفضل الرسل ﷺ.

ومما يحقّق هذا دعاء الأمين جبرئيل وتأمين المصطفى عليه السلام حين رقا المنبر فقال: شقي عبد أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له، وشقي عبد أدرك أبويه فلم يرضهما، وشقي عبد ذكرت عنده فلم يصلّ عليك، في كلّ ذلك يقول المصطفى عليه السلام: آمين^٣. فجعل الشقاوة ترك المفروض عليه وارتكاب المنهي عنه دلّ [على] أنّه الأفعال السنيّة والدنيّة.

ومن دعاء أمير المؤمنين عليه السلام إذا رفع عنه ما يحذر: اللهم لك الحمد على حسن قضائك ما صرفت عني من بلائك، فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجّلت لي من عافيتك فأكون قد شقيت بما أحببت وسعد غيري بما كرهت، وأن يكون ما ظللت فيه أوبت من هذه العافية بين يدي بلاء لا ينقطع ورزء لا يرتفع، فقدّم لي ما أخرت وأخر عني ما قدّمت، فغير كثير ما عاقبته الفناء وغير قليل ما غايته البقاء^٤.

١. راجع التوحيد للصدوق: ٣٥٦ والمعجم الكبير: ٢٢٣/١٠.

٢. راجع الخصال: ٦٠٧ و عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٦٦/٢.

٣. راجع فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق: ١١٤.

٤. هذا هو الدعاء ١٨ من الصحيفة السجادية مع تفاوت يسير.

ذكر الحق ومعناه

قال الحافظ:

الحق اسم لما صحَّ وجوده وتحقَّق كونه وحدَه ما أمر باتِّباعه ودعي إليه، وضدَّه الباطل وهو ما نهى عن ركوبه وزجر عنه. والحقَّ منصور بالحجَّة والدَّلالة، والباطل مقهور. قال الله: ﴿بل نقذف بالحقِّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾^١.

وقال: ﴿وقل جاء الحقُّ﴾ يعني ظهر وغلب ﴿وزهق الباطل﴾ يعني هلك واضمحَل ﴿إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾^٢ يعني هالكاً مضمحلاً.

وقال دلالة على هذا المعنى: ﴿قل إنَّ ربِّي يقذف بالحقِّ﴾ يعني يأتي به ويظهره ﴿علام الغيوب﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿فلَمَّا جاءهم الحقُّ من عندنا﴾ يعني المصطفى من عندنا، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والمراد تحقيقه، ثم قال زيادة في البيان: ﴿قل جاء الحقُّ﴾ يعني ظهر المصطفى والدين ﴿وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾^٤ يعني ما يوجد الشيطان المبطل شيئاً وما يعدمه.

وذكر أنَّ الحارث بن حوث^٥ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: أتظنَّ أنك على الحقِّ وأنَّ

١. الأنبياء: ١٨.

٢. الإسراء: ٨١.

٣. سبأ: ٤٨.

٤. سبأ: ٤٩.

٥. في الأصل: حوط، والصحيح ما أنبتناه.

طلحة والزبير ومعاوية على الباطل؟ قال: مه يا حارث^١، إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله^٢.

كلمة حق صدرت عن لسان صدق على سبيل التبيين وحد التنبيه، مقرونة بالنصح دالة على كمال الفطنة وعلو الهمة، لو فهمها السامع لاهتدى إلى محل الوصاية وعرف وجوب الولاية، لكن من عمى عن الحق والدليل ضل عن الهدى والسبيل. وذكر عن ابن مسعود قال: من أتاك بحق فاقبله وإن كان بغيضاً بعيداً، ومن أتاك بباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً^٣.

وذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً؛ أوله عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فأتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها^٤. وللحق معان:

منها الهلاك، قوله: ﴿قال رب احكم بالحق﴾^٥ يعني بالهلاك. ومنها الوجوب، قوله حكاية عن أهل النار: ﴿فحق علينا قول ربنا﴾^٦ يعني وجب. ومنها الحظ والنصيب، وذلك [قولهم]: لا حق لك في هذا، وحقّي واجب، ومهر المرأة حقّها.

ومنها الأولي، وهو قولهم: أنا أحق لهذا الأمر منك، وفلان أحق من فلان. ومنها الصدق، وهو قولهم: حقاً قلت وقلت حقاً. وفي المثل المضروب: الصدق حق والكذب باطل.

١. حار: ترخيم لاسم الحارث.

٢. راجع نهج البلاغة: ٢٦٢ من الكلمات القصار والأمالي للمفيد: ٥ والأمالي للطوسي: ٦٦٦.

٣. راجع كنز العمال: ٨٦٤/١٥ والمعجم الكبير: ١٠٢/٩.

٤. راجع جامع الأخبار: ٢٩٥ وتبنيه الخواطر: ١٣٥/١.

٥. الأنبياء: ١١٢.

٦. الصافات: ٣١.

ورأى رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار يقال له: حارثة، فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً. قال: لكلِّ حقٍّ حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا ولذتها، فأسهرت ليلي وأظمأت نهارِي، ولكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ولكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون وإلى أهل النار يتعادون. فقال النبي ﷺ: عبدٌ نور الله قلبه، فالزم^١.

وقيل: نور الحق مشرق مضي، وظلمة الباطل مستتر خفي.

والحقوق مختلفة:

منها حق الله، وهو اعتقاد وحدته وإثبات ربوبيته وأداء أمره واجتناب نهيه والرضا بحكمه ونشر آلائه وذكر نعمائه وموالات أوليائه ومعاداة أعدائه والتفكير في عظمته والاعتبار.

ومنها حق الملائكة الموكلين، وهو تعظيمهم عند الذكر وتنزيههم عن صفات البشر وتبعيدهم عن مجالس الباطل وإملاء الحسنات عليهم وترك السيئات بحضرتهم وحفظ اللسان عن الخناء إعظاماً لأمرهم وإحضارهم مجالس الخير ومعادن الفضل.

ومنها حق الرسل، وهو تصديق نبوتهم وتحقيق رسالتهم وتنزيههم عن القبائح وتبعيدهم عن التهم وإثبات محاسنهم ونشر فضائلهم وتحديد^٢ أسمائهم وذكر أيامهم وعرض آثارهم والإبانة عن أحوالهم.

ومنها حق المصطفى سيد الرسل عليه الصلاة والسلام، وهو تقديمه على البشر وتفضيله على الملائكة وتمييزه عن الخلق وذكر خصائصه وإحياء سنته وحفظ شريعته ومحبة أصحابه وتقديم وصيه وموالاته وعترته والدلالة على أحواله والصلاة

١. راجع الكافي: ٥٣/٢ والمحاسن للبرقي: ٢٤٦/١ وكنز العمال: ٣٥٣/١٣.

٢. كذا. ولعل الصحيح: تجديد.

عليه عند ذكره وإظهار معاجيزه، وحبّ العرب إعظاماً لقدره وتعظيم قريش إجلالاً لحقّه.

ومنها حقّ وصيه سيّد الأوصياء، وهو معرفة وصايته وإثبات خلافته وتحقيق إمامته واعتقاد ولايته وعقد بيعته وإظهار دلائله والنزول عند حكمه والإحسان إلى ذريّته والبراءة من أعدائه.

ومنها حقّ الصحابة من أهل الهجرة والنصرة، وهو ذكر محاسنهم ونشر فضائلهم وإقالة عثرتهم وستر عوراتهم وتعظيم أحوالهم وإظهار آثارهم والاستغفار لسابقهم وحسن الظنّ [بهم] وحفظ اللسان عمّا يشينهم.

ومنها حقّ الأمة، وهو الدّعاء لهم بالغيب والشّفقة عليهم في السرّ والاستغفار لذنوبهم دائماً والمواساة لهم بالمال وإرادة الخير بهم وحفظ اللسان عن أعراضهم وذكرهم بالجميل.

ومنها حقّ الأقرباء، وهو وصل أرحامهم ولطف أيتامهم والتعطف على أراملهم وتوقير كبارهم وإغاثة ضعفائهم واستشارة عقلائهم وبرّ أطفالهم ومراعاة نسائهم وعبادة مريضهم وتشجيع جنائزهم وتعزية مصابهم وتنبههم من الغفلة ودالّتهم على البرّ وتزهيدهم في الدّنيا وترغيبهم في العقبى.

ومنها حقّ الامام العادل بيضة الإسلام و منار الأحكام ونجم الأنام ومفرع الضّعفاء وملاذ الحنفاء، وهو بذل المهجة له بشرائط الطّاعة ومناصحة أهل ولايته ومنايذة أهل عداوته، والجهاد بين يديه والدّعوة إليه وتصفية العقد والتّسليم لأوامره وترك الضّغائن والحقد عليه عند إقامته الحدود وتنفيذه الأحكام، ويعلم أنّ طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، فأوجب له السّمع والطّاعة على نفسه ووقف عند بيانه واستكشف الشّبه الواردة عليه من عنده واغترف بكفّ الافتقار من بحار علمه وشرب

بكأس الصفاء عن أنهار حكمته و اغتسل بماء الحياة في عيون قدسه و استظل بالأنس تحت أشجار عطفه و جنى بيد الآداب ثمار لطفه و نشر بلسان الصدق محاسن أيامه و اعتقد بنور اليقين خصائص أحواله و حقق بكمال الحسبة غاية أماله؛ لأن الإمام العادل هو ثالث الثلاثة في نظام الطاعة، لا يقبل عذر من جهله و لا يرفع عمل من رده. نسأل الله أن يعيننا على قضاء الحقوق و القيام بالفرائض و لزوم الآداب، و إن الآخرة خير من الأولى، و ما عند الله أفضل و أبقي.

ذكر الأولياء والأعداء

قال الحافظ:

أولياء الله من وافق الله في السرّ والعلانية وتمسك بطاعته في الرّخاء والشدة واعتصم بحبله في الأُنس والوحشة والى أهل الحقّ في الذلّ والمحنة وعادى أهل الباطل في العزّ والرّفعة. وأعداؤه من أعرض عن أوليائه مستكبراً وأقبل على أعدائه مفتخراً، وآثر الدّنيا حرصاً ورفض العقبي سهاً وعادى الحقّ جهلاً واتبع الباطل كبراً. وقيل: صفة الأولياء الافتخار بالله والافتقار إلى الله والتوكّل على الله والتفويض إلى الله والسكون مع الله. وصفة الأعداء نسيان منّة الله والإعراض عن طاعة الله والغفلة عن ذكر الله والسخط عند قضاء الله والعدول عن حقّ الله والتكبر على أولياء الله.

وذكر صاحب كتاب الميزان: إنّ الفقر للأولياء كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم، وحبّ الله لذّتهم، وإلى الله حاجتهم، والله حافظهم والتّقوى بضاعتهم، ومع الله تجارتهم وعليه اعتمادهم، وبه أنسهم وعليه توكلّهم، والجوع طعامهم والزهد ثمارهم، وحسن الخلق لباسهم وطلاقة الوجه حليتهم، وسخاوة النّفس حرفتهم وحسن المعاشرة صحبتهم، والعلم قائدتهم والصبر سائقهم، والورع زادهم والهدى مركبهم، والقرآن حديثهم والشكر زينتهم، والذكر نهمتهم^١ والرّضا راحتهم والقناعة مالهم والعبادة كسبهم، والشيطان عدوّهم والدّنيا مزابلهم، والحياء قميصهم

١. النّهمة: بلوغ الهمة والشّهوة في الشّيء.

والخوف سجنهم، والليل فكرتهم والنهار عبرتهم، والحكمة سيفهم والحق حارسهم، والحياة مرحلهم والموت منزلهم، والقبر حصنهم ويوم القيامة عيدهم، وفي ظل العرش مجلسهم والفردوس مسكنهم، والنبئون رفقاؤهم.

وذكر عن ذي النون بن إبراهيم المصري قال: بينا أنا سائر على شاطئ النيل إذ سمعت تغلظ^١ اليم وتلاطم الأمواج فهالني ذلك ورجعت إلى ورائي فإذا أنا بغلام قد نحل جسمه ودق عظمه ورق جلده وقد أتزر بمئزر الحياء وتوشح بوشاح المراقبة، وإذا بيده عكازة عليها مكتوب:

من كانت همته الدنيا ليعمرها فسوف يوماً على رغم يخلها
لا دار بعد الموت يسكنها إلا لمن كان قبل الموت بانها
فإن بناها بخير كان مغتبطاً وإن بناها بشر خاب بانها^٢

فقلت: السلام عليك يا أبا عبد الله. قال: وعليك السلام يا ذا النون المصري. قلت له: حبيبي من أين عرفنتي ولم ترني ولم أرك؟ قال لي: يا بطال عرفت روحي لروحك بفسخ رتق عميق أنس المحبة فخرقت المحبة عمق آفاق أحداق القلوب فعرفتك بمعرفة الجبار. فعلمت أن الغلام حكيم، فقلت له: متى يستوجب العبد الولاية؟ قال: إذا نثر عليه ثوب العناية وقدر بسيف الكفاية وعقد له رايات بنور تلك الهداية، فيالها من ولاية ما أهناها من ولاية. ثم ولي عني وأنشأ يقول:

حبّ عبداً بحبّ مولاه إذا خلا بالجليل لباه
قد كشف الحجب عن بواطنه فنور مولاه قد تغشاه
قد ادعى حبه فأحزنه كفى بذى العبد صدق دعواه

١. تغلظ البحر: علت أمواجه واشتدت.

٢. وفي الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت إن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التي كان قبل الموت بانها
فإن بناها بخير طاب مسكنها وإن بناها بشر خاب بانها

إلى آخر الأبيات، انظر الديوان المنسوب إليه وكتاب أنوار العقول من أشعار وصي الرسول للكيدر.

يقول يا غايتي ويا أملي ما خاب عبد تكون مولا
وللأولياء درجات: أولها التوكّل على الله، ثم الرّضا بما صنع، ثم الشّكر بما أنعم، ثم
الإخلاص بما أمر في أوقاته وحدوده، ثم مشاهدته فيه.

وقيل: وليّ الله صدره مشروح، وبدنه مطروح، وهواه مذبوح.
ووليّ الله من والى وليّه وعادى عدوّه، ولا يواليه إلا بعد النّظر الثّاقب بعين
الإنصاف في كتابه المنزل على نبيّه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^١ فإذا نظر في الكتاب وعرف الوليّ من العدوّ
والإله استحقّ الولاية من الله والبشرى في الدّنيا والآخرة.

قال الله عزّ ذكره: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ
البشرى في الحياة الدّنيا وفي الآخرة﴾ قيل: الرّؤيا الصّالحة يراها العبد أو ترى له. وقيل: هي
البشارات التي في القرآن وما يبشّرهم الملائك به عند قبض أرواحهم وتجيّبهم به في
القيامة إلى أن يدخلوا الجنّة آمنين مكرّمين في مقاعد الصّدق ﴿لا تبدل لكلمات الله﴾
يقول: لا تغيير لحكمه ولا خلف لمواعيده ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾^٢.

فينبغي للعبد أن يصل ولايته بولاية وليّ الأمر الذي هو الوساطة بين الرّسول والأمة
والمفرع في الأحكام والشّريعة، وولاية وليّ الأمر بولاية الرّسول الذي هو صاحب
الشّريعة وسيد البرية وعمود الدّين، وولاية الرّسول بولاية الله الذي هو المعبود على
الأحوال والمقصود في الآمال، فإذا اتّصلت الولايات ظهرت العنايات وحسنت
الرّعايات وتمّت الكرامات، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ﴾ يعني ظلمات السّبب إلى نور الأدلّة. وقال بعض المحقّقين: ظلمات الأنانيّة إلى
نور الوحدة ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطّاغوت يخرجونهم من النّور إلى الظّلمات﴾ يعني من نور
الأدلّة إلى ظلمات السّبب بالأباطيل المزخرفة ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾^٣.

١. المائدة: ٥٥.

٢. يونس: ٦٢.

٣. البقرة: ٢٥٧.

ذكر دار المحنة

قال الحافظ:

الدار داران:

دار صفوة وجزاء، وهي الآخرة التي هي مجمع الأولين والآخرين، فيها تزول محن الأخيار وتظهر حقائق الأسرار وتبلى سرائر الأخبار وتحصل ضمائر القلوب وتدرك بواطن الغيوب.

و دار المحنة، وهي الدار التي جعلت أولها بكاءً وأوسطها عناءً وآخرها فناءً، ميسورها مع معسور وسرورها ممزوج بغرور، لا تخلو حجة من شبهة ولا صحة من سقم، حقوقها رصد وعيشها نكد وبؤسها لازم، فيها محن المؤمنين ومهل الكافرين ووحشة المرئدين، ومنها زاد المطيعين، صفتها البين و نعتها الحين.

و ذكر عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يذم الدنيا فأظن في ذمها، فصرخ به علي عليه السلام فقال: أيها الدائم للدنيا، أنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك؟ فقال الرجل: لا بل أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين. فقال: ويحك فبم تذمه؟ أليست بدار صدق لمن صدقها و¹ دار عناء لمن تزود منها و دار عافية لمن فهم عنها، هي مسجد أحبباء الله و مهبط وحيه و مصلى أنبيائه و متجر أوليائه، اكتسبوا فيها الراحة و ربحوا فيها الجنة. فمن ذا يذمها و قد أذنت بانقطاعها و نادت ببينها

١. في الأصل: أو دار.

وَنَعَتْ^١ نفسها وأهلها، فمثلت ببلائها البلاء وشوقت بسرورها إلى السرور وراحت بفجيعة وابتكرت بعافية تحذيراً وترغيباً، فذمها أقوام غداة الندامة وذكّرتهم فلم يذكروا وحدثتهم فلم يصدّقوا وحذّرتهم فلم يحذروا، وحمدتها آخرون حدثتهم فصدّقوا وذكّرتهم فتذكروا وحذّرتهم فخافوا.

فأيها الدّامُ للدّنيا المغتتر بتغيرها المتخدّع بباطل آمالها، متى استدمت إليك أو متى غزّتك؟ أممصارع آبائك من الثرى أم بمضاجع أمهاتك من البلى أم بطوارق النّعي من إخوانك أم ببواكي الصّريع من أحبائك؟ كم علّلت بيديك وكم مرضت بكفّيك تبغي له الشّفاء وتستوصف له الأطباء لم تنجح له بطلبتك ولم تدفع عنه باستقامتك، مثلت لك^٢ الدّنيا مصرعه بمصرعك ومضجعه بمضجعك، هيهات حين لا يغني عنك بكاؤك ولا ينفعك أحبّاؤك^٣.

قال الله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء﴾ يعني أنّ صفة الحياة الدّنيا كمطر نزلت من السّماء أيام الرّبيع ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ يعني بالماء ﴿مما يأكل الناس﴾ مثل الحنطة وما يعيش به بنو آدم ﴿والأنعام﴾ مثل التبن والشّعير وما جعل غذاء لهم ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني زينتها عند ظهور النّبت ﴿وازيّنت﴾ يعني وتزيّنت بألوان الحسن ﴿وظنّ أهلها﴾ يعني الأرباب ﴿أنهم قادرون عليها﴾ يعني على تحصيل منافعها ﴿أناها أمرنا﴾ بالإهلاك ﴿ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾ يعني ذاهباً زائلاً ﴿كان لم تغن بالأمس﴾ إذا جرى عليها حكم الفناء والزوال ﴿كذلك فضل الآيات لقوم يتفكّرون﴾^٤ يقول: كما بيّنا هذا المثل المضروب يتبيّن الدلائل على فناء الدّنيا لمن تفكّر فيها وأبصرها.

١. في الأصل: تغزّت.

٢. في الأصل: له.

٣. راجع نهج البلاغة خ ١٣١ والبيان والتبيين: ٢١٩/٢ وتاريخ يعقوبي: ٢٠٨/٢ والإرشاد للمفيد: ١٤١ وانظر مصادر نهج البلاغة ١١٨/٤ واختلاف ما نقله المؤلف مع ما نقل في هذه الكتب يدل على أن مصدر مؤلفنا

غير تلك المصادر.

٤. يونس: ٢٤.

فأيّ دار أكثر محنة وأعظم مصيبة من دار لا يسكن أهلها على حالة إلا ويرد عليه ما يكدرها وينقصها، غناؤها بلاء و بناؤها خراب و صاحبها متعوب و طالبها مكروب و ملكها هلك و وصلها فصل و نوالها زوال و نيلها ويل [و] قربها بعد و طربها كرب و فرحها قرح و عزّها ذلّ و صحتّها سقم و شبابها هرم و حبرتها^١ حسرة و نعمتها شدة و صفوها كدر و حلوها مرّ، و ابن آدم منها على خطر؛ إمّا زوال نعمة أو حلول نقمة أو نزول بليّة. محنها أكثر من نبات الأرض و مصائبها أعظم من الجبال الرواسي، لا يغترّ بها إلا الجهّال و لا يركن إليها إلا الرذال، متاعها عارية و لذتها فانية و أنفاسها معدودة. هي كما قال الله تعالى في التّوراة: يا ابن آدم، القصر الذي بنيته للخراب، و عمرك عارية و جسدك للردى و الدّيدان، و مالك الذي جمعت للورثة و الأكل و المهناً لغيرك و العرض و الحساب عليك و الحسرة و الندامة لك، و صاحبك في القبر العمل الصّالح و الشرّ^٢.

و قد قال في القرآن ما فيه عبرة لأولي الأبصار و عظة لذوي الأنوار: «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً و من أراد الآخرة و سعى لها سعيها و هو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً»^٣.

فالعاقل عاجز عن وصف عيوبها و ذكر محنها، فليس له إلا الإعراض عنها و الاستخفاف بها و رفض أسبابها، فإنّ عاقبتها الفوت و غايتها الموت.

١. كذا. والخبرة: السرور و النعمة و كلّ نعمة حسنة.

٢. في الأصل: الستر.

٣. الإسراء: ١٩ - ١٨.

ذكر المحنة

قال الحافظ:

المحنة ما يمتحن به العبد من سلب مالٍ أو موت ولد أو شدة مرض أو حلول زمانة أو فقد أنيس، وغير ذلك ممَّا يؤجر عليه ويعوِّض عنه، وذلك لأغراض شتى: إما لتقييد عن الإقدام على غير الواجب والوقوع في بليّة. وإما لتطهير من زلل مضت وذنوب سلفت. وإما لتنبيه من غفلة. وإما لتعظيم نعمة. وإما لتفضيل على الجنس. وإما لتعويض الأفضل من الحالة الأولى. وإما لزيادة درجة. وإما لتحقيق دعوى، أو لتعريف النفس فرط التّقصير.

قال الله تعالى يعاتب أصحاب المصطفى ﷺ لما ضجروا تحت أنقال المحن: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يقول: أظننتم أن تستحقّوا الثواب الأعظم وتصلوا إلى الجنّة الدائمة وتنزلوا الدرجات العلى ولم تصبكم شدائد المحن مثل الذي أصاب من تقدّمكم من الأمم السالفة. ثمّ أبان عنها بما يكشف عن حقائقها، فقال: ﴿مَسْتَهْمِ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ والبأساء الفقر، وهو شعار الأحرار. والضراء المرض، وهو محنة الأخيار ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ يعني وحركوا بأنواع البلايا والمحن ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾

المبعوث إليهم ﴿والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ بالإخلاص استعجالاً للفرج وانتظاراً له ﴿مَنْ نَصَرَ اللَّهَ﴾ على سبيل الاستخبار من الملائكة وهو خطرة خطيرة على قلوبهم حكى الله ذلك عنهم على سبيل القول، فأوحى الله إلى الرّسل. أو هو كلام مبتدأ في الكتاب المنزل على سيّد الرّسل ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^١ لمن صبر على المحن وقاسى البلايا واستسلم لواردات المشيئة بصدق اليقين.

وقال يخبر عمّا خطر على القلوب عند شدّة الامتحان: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ الرّسُلَ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنَجَّىٰ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يَرَىٰ بِأُسْنَاهِمْ الْقَوْمَ الْمَجْرِمِينَ﴾^٢. يقول: كادت الرّسل أن يياسوا تحت أمواج المحن من إهلاك أعدائهم وتوهم القوم أن الوعد بالنصر كاذب وتحققت الرّسل التّكذيب منهم، فتحقّق الوعد وظهر النّصر ونجّى المؤمنون الممتحنون ولم يتأخّر العقوبة عن المستوجبين للهلاك.

وقال عزّ من قائل: ﴿الم، أَحْسَبَ النَّاسَ أَن يَتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يعني أظنّ النّاس أن يعافوا من البلايا والمحن بعد إظهارهم دعوى الإيمان ولا يمتحنون بعضهم التّوازل ونوائب الحدّثان؟! ثمّ بيّن غرض الامتحان فإنّ المحنة لم تزل جارية في الأيام والأزمان، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^٣ يقول: امتحناً المتقدّمين قبلكم لتبيين الصادقين وإظهار الكاذبين.

وقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَعْبَارَكُمْ﴾^٤ ولنختبرنكم بشدائد المحن حتّى يتميّز الصادقين في الجهاد منكم والصّابرين على البلايا ويظهر أخباركم لمن بعدكم ويطلع على أسراركم من شاهدكم.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إذا أحبّ الله عبداً ضرب وجهه بالبلايا كما

١. البقرة: ٢١٤.

٢. يوسف: ١١٠.

٣. العنكبوت: ٢.

٤. محمّد ﷺ: ١٣١.

تضرب الغربية من الإبل عن حياض الماء، فيكون صوته مرحوماً في أهل السماء.
و ذكر عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله إذا أبغض عبداً بعث إليه ملكاً فقال: اترفه و صححه و ظاهر عليه النعم، فإنني أبغضه و أبغض صوته و أبغض أن يسألني أو يدعوني. و إذا أحب عبداً بعث إليه ملكاً فقال: شدد عليه البلايا و تابع عليه المصيبات فإنني أحبه و أحب صوته و أحب أن يسألني و يدعوني^١.

و صح في المأثور عنه عليه السلام أنه قال: إن أشدّ البلايا في الدنيا للأنبياء ثم الأمثل فالأمثل حتى أن الرّجل ليتلى على حسب دينه، فإن كان في دينه صلب ابتلي على حسب ذلك و إن كان في دينه رقة ابتلي على حسب ذلك^٢.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: القتل و الفاقة أسرع إلى شيعتي من ركض البراذين.

[و] قال: من أحبني فليعدّ عدّة للبلاء^٣.

و كان أمير المؤمنين عليه السلام محنة هذه الأمة من وجهين في الدين و النسب.
أما الدين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق، فلو نثرت الدرّ على المنافق ما أحبّك، و لو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك^٤.

و أما النسب، فما رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا علي، لا يبغضك من الرّجال إلا دعوي، و لا من النساء إلا سلققي^٥، و لا من الأعراب إلا يهودي، و لا من العجم إلا سقّاح^٦.

و قد قال أبو بكر الصّدّيق لسيدة النّسوان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليها و أبيها

١. راجع كتاب المؤمن: ٢٦ و التمهيص: ٥٦.

٢. راجع سنن ابن ماجه: ١٣٣٤/٢ و سنن الترمذي: ٢٨٧٤.

٣. راجع مشكاة الأنوار: ٥٠٦ و التمهيص: ٣٠.

٤. راجع البحار: ٢٨٠/٣٩ و نهج البلاغة: ٤٥ من الكلمات القصار و بشاره المصطفى: ١٥٣ و ٢٧٢.

٥. السلققية: التي تحيض من دُبرها، و السليقة: المرأة السليطة الفاحشة.

٦. راجع علل الشرائع: ١٤٣/١ و مناقب آل أبي طالب: ١٠٢/٢ و شواهد التنزيل: ٤٤٨/١.

و بعلمها و بنيتها: لا يحبكم إلا عظيم السعادة، و لا يبغضكم إلا ردي الولادة^١.
 فحب العترة الطاهرة محبة إمامة المرتضى، و حب المرتضى محبة نبوة المصطفى،
 و حب المصطفى محبة شرائط التوحيد.
 و قد قيل: البلوى محنة الدعوى، فإذا اشتغل العبد بالدعوى اضطرب عليه المعنى
 لأن الدعوى حجاب المعنى.

و ذكر عن جنيد بن محمد قال: الدعوى محنة و المعنى راحة. من تفكر في بر
 المعبود هانت عليه خدمته. إذا جاء أمر الله و أمر رسوله فقد خرج من باب التفويض،
 إنما التفويض في الإباحات. حسن الظن بالله من صنعة الأبرار. ليس للعارف إلا غم
 واحد، و العالم في شغل شاغل. المرید يعبد على الرجاء و العارف على الرضا و العالم
 على الحياء، و هو في وجع شديد الله أعلم بحاله. كتمان الحاجة من كنوز البر و يورث
 التوكل و القناعة و اليقين و أشباه ذلك.

و قيل: جفت الأقلام بعسر الأحرار، و جرت المقادير بمحنة الأخيار.
 و قيل: المحنة جوهرة الخبرة؛ تظهر الدفائن و تبرز الكوامن، و تحتها مرأتان: مرأة
 تُري الجاهل جهله و ذلّه و حقارة نفسه، و مرأة تُري العالم تقصير عمله و نسيانه
 و عيوب نفسه.

و ذكروا عن جنيد بن محمد قال: ثلاثة مقرونة بثلاث: الفتنة مقرونة بالتمني،
 و المحنة مقرونة بالاختبار^٢، و البلوى مقرونة بالدعوى.

و أصل المحنة عند الحكماء: ورود الشبه على الخواطر و وساوس الشيطان و دعوة
 الهوى و هيجان الشهوات و غلبة الأعداء على الأولياء دون الأشرار و التباس الآثار
 و راحة الجاهل و تعب الحكيم و أشكالها مما يدانيها و صفاً و حكماً.
 و المحنة و البلية و الامتحان و الابتلاء و الممتحن و المبتلى واحد، و إن الله تعالى

١. راجع البحار: ٢٩/٢٣٠ و مناقب الخوارزمي: ٢٩٧.

٢. في الأصل: بالاختيار.

جعل تعظيم المصطفى ﷺ [و] التسليم لحكمه و النزول عند أمره دلالة المخلصين وأعلام الصادقين، و آثار المتقين، فقال عز ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْضُونَ أصواتهم عند رسول الله﴾ إجلالاً لحقه وإعظاماً لأمره ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ يعني أخلص قلوبهم لحقائق ما فيه التقوى و لزوم ما هو شروط الأتقياء ﴿لهم مغفرة﴾ لذنوبهم في الدنيا ﴿وأجر عظيم﴾^١ في العقبى.

فعلى العبد أن يقابل المحن بالصبر و التسليم حتى تنقضي أيامها، فإنها إذا أقبلت^٢ أعيت الحيل دونها.

و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لكل أمر من الأمور نهاية، فمعالجته قبل نهايته زيادة في المحنة.

و قد قال الصادق سلام الله على ذكره: الممتحن كالمتوخل، كلما ارتاد تخلصاً ازداد توخلاً^٣.

وليس من آثار العقلاء دفع المحن بالحيل الباطلة، فإن أسباب القضايا إذا وردت من قاضيتها العادل الحكيم استسلم لها العبد المنيب و فوض الأمر إليه العالم الأريب [و] خضع لحكمه الفاضل النجيب إيقاناً بالثواب العظيم و طلباً للأجر الكريم و أسوة بالعبد الحكيم و يعتبر بما جرى على الأنبياء و المرسلين و الأوصياء الصديقين لاسيما على سيد الأولين و الآخرين أولاً من موت الأبوين^٤ و ابتلائه بالغبرة و تحمله أثقال النبوة مع قلة عدده و ضعف شوخته و حبسه في الشعب و استتاره عن أعدائه و إخفائه الدعوة النبوية أعواماً من وحيه و مفارقتة الأوطان على كبر سنّه و منابذته الأقرباء إظهاراً لدينه و مبارزته العظماء إعلاناً لدعوته و تقريبه الفقراء و ترحيبه بالصّعفاء أسوة بإخوانه من

١. الحجرات: ٣.

٢. في الأصل: انقلبت.

٣. وفي شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٩١/٢٠: الممتحن كالمختنق، كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً.

٤. في الأصل: أبويه الأبوين.

الرَّسَل وإيثاره الأبعدين على صحبة الأقربين ابتغاءً لرضا الله واثماراً لأمره مع سائر محنه التي لا تحصى بذكره. وما جرى على [سيد] الأوصياء من نكث بيعته وبخس حقّه و منع الزّهاء إرث أبيها بحضرتة واستبداد القوم بأيّاتهم^١ دون مشورته و قتل ابن ملجم في صلّاته. ويتعظ بما أصاب المسموم المرحوم و الشّهيد المظلوم سبّطي المصطفى و شبلي المرتضى، و ما امتحن به العترة الطّاهرة و الذرّيّة الهاديّة من الطّرد و التّبعيد و الحبس و التّقييد و الضّرب و التّشديد^٢ و القتل و الصّلب و الحرق و السّبي، و يأبى الله إلا أن يظهر دينه و يُعلي كلمته و ينصر أوليائه و يخذل أعداءه، فعن قريب ينخّل الدّار عن الظّالمين و يجعل اللعنة على الفاسقين، و يورث الأرض عباده الصّالحين، إنّ في هذا لبلاغاً لقوم عابدين، و لله الحجّة البالغة على العالمين، و ما عند الله خير للمتّقين.

١. كذا، ولعلّ الصّحيح: بأرائهم.

٢. ولعلّ الصّحيح: التّشريد.

ذکر الدّولة

قال الحافظ:

الدّولة على وجهين: دولة الحقّ ودولة الباطل.

فدولة الحقّ غلبة الأبرار على الفجّار وظهور العدل وخمود الجور وإحياء السنن وإماتة البدع وعزّ العلماء وذلّ الجهّال وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وفي دولة الباطل قهر الأبرار وقوّة الفجّار وإظهار الجور وإطفاء العدل وإماتة السنن وإحياء البدع وتبديل الأحكام وتعطيل الحدود وذلّ العلماء وعزّ الجهّال وترك المعروف وارتكاب المنكر.

وقيل: للباطل صولة، وليس له دولة.

فالأيّام دول، قال الله تعالى: ﴿وَتلك الأيّام نداولها بين الناس﴾^١.

وقيل: صاحب الدّولة بالغ غايته، فمن ساءه فليصبر.

وقيل: الدّنيا دول، فما كان منها لك أذاك على ضعفك، وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك والشّماتة يعقّب.

وقيل: عند اختلاف الدّول تظهر اخطار الرّجال.

واعلم أنّ دولة آل إبراهيم عليه السلام ظهرت بالصدّيق يوسف عليه السلام واستقامت بالكليم عليه السلام

و تَمَّتْ بِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَيَّامِهِ عَزَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَاسْتَقَامَتْ أَسْبَابُهُمْ، وَدَوْلَةُ آلِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَقِيمُ بِظُهُورِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةٌ أَكْبَرُ مِنْ دَوْلَتِهِ، فَإِنَّ فِيهَا تَصْدِيقَ النَّبَوَاتِ وَ تَحْقِيقَ الرِّسَالَاتِ وَ ظُهُورَ الْبَرَكَاتِ وَ تَمَامَ الْبَشَارَاتِ وَ عَلَوَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَ صَعُودَ الدَّعْوَةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الْمَلَكُوتِ وَ هَلَكَ الظَّالِمِينَ وَ فَرِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سُرُورَ الْمُتَّقِينَ وَ عِيدَ الْمُطِيعِينَ وَ نَصَبَ أَعْلَامَ الْهُدَى وَ نَكَسَ أَعْلَامَ الضَّلَالَةِ وَ عَقَدَ رَايَاتِ الْحَقِّ لِأَرْبَابِهِ وَ تَشْرِيفَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَ تَزْيِينَ الْحَرَمِ الْمَشْهُورِ وَ إِظْهَارَ النُّورِ الْمَسْتُورِ وَ انْطِلَاقَ أَلْسِنَةِ الْحِكْمَةِ وَ انْفِتَاحَ عَيُونِ الْاِعْتِبَارِ وَ كَشَفَ شِبْهَ الْقُلُوبِ وَ ثَبُوتَ أَقْدَامِ الصِّدْقِ وَ إِشْرَاقَ الْأَرْضِ بِنُورِ الْعَدْلِ وَ تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى أَهْلِ الْفَضْلِ وَ أَمْنِ أَرْبَابِ النِّعَمِ وَ مَوْتِ إِبْلِيسَ الْبَلْعِينَ وَ انْهَازَ جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَ انْتِهَاءَ دَعْوَةِ الْخَلِيلِ وَ كَمَالَ شَرَفِ الْحَبِيبِ.

وَ هِيَهَاتَ لَوْ شَاهَدْتَهُ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَجِيبًا وَ عَبْدًا مَنِيبًا وَ أَيَّامًا نَاضِرَةً وَ وَجُوهًا زَاهِرَةً وَ أَنْوَارًا بَاهِرَةً، عَلَيْهِ سِيَمَاءُ الْأَنْبِيَاءِ وَ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَ شَرَفُ الْخُلَفَاءِ وَ نُورُ الْأَوْصِيَاءِ، شَبِيهَ الْمُصْطَفَى خَلْقًا وَ خُلُقًا وَ عَدِيلَ الْمَرْتَضَى فَهَمًّا وَ عِلْمًا، عَيْنَاهُ تَشْبَهُ عَيْنِي فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ دَرَعُ رَسُولِ اللَّهِ وَ مَعَهُ سِرْجُهُ وَ قَضِيْبُهُ وَ رِدَاؤُهُ وَ عِمَامَتُهُ وَ عَصَا مُوسَى وَ خَاتَمَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسِيرُ أَمَامَهُ التَّابُوتُ، وَ الْخَضِرُ عَنِ يَمِينِهِ وَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ يَسَارِهِ وَ الْمَسِيحُ يَحَارِبُ عَنْهُ بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَ جِبْرِئِيلُ يَسُدُّهُ وَ مِيكَائِيلُ يُؤَيِّدُهُ، ابْنُ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ وَ ابْنُ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَ ابْنُ سَيِّدَةِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنْ نَسْلِ الْأَكْرَمِينَ وَ فِرْعَ الْأَطْهَرِينَ وَ الْقَائِمِ بِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^١.
يَقُولُ: كَتَبْنَا فِي كِتَابِ دَاوُدَ مِنْ بَعْدِ التَّوْرَةِ أَنَّ الْأَرْضَ يَمْلِكُهَا أَصْحَابُ الْقَائِمِ، وَ هُمُ الصَّالِحُونَ فِي الدِّينِ وَ الْمَشْفِقُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

وإنه تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: [يا] داود بي فافرح وذكري فستنعم، فعن قريب
 أخلّي الدار عن الظالمين و أجعل لعنتي على الفاسقين^١.
 وذلك عند أهل التحقيق في دولة المهدي خاتم الخلفاء و بشرى الأنبياء عليهم السلام.
 ولقد قلت في بعض كلامي: أصل الدولة استقامة الأسباب و انفتاح الأبواب و قهر
 الأعداء و نصر الأولياء و وجود المُنَى و مساعدة الأنام^٢ بعد جري الأقالام.
 و اغتنم دولتك فإنها رياح تهبّ أياماً و تسكن أعواماً، و ربّما تساعد سخيلاً
 و تخالف شريفاً لا اعتماد عليها و لا ثقة بها، فإنها عن قريب تزول إمّا بالفوت أو
 بالموت.

١. راجع الأمالي للصدوق: ٢٦٤ و روضة الواعظين: ٤٦١.

٢. كذا، ولعلّ الصحيح: الأيام.

ذكر الرزق وسببه

قال الحافظ:

الرزق اسم المنافع التي بها بقاء الأشباح وقوة الأرواح، وربما ضاق على العاقل واتسع على الجاهل، وهو في خزائن الغيب يصل إلى العبد كما سبق في التقدير، فالأشباح غذاها وبقاؤها بالمطاعم والمشارب والأرواح قوتها بالعلوم والحكم. وقد قال بعض الحكماء: وجدت الحكمة ربيع الأرواح والأطعمة ربيع الأشباح، بل الحكمة أسرع في قوة الأرواح من الأطعمة في قوة الأشباح.

وإن الله تعالى ذكر أربعة أشياء في كتابه لا يمكن واحداً من الخلق أن يزيد في ثلاثة منها أو ينقص، وهي الخلق والرزق والإحياء والإماتة. قال الله عز ذكره: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ سِجَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^١ فلما عجز الخلق عن الزيادة في الثلاث المذكور في الآية فهم على الزيادة في الرابعة، وهو الرزق المقرون بالخلق.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ قال: لو أن إنساناً هرب من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت.^٢

وقال: الرزق مقسوم مفروغ وهو يأتي ابن آدم على أي سيرة سارها، ليس بتقوى

١. الزوم: ٤٠.

٢. راجع علل الشرائع: ٤١٧/٢ و عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٥/٢ و كنز العمال: ١٣٠/١.

المتقي بزائد ولا بفجور فاجر بناقص^١.

وقال الله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله﴾ يعني ضرورة ﴿فقل أفلا تتقون﴾^٢. إضافة الأسباب والأرزاق إلى رزقها ومسببها

أزمهم الحجة بما خرج عن قدرتهم^٣ و قرن به الرزق و ابتدأ بذكره عند التقرير.

وقال عز ذكره: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو﴾ يعني لا خالق ولا رازق على الحقيقة إلا هو ﴿فأنتى توفكون﴾^٤ يعني من أين تصرفون عن باب الخالق و خزائن الرزاق؟

وإن الله خلق الخلق للعبادة و ضمن أرزاقهم فضيّعوا ما أمرهم به و كلفوا ما وضعه عنهم و تعبوا في طلبه جهلاً منهم بالأسباب و شكاً في الأقدار، فقال عز من قائل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾^٥.

وقال تعالى ما فيه كفاية للعقلاء و دلالة للحكماء و تذكرة للبصراء: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها و يعلم مستقرها و مستودعها﴾ فمستقرها في الأرحام و مستودعها في الأصلاب. و قيل: مستقرها حيث تأوي إليها بالليل، و مستودعها حيث تموت و تدفن ﴿كل في كتاب مبين﴾^٦.

وقال عز جلاله ما فيه تسكين القلوب المضطربة: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في

١. راجع البحار: ٢٧٥/٢٦ و مستدرك الوسائل: ٣١/١٣ و علل الشرائع: ٤١٧/٢ و عيون أخبار الرضا عليه السلام:

٢٥٥/٢.

٢. يونس: ٣١.

٣. في الأصل: قدرهم.

٤. فاطر: ٣.

٥. الذاريات: ٥٨.

٦. هود: ٦.

الأرض ﴿ يقول: لو أعطوا ما تمنّوا و جدوا ما أرادوا الطلبوا ما ليس لهم ﴾ ولكن ينزل بقدر ما يشاء ﴿ في الأوقات على حسب المصالح ﴾ إته بعباده خبير بصير ﴿^١.

و الرزق على وجهين: عاجل و آجل .

أما العاجل، فالدنيا و أقسامها يشترك فيها البرّ و الفاجر و يأكل فيها المؤمن و الكافر لأنّها أغراض زائلة و أسباب فانية .

و أما الآجل، فهي خالصة للمؤمنين يوم القيامة لا يجدها إلا المخلصون و لا ينالها إلا المتّقون، قال الله تعالى: ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾^٢ يعني الجنة. و قيل: هو القوت الحلال.

فالعاقل اللبيب لا يتعب نفسه في طلب موضوع عنه غير موكول إليه و لا مأمور به و هو في عيبة^٣ مسدود بابه لا يقف عليه إلا بعد ظهوره.

و قد قال الصادق عليه السلام: ما أجمل في الطلب من ركب البحر^٤.

و ذكر عن الحسن البصري قال: لا تجاهد الطلب جهاد المغالب و لا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإنّ ابتغاء الفضل من السنّة و الإجمال في الطلب من العفة، فإنّ العفة ليست بدافعة رزقاً و الحرص ليس بجالب فضلاً، و لكنّ الرزق مقسوم. و في استعمال الحرص اكتساب المآثم، فأرزاق الدنيا لا تجري على الاستحقاق لكنّها تجري على الامتحان، فلربما ترى مسعوداً في الدين مكدوداً في الرزق، و كثيراً ما ترى محدوداً في الدين مجدوداً في الرزق، و ذلك لأنّ الدنيا قناطر جعلت للعبور و بنيت للارتحال و دول قرنت بالزوال، و العاقل لا يركن إليها و لا يطمئنّ بها و لا يطلبها إلا من وجهها، فإنّ حلالها و إن قلّ أفضل عنده من الحرام و إن كثر، و لا يهتّم لرزق غده و لا يضيّع مفروضاً في طلبه.

١. السورى: ٢٧.

٢. طه: ١٣١.

٣. في الأصل: غيبة.

٤. الكافي: ٢٥٦٥ و الفقيه: ٤٦٠/١.

فقد قيل: اهتمامك للرزق يذهلك عن الحقّ و يلجئك إلى الخلق .
 وأفضل الأرزاق ما قلّ تبعه و خفّ حسابه و أخرج حقّ الله منه إلى العبد عفواً. قال
 الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾^١.
 وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: أبى الله أن يجعل أرزاق المتقين إلا من حيث لا
 يحسبون^٢.

و من دعاء الصالحين في الرزق: اللهم سببه لي حلالاً و اكفني مؤونته، و أعني على
 أداء شكره.

و سبب الأرزاق قسمة القسّام و جري الأقلام و حكم المشيئة و سبق القضية
 و حضور الوقت.

و كان من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في الرزق: اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء
 الصبر^٣ و في آجالنا بطول الأمل حتى التمسنا أرزاقنا من عند المرتزقين و طمعنا بآمالنا
 في أعمار المعمرين، فهب لنا يقيناً صادقاً تكفيننا به مؤونة الطلب و ألهمنا ثقة خالصة
 تعفيننا به شدة النصب، و اجعل ما صرحت به من عدتك في وحيك و أتبعته من قسّمك
 في كتابك قطعاً لاهتمامنا بالرزق الذي تكفّلت به و حسماً للاشتغال بما ضمنت الكفاية
 له، فقلت و قولك الأصدق و أقسمت و قسّمك ليس إلا و في: ﴿وفي السماء رزقكم
 و ما توعدون فورب السماء و الأرض إنه لحقّ مثل ما أنكم تنطقون﴾^٤.

١. الطلاق: ٣.

٢. الكافي: ٨٣/٥ و الأمالي للطوسي: ٣٠٠ و عذّة الداعي: ٨٤ و قصص الأنبياء للزاوندي: ٢٣١.

٣. في الصحيفة السجّادية: بسوء الظنّ.

٤. الآية في سورة الذّاريات: ٢٢ و الدّعاء هو الدعاء ٢٩ من الصحيفة السجّادية مع تلخيص و تفاوت يسير.

ذكر التوكّل والتفويض والتسليم

قال الحافظ:

التوكّل دأب الأنبياء وسرائر الأولياء و آثار الأصفياء، به استقام المرید علی باب ربّه و رقی المدارج إلى قرب سيده و عبر القناطر إلى جوار مولاه و فاز بحظّه في أولاه و أخره و ظفر ببغيته في مبدئه و منتهاه.

و التوكّل علی وجهين: توكّل المؤمنین، و هو عامّ لمن شمل اسم الإيمان. قال الله عزّ ذكره: ﴿و علی الله فليتوكّل المؤمنون﴾^١ و توكّل المتوكّلين، و هو لمن بلغ النّهاية و شاهد الملكوت و اطّلع علی المغيبات. قال الله يحكي قول الرّسل صلوات الله عليهم: ﴿وما لنا ألا نتوكّل علی الله و قد هدانا سبيلنا ولنصبرنّ علی ما أذنبونا﴾ بأنواع البليّة ﴿و علی الله فليتوكّل المتوكّلون﴾^٢.

و فيما يؤثّر عن رسول الله ﷺ: لو اتكلمت علی الله حقّ توكّله لأكلتم رعداً غير زراعين و لا أشقياء^٣.

و قال أبی و أمي ﷺ: من توكّل و قنع و رضي، كفي الطّلب^٤.

١. آل عمران: ١٦٠.

٢. إبراهيم: ١٢.

٣. راجع الجامع الصّغير: ١٧/٢ و المعجم الكبير: ٢٠٩/٨.

٤. راجع الجعفریات: ٤٢٤ و مستدرک الوسائل: ٢٣١/١٥ و الدّر المنثور: ٢٣٤/٦.

و اختلفوا في حقيقة التوكّل ومعناه، فسئل أبو هاشم بن أبي عليّ الجبائي^١ عن التوكّل، قال: الايتمار بما أمر والثقة بما وعد.

وقال جنيد بن محمد: التوكّل اعتماد جواهر القلوب على الله بإزالة الأطماع عمّا سواه.

وسئل بعضهم فقال: استعمال السبب مع ترك الاختيار.

وسألت مشايخ الصوفية عنه، فقالوا: الأخذ عن الله والسكون تحت الحكم.

وأصله عندي ذكر وفاء الضمان، وهو أن يذكر بقلبه أن الله يفي للعبد ما ضمن له من المصلحة طلب أو لم يطلب، عمل أو لم يعمل، ملك أو لم يملك، وليس للمؤمن أن يتوكّل على ضيعة عامرة أو غلة ثمرة أو كنز مدخر أو أب شفيق أو صديق حميم أو سلطان قاهر أو غني كريم، فإن الأشياء ومالكها تحت أسباب العجز تهبّ عليهم رياح الفناء [و] تضربهم أمواج البلاء^٢ أما الأحياء فعقباهم الموت وأما الأموال فغايتها الفوت، فعار للمريدين التوكّل على شيء سوى المعبود الذي بيده مفاتيح الأقدار وخزائن الأرزاق وأسباب القضاء، قال الله تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾^٣ عزّفه بطلان الثقة بمن دونه.

وقال عزّ من قائل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يقول: فإن أعرضوا عن قبول ما جئت به ﴿فقل حسبي الله﴾ يعني ثقني بالله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود على الاستحقاق ولا مفرع في الثنابات إلا هو ﴿عليه توكلت﴾ يعني على حفظه اعتمدت وبفضله وثقت ﴿وهو ربّ العرش العظيم﴾ ربّ الملك الكبير. فأمره عند إعراض الخلق عنه بالتوكّل على خالقه والثقة به والسكون إليه.

١. أبو هاشم وأبوه أبو عليّ الجبائيان من أكابر المعتزلة، مات الأب في سنة ٣٠٣ والابن في ٣٢١ للهجرة.

٢. في الأصل: البلايا.

٣. الفرقان: ٥٨.

٤. التوبة: ١٢٩.

وقيل: حسبك من التوكّل على الله إذا لم تطلب لنفسك ناصرًا غيره ولا لرزقك خازنًا غيره ولا على عملك شاهدًا غيره.

وقد أزال الله سلطان الشياطين عن المتوكّلين وقطع أطماعهم عن المؤمنين، فقال: ﴿إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون﴾^١.

ومن أشكال التوكّل التفويض، وهو ترك التدبير على المدبّر الحكيم.

وقيل: هو التبرّي عن الحول والقوّة^٢، وهو ترك الاختيار ليختار الحكيم ما هو أصلح للعبد وأولى به.

وقيل: فوّض الأمر إلى الله تسترح.

وقد دفع الله البلاء عن المفوض. قال الله يحكي قول العبد الصالح: ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾^٣.

ومن فوّض الأمر إلى سيّده ورضي باختياره وسكن مع حكمه، هبّت رياح النصر عليه، وألبسه سيّده لباس الوفاء ومدّه بكفاية الأصفياء، ونجا من كدورة اختياره وقطع مفاوز الصبر بنور اليقين واتكئ في بستان الرضا على سرر الدين، وأبصر بقلبه ما حُجب عن العالمين وسلم نفسه وملكه إلى مالك السماوات والأرضين، ولزم بأصمّ الفقر على بساط التسليم أخذًا بعنان الاضطرار يسبح في بحار الفضل بقوّة المتوكّلين ويرتع في رياض المجد على مراكب العناية، مُستظلًّا تحت أشجار اللطف، مُبصرًا أنوار الإفضال بسرج المفوضين.

وإذا بلغ هذه الرتبة فقد بلغ أقصى غاية المتوكّلين، وهو درجة التسليم مقام الخليل

١. النحل: ٩٩.

٢. وفي كلام أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه: التوكّل التبرّي من الحول والقوّة وانتظار ما يأتي به القدر. انظر عيون الحكم والمواعظ للواسطي: ٥٧.

٣. فاطر: ٤٠.

إبراهيم عليه السلام لما قال له ربه: «أسلم قال أسلمت لرب العالمين»^١ ولما ألقى في النار تمثل له الأمين فعرض عليه النصر، فسلم الكَلَّ إلى مبتدع الكَلِّ و سلم من محن الاختيار وسخر له النار.

وهو زينة الحبيب لما بلغ القوسين وجاوز الكونين وكشِفَ له أنوار الملكوت فاطَّلَعَ على أسباب الجبروت، سلم النفس إلى مبدعها والروح إلى منشئه ورأى بقلبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا لسان وصف ولا خطر على قلب بشر.

وغاية التسليم معاينة الاضطرار والخروج عن حدِّ الاختيار والنظر إلى النفس بعين الاحتقار ورؤية اللطف في ميدان الافتقار^٢ والتبري بالسّر من أسباب الاقتدار، فهناك يمدَّ بكفاية المتوكِّلين ونصرة المفوضين وبصائر أهل التسليم لرب العالمين.

١. البقرة: ١٣١.

٢. في الأصل: الافتقار.

ذكر الإخلاص

قال الحافظ:

الإخلاص سبب القبول، والقبول سبب الثواب، والثواب سبب القربة، وبه تقبل الأعمال وتحقق الآمال، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^١ وهو الإخلاص، هكذا روي عن ابن أبي عيينة^٢.

وقال عزّ من قائل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يعني من خاف المقام في الموقف^٣ الأعظم ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يعني خالصاً لا يشوبه رثاء ولا عجب ولا كبر ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^٤ يقول: ولا يُرائي بطاعة ربّه أحداً من الخلق.

وليس للعبد عمل أفضل من الإقرار بوحداية الله وإثبات ربوبيته وتصديق النبوة وتحقيق الرسالة [و] إذا لم يقرنها بالإخلاص كانت مردودة [و] صاحبها في أشدّ العقوبات وأسفل الدركات.

قال الله تعالى يصف من خالف باطنه ظاهره: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ يعني من الكفر ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ الفاسد من أحوالهم ﴿واعتصموا بالله﴾ يعني تمسكوا بدين الله بصدق الاعتقاد ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ ختم به الوصف إذ هو

١. فاطر: ١٠.

٢. راجع تفسير القمي: ٢٠٨/٢ والبحار: ٦٤/٦٩.

٣. في الأصل: المواقف.

٤. الكهف: ١١٠.

أشرف الأعمال ﴿فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾^١.
 و قد أمر الله بالإخلاص في غير موضع، فقال عزّ ذكره: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين ألا الله
 الدين الخالص﴾^٢.

وقال: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾^٣.
 وقال: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله﴾ يعني ليوحدوه ﴿مخلصين له الدين﴾ يعني مفردين له
 الدعوة ﴿حنفاء﴾ يعني خالصاء مائلين عن الأديان كلها إلى الإسلام ﴿ويقوموا الصلاة﴾ يعني
 يديمونها عقداً وقولاً وفعالاً ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ يعني يعطونها أربابها بطيبة النفس ﴿وذلك
 دين القيمة﴾^٤ يعني القائمين بالدين المتمسكين به الثابتين عليه.
 وفي المأثور عن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل: أخلص دينك لله، يكفك القليل من
 العمل^٥.

وقال فدته نفوس العالمين وعليه سلام المؤمنين: من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً
 دخل الجنة^٦.

وروي عن الحسن البصري عن رسول الله ﷺ قال: من أخلص العبادة لله أربعين
 صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^٧.
 وذكر عن ربيع بن أنس: علامة الدين الإخلاص لله، وعلامة العلم خشية الله،
 وعلامة حبّ الله كثرة ذكر الله، فإنك لا تحبّ شيئاً إلا وأكثرت ذكره، وعلامة الشكر
 التسليم لله.

١. النساء: ١٤٦.

٢. الزمر: ٢.

٣. الزمر: ١١.

٤. البيئنة: ٥.

٥. راجع المستدرک للحاکم: ٣٠٦/٤ والجامع الصغير: ٤٩/١.

٦. راجع المعجم الكبير: ٤٨/٢٠ والكامل لابن عدي: ٣٣٤/٣ والتوحيد للصدوق: ٢٧.

٧. راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٧٤/١ والبحار: ٣٢٦/٥٣ والجامع الصغير: ٥٦٠/٢.

و اختلفوا في معنى الإخلاص، فقال بعضهم: هو سرّ مجرّد في القلب مع الحقّ بإسقاط الخلق.

وقال قوم: هو تمييز العمل من العيوب تمييزاً للبن من بين فرث ودم. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَعِبرَةً نَسْفِكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرثٍ وَدَمٍ لَبِئْسَ خَالِصاً سَانِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾^١. فكما أخرج لهم لبناً ليس فيه لون الدّم ولا رائحة الفرث، أراد منهم عملاً ليس فيه ذكر الخلق ولا إرادة الدّنيا ولا محبّة العقبى ولا غبار العجب ولا ظلمة الكبر ولا كدورة الرّناء ولا دلال الإعجاب.

وقيل: هو الوحشة على المؤانسة، وهو نسيان الخلق وما استأنسوا به وركنوا إليه من الأسباب.

وقيل: هو إرادة البقاء بعمل الخير. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَمِعَ لَهَا سَمِيحاً﴾ يقول: وعمل لها عملها الذي يوجبها ﴿وهو مؤمن﴾ يعني مصدّق بثواب الله ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾^٢.

وضدّ الإخلاص الرّناء، وهو إرادة الدّنيا بعمل الخير والنّجاة من عقوبتها^٣ والشّناء من الخلق وطلب رؤيتهم للأعمال الصّالحة دون ذكر الثّواب وإرادة النّجاة من العقاب^٤. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْلُغُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَ صُلْداً لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^٥.

دلّت الآية [على] أنّ الرّناء يبطل الأعمال، وهو في عدم الانتفاع بعمله كالحجر

١. النحل: ٦٦.

٢. الإسراء: ١٩.

٣. أي عقوبة الدّنيا.

٤. أي عقاب الأخرى.

٥. البقرة: ٢٦٤.

الصَلْب الشَّدِيد الأَغْبَر يغسله الوابل من القطر^١ فيبقى نقياً أجرد لا شيء عليه، كذا المراثي يجد بعمله ثناءً حسناً وذكرًا جميلاً في دار الفناء ويدرکه الموت فيحصل له ندامة الأبد، وبقي في ظلمة القبر معدباً روحه، متعوباً جسده، محجوباً عن الكرامة ومبشراً بأنواع العقاب إلى يوم البعث والحساب، فيحشر مع أعداء الله إلى النار الكبرى مخلداً فيها أنساً من الرّحمة.

هذا صفة من أراد بعمل الخير منافع الدّنيا ورضا الخلق وسلامة البدن في العاجل دون النّجاة في الآجل.

ثمّ قال على أثر الصّفة الذّميمة للمراثي بعمله: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم﴾ يعني يبذلون أموالهم ﴿ابتغاء مرضات الله﴾ يعني طلب رضوانه وإرادة ثوابه. وأضاف الأموال إليهم دلالة على أنّ من أنفق مال غيره في طاعة الله لا يحصل له في دار البقاء ثواب. وهو ما قال الثّوري: من أنفق الحرام في طاعة الله فهو كمن طهر ثوبه بالبول، والثّوب لا يطهره إلا الماء، فكذلك الذين لا يكفّوه^٢ إلاّ الحلال ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ ذكر عن الحسن قال: كانوا يشبتون حيث يضعون صدقاتهم^٣. و ذكر عن ابن جريج قال: ما وافق الحقّ فهو تثبيت. وقيل: تصديقاً بجزائه و ثوابه. وقيل: و توطيئاً من أنفسهم على طاعة الله في نفقاتهم. وقيل: وإخلاصاً من أنفسهم. وكلّ ما تقدّم من أشكال الإخلاص لأنّها أسباب باطنة.

ثمّ ضرب مثلاً لأعمال المخلصين في ارتفاعها عند الله وصعودها إليه وقبولها لديه، فقال: ﴿كمثل جنة بربوة﴾ وهي المكان المرتفع ﴿أصابها وابل﴾ يعني المطر الشّديد ﴿فأتت أكلها ضعفين﴾ يعني فأعطت ثمرتها مرّتين ﴿فإن لم يصيبها وابل فطلّ﴾ وهو الرّذاذ^٤ من

١. أي المطر.

٢. كذا.

٣. راجع التبيان للطوسي: ٣٣٨/٢.

٤. أي الضّعيف.

المطر ﴿والله بما تعملون بصير﴾^١.

دلّت الآية [على] أنّ الإخلاص سبب قبول الأعمال وتضعيف الجزاء، وأنّ عمل المخلص لا يضيع في الدنيا والآخرة، والانتفاع به حاصل في الفناء والبقاء. وقال تعالى ذكره: ﴿والَّذِينَ ينفقون أموالهم رياءً للناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ ثمّ أعرّض عن الجواب إعظماً للحال، ثمّ ابتدأ فقال: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ ثمّ استأنف الزجر عن ذميمة الفعل والتعبير على خبث السعي واللوم على ترك الواجب، فقال: ﴿وما ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر﴾ يعني أيقنوا وصدّقوا ﴿وأنفقوا ممّا رزقهم الله﴾ إرادة الثواب والنجاة من العقاب ﴿وكان الله بهم عليماً إن الله لا يظلم مثقال ذرّة﴾ يعني لا يبطل من أعمال العبد وزن ذرّة، وهي أصغر شيء في الوجود ﴿وإن تك حسنة﴾ يعني خالصة لله من كدر الرئاء وغبار العجب ﴿بضاعفها﴾ يعني يزيدا ذكرها وأسماءاً وثواباً ﴿ويؤت من لدهن أجرأ عظيماً﴾^٢.

وقد نهى الله تعالى عن الأسوة بالمرائين، فقال: ﴿ولا تكونوا كالَّذِينَ خرجوا من ديارهم بطراً ورياءً للناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾^٣.

ثمّ كشف عن ذميمة عاقبة المرائي وما يحلّ به من الندم، فقال: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يقول: بعمله الذي فرضنا عليه ﴿نوفّ إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني نعجلهم ما طلبوا ونوصل إليهم ما أرادوا بأعمالهم ﴿وهم فيها﴾ يعني في الدنيا ﴿لا يبخسون﴾ يعني لا يتقصون به مطلوبهم. وقيل: لا ينقص عقوبتهم في الآخرة. ثمّ صرح البيان فقال: ﴿أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار﴾ على خبث سرّاتهم وفساد ضمائرهم ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ وهو عدم الانتفاع بما عملوا في دار الدنيا إرادة الثناء ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾^٤.

١. البقرة: ٢٦٥.

٢. النساء: ٤٠-٣٩.

٣. الأنفال: ٤٧.

٤. هود: ١٥-١٤.

وقال في صفة المنافقين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يخادعون الله﴾ بإظهار ما لم يضمروا ﴿وهو خادعهم﴾ يعني مجازيهم على الخداع ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة﴾ يقومون إليها بأبدانهم دون إقامتها بقلوبهم ﴿قاموا كسالى﴾ يعني متثاقلين غير معتقدين لها بالقلوب ﴿يرأون الناس﴾ بإظهار الخيرات ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾^١.

ذكر عن ابن عباس رحمه الله قال: لو كان ذلك القليل لله لكان كثيراً^٢.

وقال عز من قائل: ﴿قويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون﴾^٣ والويل هو الشدة من العذاب معدة لأهل السهو والرتاء. وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء^٤. أراد بالشرك الرتاء لأنه يشرك في الإرادة. قال الله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^٥.

قيل: في الإرادة. وفيما يؤثر عنه ﷺ قال: من صلى رتاء فقد أشرك، ومن صام رتاء فقد أشرك، ومن تصدق رتاء فقد أشرك^٦. وقال ﷺ: إن يسير الرتاء شرك^٧. وقال أبى وأمي ﷺ: ويل للصائم، ويل للقائم، ويل لصاحب الصوف. قيل يا رسول الله، إلا من؟ قال: إلا من تنزه عن الدنيا وأبغض المحمدة واستحب المذمة^٨.

١. النساء: ١٤٢.

٢. انظر زاد المسير لابن الجوزي: ٢١٠/٢.

٣. الماعون: ٤-٣.

٤. راجع تحف العقول: ٤٨٧ و الجامع الصغير: ٨٥/٢.

٥. يوسف: ١٠٦.

٦. راجع تفسير العياشي: ٣٥٢/٢ وعدة الداعي: ٢٠٣ ومستدرک الحاكم: ٣٢٩/٤ ومسند أحمد: ١٢٦٤.

٧. راجع نهج البلاغة الخطبة ٨٦ وتحف العقول: ١٥١ وسنن ابن ماجه: ١٣٢١/٢.

٨. راجع جامع السعادات: ٢٨٤/٢.

وقال فدته نفوس العالمين، عليه صلوات المؤمنين: من أجاع بطنه ولبس الصوف واستطال بذلك على من دونه، برئت منه يوم القيامة ويلجأ إلى أمّتي ومن أشكال الزياء العجب، وهو رؤية العمل من النفس أو من الخلق أو من الشيء مع نسيان المنة.

وقيل: هو استكبار العمل مع نسيان النعمة.

وعن المسيح عليه السلام قال: كم من سراج أطفأها الريح، وكم من عالم أفسده العجب^١. وذكر عن الصادق عليه السلام قال: القصد إلى الله بالقلوب أفضل من القصد إليه بالأبدان، وحركات القلوب أبلغ من حركات الأعمال^٢.

وقيل: دوام الفقر إلى الله مع التخليط أفضل من دوام الطاعة مع العجب.

وقال بعض المريدين: ذنب أفتقر به إليه أحب إليّ من طاعة أفتخر بها عليه.

وقال عبدالواحد بن زيد^٣: كان الحسن^٤ يجلس للناس في علم الظاهر فإذا خلا بأصحابه قال: هاتوا انشر التور النّظر^٥ في فساد الأعمال.

وقيل: الإبقاء^٦ على العمل أشدّ من العمل^٧ وكيف يقلّ عمل مقبول.

فعليك بإخلاص الأعمال وتصفيتها من الزياء وتبعيدها من العجب والاستقامة عليها بالصّفاء وتسليمها إلى الله بالفقر وطلب ثوابها من الله باليقين، فإنّ الله يجزي العبد بما سعى، إن أحسن فله الحسنى وإن أساء فله السوءى، وما عنده أفضل وأبقى، وهو الملك الأعلى.

١. راجع عدّة الداعي: ٢٢٣.

٢. مشكاة الأنوار: ٤٤٨.

٣. جاء بعض كلامه وقصصه في الرسالة القشيرية وكان يعيش في القرن الثالث أو الرابع.

٤. أي الحسن البصري.

٥. كذا في الأصل.

٦. في الأصل: الاتقاء.

٧. انظر ربيع الأبرار للزمخشري [باب الصبر والاستقامة] وعزاه إلى محمّد بن واسع.

ذكر الزهد والرغبة وصفة الزاهد والرّاعب

قال الحافظ:

الزهد كراهية وجود الدنيا وثقلها على قلب العبد، وضده الرغبة، وهي الميل إلى الدنيا وحلاوتها في قلب العبد. قال الله تعالى يصف يوسف وإخوته: ﴿وشروه بثمن بخس﴾ يعني وباعوه بثمن طفيف ناقص القيمة ﴿دراهم معدودة﴾ غير موزونة ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾^١.

يقال: زهد في الشيء: إذا رغب عنه. وذلك إعراضهم عنه بالقلب وكراهية كونه عند أبيه.

وقال ابن أبي الحواري^٢: قلت لعبد الملك الشامي: أي شيء الزهد في الدنيا؟ قال: خلع الرّاحة وبذل المجهود وقطع الآمال وصدق الكلام والهرب من العزّ. وقيل: هو ترك الدنيا والتّهاون بأسبابها وإيثار شدائدها وإرادة الخروج منها إلى دار الكرامة ومحلّ النعمة.

والزهد على ثلاثة أوجه: زهد في المحرّمات وهو مقام الثائبين، وزهد في المكروهات بعد المحرّمات وهو منازل المتّقين، وزهد في الإباحات وهو درجة الصّدّيقين.

١. يوسف: ٢٠.

٢. أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري من أهل دمشق مات سنة ٢٣٠ للهجرة، وكانت زوجته «رائعة» في الزهد والعبادة مثل رابعة العدوية، بل أبلغ.

قال: ولِلزَّاهِدِ علامات: الاكتفاء بالقوت، وترك الفضول، والتَّنَزُّه عن الشَّهوات، وإيثار القناعة، وسخاوة النَّفْسِ، والسَّفَقَة على الخلق، وإدمان الذِّكْرِ، وفراغة العبادة، ولزوم الخلوة، والهرب من النَّاسِ، وحبِّ الحكمة، وصحبة الحكماء، وطلب العلم، وتوقير العلماء، ورياضة النَّفْسِ، وقصر الأمل، وأشكال ذلك من آثار الصَّالِحِينَ وأخلاق المتَّقِينَ.

وقيل: الزَّاهِدُ قوته ما وجد، ومسكنه حيث أدرك، ولباسه ما ستر. الدُّنْيَا سجنه والفقر محبته^١ والخلوة مجلسه والشَّيْطَانُ عدوّه والقرآن حديثه والله أنيسه والذِّكْرُ رفيقه والجوع إدامه والبكاء نديمه والعبادة حرفته والحكمة آتة والعلم كنزه والعقل حزره والوجل شعاره والحزن دثاره والوفاء سيرته والصفاء سريرته والحقُّ شريعته والصدق طبيعته والتَّقْوَى زاده والهدى مراده والعبارة ظاهره والفكرة باطنه واليقين قوته والإخلاص حجّته والصَّبْرُ مركبه والقناعة سرجه والخوف لجامه والحياء ركابه والشُّكْرُ زينته والرِّضَا نزهته والجود منيته والتَّوَكُّلُ تاجه والتَّفْوِيضُ منهاجه والتَّوْفِيقُ قائده والتَّسْديدُ سائقه والدُّنْيَا مفقوده والعقبى موجوده والثَّوَابُ مقصوده والله معبوده، وطوبى له وحسن مآب.

ولِلرَّاعِبِ علامات: طلب الرِّئاسَةِ وأتباع الهوى وركوب الشَّهوات والطَّمَعِ في الخلق وحبِّ الغنى وصحبة الأغنياء وعمارة الدُّنْيَا وجمع المال وطول الأمل ونسيان الأجل واختيار الرِّاحَةِ والغفلة عن العواقب وحفظ الرِّسْمِ ورفض السِّنَنِ والطَّغْيَانِ

١. كذا في الأصل، ولعلَّ الصحيح: والفقر جلبابه. وفي الحديث: من أحبنا أهل البيت فليعدِّ للفقر جلباباً. أي يتخذ قميصاً للفقر إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي شعر الشاعر الفحل الشيعي كساجم المتوفى عام ٣٦٠ للهجرة:

زعموا أن من أحبَّ علياً	ظل للفقر لابساً جلباباً
كذبواكم أحبَّه من فقير	فتحلَّى من الغنى أثواباً
حزفوا منطق الوصيِّ بمعنى	خالفوا إذ تألوه الصواباً
إنما قوله ارفضوا عنكم الدُّدُ	يا إذا كشم لنا أحباباً

في النعمة والزكون إلى الظلمة وكثرة الأكل وكثرة الضحك وكثرة النوم والتكبر على الفقراء والتواضع لأبناء الدنيا، وأشباه ذلك من آثار الجبارة.

وقيل: الزاهد في الدنيا نظره بالعبارة وسعيه بالتفويض ونفقته بالاقتصاد ونيته العدة وغمه من وفاء النعمة وطول المحاسبة.

والزاعب في الدنيا نظره بالشهوة وسعيه بالطعم ونيته التمتع ونفقته بالتبذير وغمه من فوت النعمة.

وقيل: الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن^٢.

وقيل: الزاهد يأكل بغير طمع ويعيش بغير أمل ويملك بغير جند ويعرف بغير عطية ويعبد بغير رياء ويموت بغير حسرة ويقوم بغير ندامة ويدخل الجنة بغير حساب.

وذكر عن شقيق بن إبراهيم^٣: قال: مسكين صاحب الدنيا، يجمع بالحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء ويتكلم بالعداوة ويموت بالحسرة ويقوم بالندامة ويتعلق بالحساب يوم القيامة.

وذكر عن إبراهيم بن الأدهم: قال: أقرب الزهاد من الله أشدهم له خوفاً، وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم له عملاً، وأكرم الزهاد على الله أتقاهم له، وأفضل الزهاد عند الله نصيباً أعظمهم فيما عنده رغبة، وأتم الزهاد زهداً أسخاهم نفساً وأسلمهم صدرأً، وأكمل الزهاد زهداً أكثرهم يقيناً.

وروى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فقال: هل منكم من يريد أن يعطيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية؟ هل منكم من يريد أن يذهب عنه العمى ويجعله بصيراً؟ ألا إنه من زهد

١. في الأصل: فوق.

٢. أورده الراغب في محاضرات الأدباء [باب راحة القنع وعزته] وغزاه إلى الرسول الأكرم ﷺ.

٣. أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي، من مشاهير الصوفية وكان معاصراً للمأمون العباسي.

في الدُّنْيَا وقَصُرَ فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلُّمٍ وهدىً بغير هداية. ألا إنَّه من رغب في الدُّنْيَا وطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك. ألا إنَّه سيكون بعدكم زمان لا يصلح فيه الملك إلا بالقتل والتَّجْبُرِ، ولا يصلح فيه الغنى إلا بالبخل، ولا يصلح فيه المحبَّة إلا بالاجتراح في أمر الدِّينِ وأتباع الهوى، فمن أدرك منكم ذلك الزَّمان فصبر على الذَّلِّ وهو يقدر على العزِّ وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبَّة لا يريد بذلك إلا وجه الله، أثابه الله ثواب سبعين صديقاً^١.

وللزَّاهد مقامات وأحوال ودرجات وأوصاف وعلامات لو استقصيناها لطال الكتاب، وفيما ذكرنا كفاية لأولي الألباب، والله الموفق للصَّواب.

١. راجع تحف العقول: ٦٠ و الدَّرَ المنثور: ٦٧/١ و كنز العمال: ٢٠٩/٣. و رواه الإمام المرشد بالله الجرجاني في أماليه [باب ذمِّ الاقتصار على الدنيا و جمع المال] عن عبد الكريم بن عبد الواحد الحَسَنِ أبَاذِي.

ذكر الرضا والسخط

قال الحافظ:

إنَّ الله تعالى أوجب الرضا بقضائه لأنَّه عادل لا يظلم مثقال ذرَّة ولا يرضى لعباده الجور، بل يكرهه وينهى عنه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^١.

فإذا كان القاضي عادلاً و الأمر حكيماً و الداعي صادقاً، و جب الرضا بحكمه و التسليم لأمره فعَل الخليل و الذبيح عليه السلام. قال الله تعالى يصف حالهما: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾^٢ لَمَّا حصل التسليم ظهر التعظيم بالنداء من أستار الغيب فوق أثقال المحن بتصديق الرؤيا و ظهور الفداء و تمام البشارات بأنواع الكرامات، و هو تحقُّق قول السلف رحمة الله عليهم: من رضي بالقضاء نال أفضل المنى.

و أجلِّ ممَّا قالوا قول المصطفى عليه صلوات ربِّ السَّماء: من سعادة ابن آدم استخارة الله، و من سعادة المرء رضاه بما قضى الله^٣.

و الرضا على وجوه:

منها الرضا بالله و احداً معبوداً و سيِّداً مقصوداً و إلهاً قريباً و ملكاً باقياً، و هو أجلُّ مراتب الرضا، و قد عدل قوم عنه مثل المعطلَّة و زنادقة الدهريَّة و السُّنويَّة الجائرة

١. النحل: ٩٠.

٢. الصافات: ١٠٣.

٣. كنز العمال: ٨١٤/٧ و راجع تحف العقول: ٥٥ و مسند أحمد: ١٦٧/١.

وسفهاء المنجّمة وضلال المتفلسفة وأصحاب الطبائع، فاستوجبوا اللعنة والحرمان واستحقّوا العقوبة والخسران.

ومنها الرضا بملائكته سفارة وأمانة، وقد مال أرجاس اليهود عن الأمين جبرئيل عليه السلام وأظهروا العداوة معه. قال الله تعالى: ﴿قل من كان عدوّاً لجبرئيل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾^١ فالعداوة مع المنزّل لا مع المنزّل، فإنّ الأمين لم ينزل إلّا بأمر ربّه وإذن خالقه ومنشئه.

ومنها الرضا بالرّسل صلوات الله عليهم مبلّغين أمناء، مترجمين سفراء، مُصطفيين أنبياء، فقد أنكر قوم من الهنود أصل النّبوات ولم يستحسنوا بعثة الرّسل من البريات ورضوا بعقولهم واكتفوا بأرائهم جهلاً منهم بمنازل الأكرمين ومقامات الأطهرين أمناء ربّ العالمين.

ومنها الرضا برسالة سيّد الأنبياء نهاية وختماً، مقدّماً على الرّسل مفضّلاً على البشر مسوداً على الملائكة، فقد عدل عنه المجوس الأرجاس واليهود الأنجاس والنّصارى الأدناس وسفهاء العرب وجهال العجم بغياً وحسداً وجهلاً وشكاً وكفراً واعتداءً. ومنها الرضا بشريعته مثلاً ومنهاجاً، فقد خالفه قوم باختيار الرّسوم والعادات عدولاً عن الحقّ واتّباعاً للباطل.

ومنها الرضا بالقرآن إماماً وحجّة، فقد أثر أقوام [عليه] واستحقّوا^٢ به حيرة وضلالة.

ومنها الرضا بالكعبة قبله ووجهة، فقد أثر أقوام عليها و مالوا عنها إنكاراً ومعاندة. ومنها الرضا بسيّد الأوصياء إماماً وخليفة، فقد ناصبه أقوام بغضاً ونفاقاً وحقداً وشقاقاً وجهلاً وعناداً وكبراً وفساداً.

ومنها الرضا بعتره المصطفى سادة وأئمة وقادة وأزّمة، فقد استبدل بهم أقوام واختار عليهم طائفة نصباً وإزجاءً وظلماً واعتداءً.

١. البقرة: ٩٧.

٢. أو: واستحقّوا.

ومنها الرضا بالمؤمنين إخواناً وأعواناً وأولياء وأحباء ألفة وشفقة ورحمة وأفة، فقد عاداهم جهال و نابذهم رذال جهلاً وسفهاً.

ومنها الرضا بالجنة داراً و منزلاً و ملكاً و نعمة، فقد رضي بالذنيا أناس حرصاً و رغبة و ميلاً و شهوة.

و فيما يؤثر عن رسول الله ﷺ: من رضي بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً، دخل الجنة^١.

و ما رَبَّتْه في وجوه الرضا فهو قول عامة المسلمين و كافة المؤمنين: رضيت بالله رباً، و بالإسلام ديناً، و بمحمد نبياً، و بعلي ولياً، و بالقرآن إماماً، و بالكعبة قبلة، و بالمؤمنين إخواناً، و بالجنة منزلاً^٢ و هذه كلمات مأثورة عن الرسول ﷺ و الأئمة سلام الله على ذكرهم، و صالحي السلف رحمة الله عليهم، و على هذا إجماع الأمة العادلة.

و أصل الرضا هو السكون عند ورود الحكم، و التسليم عند نزول القضاء. و ضده السخط، و هو كره النفس عند واردات الحكم، و الفرار من التسليم لأحكام المشيئة، و مكابرة المقذور و الاختيار عليه بالعمى و الحيرة، و هذا سبيل من جهل العدل في القضية و عدل عن اختيار خالق البرية و لم يوقن^٣ بسبق العلم و نفاذ المشيئة، و من سلك هذا لم يزل في العمى و البليّة.

و قيل: ليس شيء أروح للبدن من الرضا بالقضاء و الثقة بالقسم. و قال عبدالواحد بن زيد^٤: الرضا بالقضاء باب الله الأعظم و جنة الدنيا و مستراح العابدين.

١. صحيح مسلم: ٣٧/٦ و سنن النسائي: ١٩/٦ و سنن البيهقي ١٥٨/٩.

٢. راجع تهذيب الأحكام: ١٠٩/٢ و الإقبال لابن طاوس: ١٣٨/٢.

٣. في الأصل: ولم يوقن.

٤. عبدالواحد بن زيد الزاهد البصري: شيخ الصوفية بالبصرة، قال ابن جبان: كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتيان فكثرت المناكير، توفي سنة ١٧٧ للهجرة.

و من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في الاستخارة والرضا بالحكم: اللهم افض لنا بالخيرة وألهمنا معرفة الاختيار واجعل ذلك ذريعة إلى الرضا بما قضيت والتسليم لما حكمت، وأزح عنّا ريب أهل الارتباب وأيدنا بيقين المخلصين ولا تسمنا عجز المعرفة عمّا تخيّرت فنغمط^١ قدرك ونكره موضع قضيتك ونجنح إلى التي هي أبعد من حسن العاقبة وأقرب من ضدّ العافية. حبّب إلينا ما نكره من قضائك وسهّل علينا ما نستصعب من حكمك وألهمنا الانقياد لما أوردته علينا من مشيئتك فلا نكره ما أحببت ولا نتخيّر ما كرهت، واختم لنا بالتي هي أحمد عاقبة وأكرم مصيراً، إنك تفيد الكريمة وتعطي الجسيمة وتفعل ما تريد^٢.

١. الغمط: الاستهانة والاستحقار.

٢. هذا هو الدعاء ٣٣ من الصحيفة السجادية مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وانظر فتح الأبواب لابن طاوس ١٩٧.

ذكر الشُّكر والكفران

قال الحافظ:

إنَّ الله ندب عباده إلى الشُّكر ودلَّهم عليه وأمرهم به، فقال عزَّ ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^١.

وقال: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^٢.

و عبَّر عن أفضل الأعمال بالشُّكر - وهو التَّوحيد - وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾^٣.

و ذكر العبد الصالح وما آتاه الله من الحكمة وما أمره به من الشُّكر، فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لَهُ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ يَعْني ترك الشُّكر﴾ ﴿فإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾^٤.

و قال - يذكر قول الملك العادل النَّبِيِّ المرسل سليمان عليه السلام لما استقرَّ عنده السَّيرير -: قال ﴿هذا من فضل ربِّي ليلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإنَّ ربِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

وإنَّ الله أرسل الرِّياح مَبشَّرات وأذاق من رحمته وأجرى الفلك بأمره إصلاحاً لأمر

١. البقرة: ١٧٢.

٢. النحل: ١١٤.

٣. الزَّمر: ٧.

٤. لقمان: ١٢.

المعاش و اتصلاً إلى أسباب المعاد طلباً للشكر، فقال: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ يعني بالمطر والنصر ﴿وليديقم من رحمته﴾ بإنزال الغيث و تطيب الهواء و إحياء الأرض بالنبات ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ يعني السفن المشحونة بالأنقال في البحر الزاخر على ظهر الماء ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني لتطلبوا ما فيه صلاح العباد و عمارة البلاد. ثم بيّن الغرض المقصود و ختم به قوله: ﴿ولعلكم تشكرون﴾^١.

و قال الله في بعض الكتب: أنا و الجنّ و الإنس في نبأ عظيم؛ أخلق و يعبد غيري و أرزق و يشكر غيري!

و قال عزّ و جلّ فيما أوحى إلى أنبيائه معاتباً لابن آدم: جنا أسنانك من نعماي، و كلّ لسانك من شكواي.

و ذكر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: النّعم و حسيّة فاشكّلوها^٢ بالشكر^٣. و قيل: الشكر تجارة رابحة و مكسبة فاضلة، و مفتاح لخزائن رحمته و باب لمزيد كرامته.

و قيل: استوثقوا من عرى النّعمة بالشكر الذي جعله الله للنّعم حارساً و للحقّ مؤدياً و للمزيد سبباً.

و اختلفوا في معناه:

فذكر عن ابن عباس رحمه الله قال: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لربّ الخلائق في السرّ و العلانية.

و قيل: الشكر ثلاثة أقسام: رؤية القلب و حمد اللسان و إنصاف البدن.

و قيل: الشكر هو استقامة العبد على طاعة الله بالوفاء و الصدق على منهاج الحجة و سبيل القرآن و اتباع الرّسول.

١. الزوم: ٤٦.

٢. شكل الذّابة بالشكال: شدّ قوائمها به. و الشكال جبل تشدّه قوائم الذّابة.

٣. راجع تحف العقول: ٤٤٨ و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٢/٢٠.

وقيل: شكر النعم ذكرها يعني ابتداءً من الله دون الأسباب التي أنعم الله بها على الخلق مثل الأفلاك والكواكب والعناصر والأوقات والرسل. قال الله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾^١ وإنكارهم إيّاها إضافتهم إلى الأسباب دون مسببها. وقيل: الشكر معرفة وأبلغ الشكر غلبة الاعتراف بالعجز على قضاء الحق.

وقيل: الشكر إجابة الدعوة وحسن النعمة وثنم الزيادة.

وأصل الشكر الزيادة في الخدمة حسب المزيد في النعمة.

والشكور من أسماء الله الذي يزيد قليل العبادة لعبده فيجعل الحسنه الواحدة بعشر أمثالها. قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾^٢ في الكرامة.

ومنه قول العرب: ناقة شكور: إذا كانت كثيرة اللبن. ومنه شكير الشجر، وهو ما نبت في أصله من القضبان الصغار. وقولهم: دابة شكور: إذا كانت كثيرة العلف.

والشكر على وجهين: شكر النعمة وشكر المنعم وهو أولى وأحق؛ لأنه سبب النعم ومبدؤها، ومنه الإكمال وعليه الإتمام.

و ضد الشكر الكفر، وهو على وجهين: كفر بالنعمة وكفر بالمنعم، وكفر النعمة كتمانها بالبطر فيها وإظهار المعاصي بفوتها، وكفر المنعم كتمان حقوقه بالتضييع وكتمان أدلته بالشبه الشيطانية.

وأصل الكفر التغطية، وهو قولهم: كفرت القدر والبذر: إذا ستره وغطاه. ومنه سمى الكافر [كافراً] لأنه ساتر ما أنعم الله عليه بما أظهر من الطغيان. وقولهم: ليلة كافرة، أي ساترة بظلمتها كل شيء. وقولهم: رجل مكفر في السلاح، أي مقنع فيه. ويسمى القرية كفرة لأن فيها تستر الحقوق، أي تكتم بالتضييع، وهو قول المصطفى ﷺ: لا

١. النحل: ٨٣.

٢. في الأصل: عليه.

٣. إبراهيم: ٧.

٤. ولعلها: بقوتها.

تساكنوا الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور^١.

وقيل: كفر النعمة إجابة العدو و سبب الزوال و حرمان الزيادة.
و اللغة تفرق بين الحمد و الشكر، فذكر القتيبي أن الحمد هو الثناء، و الشكر هو
الثناء عليه بنعمته و إحسانه.

وقيل: الشكر ذكرك أحداً بإحسان أو لأكه، و الحمد ذكرك لأحد بمنقبة فيه.
و اتفق العقلاء على إيجاب شكر المنعم، و يعبر عن الحمد بالشكر لأن الحمد أحد
فروعه. ألا ترى ابن عباس رضي الله عنه قال في معنى قوله «الحمد لله»: هو الشكر لله بأن صنع إلى
خلقه.

وقيل: الشكر فريضة، و الحمد نافلة.

و ضد الحمد الذم، و هو الشكوى عند مقاساة البلاء.

وقيل: المعرفة شكر، و الحمد زيادة.

وقيل: تمام شكر الشاكر دوام ذكر الذاكر، و الشاكر يزرع النعم، و الكافر يزرع النقم.

وقيل: من شكر المنعم الكريم [أن] لا تستخفوا بالآلاء و النعم.

و قال أبو يزيد البسطامي: ما أتاني نعمة من الله إلا و شكرت فضله الأول في سابق
علمه قبل أن خلقتني، و ما حضرتني نية عمل إلا و قلت: عسى يوافق عملي وقت عمل
الأبرار فينظر الله إليه بالرّحمة فيلحقني بركته.

و فيما يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: أما إن ربك يحب
الحمد، فأكثر الحمد لله.

و قال بابي و أمي عليهما السلام: أفضل الذكر لا إله إلا الله، و أفضل الدعاء الحمد لله.

و بلغنا - و الله أعلم - أن داود صلى الله عليه قال ذات يوم: اللهم لك الحمد كما تحب
أن تحمد. فأوحى الله إليه: أتعتبت الكرام الكاتبين.

١. راجع الأدب المفرد للبخاري: ١٢٧ و الجامع الصغير: ٧٣٧/٢.

٢. في الأصل: لا يستحقوا.

والله المحمود وله الحمد على العبد ما دار فلك و سبّح ملك أو تضرّع منيب أو
تفكّر لبيب، قال الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾
يعني الشرف ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١.

ذكر القناعة

قال الحافظ:

القناعة سبب الحرمة، وهي أكبر الغنى وأطيب العيش وألذ الأحوال وأوطأ المراكب وأجلّ المراتب. قال الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً﴾ يعني خالصاً ﴿من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ قيل: القناعة في الرزق والحلاوة في العبادة ﴿ولنجزينهم﴾ يعني المؤمنين المخلصين المقنعين ﴿أجرهم﴾ يعني ثوابهم ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾^١.

وحدّ القناعة على لسان العامّ: الاكتفاء بالموجود. وله مراتب:

فأولها: الاكتفاء بالقوت، وهو حدّ العلماء والعباد وأرباب الصّياغ والغلات والتّجار والصّناع، وقوت كلّ طبقة إلى وقت حصول منتظرهم الذي يعتمدونه في أبواب الأقوات.

والثانية: الاكتفاء بالبلغة، وهي ما تبلغك إلى أداء ما أمرت به ويعينك على القيام بما كلفته، وهو حدّ الزّهاد.

والثالثة: الاكتفاء بالكفاف، وهو ما يكفي في الوقت ويسدّ خلل الحال، وهو حدّ الصّديقين والأولياء.

والرابعة: الاكتفاء بالله والتلذذ بذكره، وهو مقام العرفاء المحبّين ومنازل الأصفياء الأطهرين ودرجات الأنبياء والمرسلين، وهو أعلى مراتب القناعة.

ولا يقنع العبد إلا بعد رؤية العدل النَّظَر^١ في القسمة والرِّضا بالحكم والتَّسليم للأمر وصدق التَّوَكَّل والتَّفويض إلى الله والسَّكون معه بالقلب والاستيناس به.

وقيل: القناعة تورث الحرِّيَّة، والحرص يورث العبوديَّة.

وقال: [علي بن] عبدة اللطفي^٢: القناعة نعمة جسيمة ورزق واسع وحسن حصين وألفة دائمة وراحة عظيمة وعيش صاف ودعة البدن وعزَّ النَّفس وصيانة للعرض وحياة طيِّبة وسلامة وعافية. فإنَّ صاحبها للصَّواب في التَّمييز واختيار ما يستحقُّ به الاصطفاء، صفا من درن الشُّكوك وعصمه الله، والله لا يحبُّ كلَّ مختال فخور^٣.

وقيل: أرواح الرُّوح القناعة، وهي أقصى رتبة الفقير كما أنَّ أقصى رتبة الغني الشُّكر.

ولا يسلم العبد من آفات الدُّنيا إلاَّ بإيثار القناعة والتمسُّك بحبل اليقين والاستضاءة بنور العلم والتَّقنُّع بجلباب الحياء والاستتار بثوب الصُّبر، فقد قيل: من استغنى بالدُّنيا عن الدُّنيا كان كمطفئ النَّار بالنَّبتين.

وفيما يؤثِّر عن رسول الله ﷺ قال: طوبى لمن هدى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع^٤.

وضدَّ القناعة الحرص، وهو فضول الشَّهوات واشتطاط الأمانى وأدنى المطامع ومهانة النَّفس وسخف في الرُّأي وشكَّ في المقدور وجهد دائم وعقل هائم وغم لازم وفقير حاضر وتعَب ظاهر وبحر عميق وطريق مظلم ومفازة مهلكة ومركب جموح.

١. كذا.

٢. في الأصل: اللطفي، وهو تصحيف.

٣. نقله الجاحظ في كتاب الأمل والمأمول [باب القناعة] وغزاه إلى علي بن عبدة.

٤. راجع الكافي: ١٤٠/٢ و مستدرک الوسائل: ٢٣١/١٥ و مسند أحمد: ١٩٠/٦.

وقد ذمَّ الله الحرص ونهى عنه، فقال لنبِيِّهِ ﷺ: «كن مترهِّداً^١ في دار الفناء ﴿ولا تمدنْ عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدُّنيا لنفتنهم فيه﴾ يعني لنختبرهم فيه بالقلَّة والكثرة والضيِّق والسَّعة، ثمَّ دلَّه على القناعة التي هي سبب الرِّاحة، فقال: ﴿ورزق ربِّك﴾ يعني القوت من الحلال ﴿خير وأبقى﴾^٢.

ومعنى الحرص هو شقَّ الأرض بأقدام الجهد وإتعب البدن في طلب الفضول وإرادة الكثرة مع لزوم الطَّمع، يقال: حَرَصَ القَصَّارُ الثَّوبَ: إذا شقَّه.

وقيل: أبعد النَّاس من الغفلة من دبر أمر الدُّنيا بالقناعة والتَّسوية، وأمر الآخرة بالحرص والتَّعجيل، وأمر الدِّين بالعلم والاجتهاد، والخلق بالنَّصيحة والمدارة.

وقال عليّ بن عبيدة^٣: يا نفس، لا تسلكي سبيل الاستكثار من المال فإنَّ جمعه حسرة ووبال، واعتزّي بالقناعة فإنَّها أشرف قدرأ وأرفع ذكرأ وخطرأ وأقرب إلى منزلة السَّعداء وأكسب للشُّكر وأزلف عند الخالق من الاستكثار من الفتنة الدَّميمة واحتمال أوزار المكاسب ولهت^٤ الحرمان، فإنَّ هذه شرائع من حرم القناعة مع لوم الطَّمع وثبات حجَّة المقت ولزوم سمة البخل.

وقال: القناعة من أخلاق الصَّالحين وأثار الصَّديقين، وبها قطعوا المفاوز والبحار وملكوا سبيل الأبرار ونجوا من كدورة الاختيار وسلموا من نوائب الأدهار وتطهروا من دنس الأوزار واطَّلَعُوا على حقائق الأنوار وأبصروا معاني الأقدار واستسلموا للملك الجبار.

١. في الأصل: مزهداً.

٢. طه: ١٣١.

٣. مز اسمه، وهو من عرفاء القرن الثالث.

٤. كذا، ولعلَّ الصَّحيح: لهف.

ذكر الصّبر ومعناه

قال الحافظ:

الصبر جنّة المؤمن وسريرة الموقن وعزيمة المتوكّل، وهو سبب درك النّجح ومفتاح الظّفر وباب الفرح وقيد التّعبد وسبيل الأبرار ومطيّة الأخيار، والله مع الصّابرين ويحبّهم ويوفّي أجورهم. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصّابرون أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^١.

وختم أحوال الظّاهرين ومناقب الصّديقين بالصّبر، وقرن به عظيم الثّواب، فقال: ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾^٢.

والصّبر من أخلاق المرسلين، يدلّ عليه قوله لخاتم النّبیین ﷺ: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرّسل﴾^٣.

اعلم أنّ الصّبر سيرة نوح الشّكور وداب الخليل إبراهيم وخلق الكليم موسى ومذهب المسيح عيسى ﷺ [وأمر محمّد ﷺ] بجميل الصّبر، وهو الذي لا جزع معه ولا ضجر فيه، فقال تعالى ذكره: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾^٤.

والصّبر على وجوه:

١. الزّمر: ١٠.

٢. الإنسان: ١٢.

٣. الأحقاف: ٣٥.

٤. المعارج: ٥.

صبر مع الله، وهو الصبر مع الأولياء والأنبياء والرسل صلوات الله عليهم.
 وصبر على الله، وهو الصبر على المحن الواردة والمصائب النازلة من عنده.
 وصبر في الله، وهو الصبر في طاعته وإقامة حدوده.
 وصبر عن الله، وهو صبر من حجب عن كرامته وعزل عن ولايته وطرده عن بابه
 ووسم بسمة القطع وسقي بكأس الفرقة.
 والصبر على مراتب أخرى:
 صبر عامة المؤمنين على أداء ما أمروا به واجتناب ما نهوا عنه.
 وصبر العلماء على حفظ سنن الرسول ولزوم أدائه واحتمال محن العامة
 وأنقالهم.
 وصبر العباد على إيمان الذكر وإخلاص العمل ومراعاة الأوقات.
 وصبر الزهاد على ترك الشهوات ومخالفة الهوى وبذل المجهود واحتمال
 المكاره ومقاساة المحن.
 وصبر العارفين المحبين على صفاء الهمة وصحة الإرادة وصدق المعاملة.
 وصبر الأولياء الصديقين على حفظ الأمانة ونشر العلوم وتأديب الأمة وترتيب^١
 الرعية.
 وصبر الأنبياء والرسل ﷺ على قبول الوحي وتبليغ الرسالة وأداء الأمانة
 ورياضة النفوس ومقاساة البلاء وبذل المهج والنصيحة للخلق والشفقة عليهم
 وتعليم البشر والذلاله على الحق والدعوة إلى الله في السر والعلانية.
 ولا يحتمل هذه المكاره ولا يصبر عليها إلا من شاهد الملكوت واطلع على
 السرائر وأبصر الغيب بعين اليقين واستقام بكلمة الحق وغسل بماء الصفاء وسقي
 بكأس التأييد. فهذا مراتب الصبر و منازل الصابرين.

١. كذا، ولعل الصحيح: تربية.

وفيما يؤثر عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال: الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية. أما الصبر على المصيبة كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة ما بين السماء والأرض. وأما الصبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرة. وأما الصبر عن المعصية كتب الله له سبعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين^١.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: اصبر [صبر] الأحرار وإلا سلوت سلو الاغمار^٢. وكان يقول: إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جرت عليك المقادير وأنت موزور^٣.

وأصل الصبر: الحبس، وسمي شهر الصوم شهر الصبر لأن فيه حبس النفس عما أبيع في غيره.

ونهي رسول الله ﷺ عن الشاة المصبورة، وهي التي تحبس فترمى. ومنه قولهم: قتل فلان صبراً، يعني حبس لتلك الحالة. والصابر: الحابس. وحد الصبر على لسان العام: حبس النفس عند نزول البلاء، ومن دخل ميدان الصبر مع إرادة الخروج من المحنة فمقامه على خلاف الحق. وحد الجزع: اضطراب القلب في المحنة واستعجال الخروج منها، وفيه بطلان الأجر وفوت الذخر.

وقيل: جزعك من مصيبة أخيك أحمد من صبرك، وصبرك في مصيبتك أحمد من جزعك.

واعلم أن بالصبر توجد الدنيا وتدرك العقبى وتتم الأعمال وتصلح الأحوال

١. راجع الكافي: ٩١/٢.

٢. في غرر الحكم: إن صبرت صبر الأحرار، الخ.

٣. انظر معجم ألفاظ غرر الحكم: ١٤٨ و ٥٧٧.

و تستقيم الأسباب و تفتح الأبواب و يكشف الغطاء و يدفع البلاء، و لن يبلغ العبد غاية المجد و منتهى الشرف و درجة العز و رتبة الفضل إلا بكمال الصبر.

و قيل: الدنيا العافية و الشباب الصحة و المروة الصبر على أذى الرجال.

فالزم الصبر و تمسك به، تدرك الظفر و فضيلة الحرّية. و لا تسلك سبيل الجزع، تقع في بحر المحن و تغرق في أمواج البلى و تبقى على ساحل الحرّية و تفوتك سفن النجاة و راحة السعداء و كرامة الأولياء و درجة الأصفياء، و تدركك حسرة المقصرين و ندامة المفرطين و أحزان المتحيرين و حيرة المحزونين. و فبقنا الله و إياك للصبر الجميل و أعانك عليه، إنه خير موفق و معين.

ذكر الاستقامة

قال الحافظ:

الاستقامة على وجهين: ظاهرة وباطنة.

أما الظاهرة فهي الثبات على أداء الأمور به واجتناب المنهي عنه في الأوقات بشرائطها المتعلقة بها.

وأما الباطنة فهي الثبات على اعتقاد التوحيد والنبوات وما دعا إليه الرسل ودل عليه الكتب وأوجه العقل من الأذكار والإرادات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يعني بحركات القلوب مشاهدة الحق ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ مع الله بشرط الوفاء من آداب العبودية ﴿تَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند فراق الأهل والحماية بإطباق النور والهداية ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ عزل الولاية ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على فوت الرعاية ﴿وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ ومعها صدق العناية ﴿الَّتِي كُتِمَ تَوَعْدُونَ﴾ في البرابرة^١ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ يا أهل المعاني ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالتوكل ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بالبر والتجلي ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾ [من أنواع المنى في دار الصفاء ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ حصول المقصود في دار البقاء ﴿نَزْلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾^٢ يعني إنزالاً من الملك الأعلى على أهل الوفاء. والنزل ما يقام للضيف.

وفي المأثور عن أنس عن رسول الله ﷺ قال: ليس للمؤمن المستقيم غم الموت

١. كذا.

٢. فضلت: ٣٠.

ولا وحشة القبر ولا فرع يوم القيامة. ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^١.
وقيل: الاستقامة على سبعة أوجه:

أولها: على التوحيد وما تعلق به من رد الأديان الباطلة والملل المختلفة.

والثانية: على أحكام المصطفى ﷺ من شرائعه وسننه^٢.

والثالثة: على إخلاص الأعمال ورياضة النفوس وصدق الإيرادات.

والرابعة: على ذكر الحجج في الإباحات.

والخامسة: على الزهد في الدنيا ورفض أسبابها وطلب العقبى وموافقة طلابها.

والسادسة: على الأخلاق الحميدة والمناقب الرضية من مخالفة الهوى وإماتة

الشهوات وذكر المنن وحفظ الخواطر وتصفية العقائد.

والسابعة: على احتمال المكاره في قبول الولايات ومقاساة المحن عند ظهور

العنايات ورفض الأوهام مع رؤية الكرامات، وهو أعلى درجات المستقيمين.

وقيل: طبقات المستقيمين سبعة:

أولهم: الرسل، استقاموا على قبول الوحي وأداء الأمانة وتبليغ الرسالة^٣

وبالاستقامة تدرك الرغائب وتسلم من النوائب، وبدونها تفوت المنى وتحل

البلاء. وبالاستقامة تعمر الدنيا وتطلب العقبى وتحصل الآخرة والأولى.

ولهذا المعنى أمر الله نبيه بها وحثه عليها، قال: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾^٤.

وقد كان رسول الله ﷺ رأس المستقيمين، لكنه أمر بالاستقامة على الاستقامة.

[فإن] فيها الكمال والجمال والنوال والجلال، وبها البهاء والبقاء، وبها الصلاح

والفلاح، وبها الوصول والقبول، وفيها شرف الدارين وفضيلة الحالين ودول

الأحرار وعز الأبرار وملك الأخيار في دار القرار وجوار المختار عند الملك الجبار.

١. فضلت: ٣٠.

٢. في الأصل: سنته.

٣. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

٤. هو: ١١٢.

ذكر التوبة وشرائطها

قال الحافظ:

أصل التوبة: الرجوع، وشرائطها: الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإقلاع بالجوارح والإضمار أن لا يرجع إلى الذنوب أبداً.

وقول العرب: تاب وآب وأتاب ورجع بمعنى واحد، والمآب: المرجع. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾^١. ذكر عن ابن عباس: يعني صادقاً من قلوبكم.

وقيل: صدق التوبة دوام الجهد وإدمان الذكر ومفارقة الأوطان وهجرة الخلان ومخالفة الأصحاب وتبديل الأحباب وسد الأبواب وإظهار النحيب والأنس بالقرب وإصلاح الأحوال وقصر الآمال وذكر الآجال ولزوم الفطام إلى يوم الحمام وإرخاء الستور وزيارة القبور ومجالسة العلماء ومؤانسة الحكماء وصحبة الزهاد وطلب العباد وبكاء المحبين ولوعة المشتاقين وإخلاص المريدين وصفوة الصديقين وخشية المتقين وتوكل المنيين وصبر المستقيمين وسرور الذاكرين وأمن الموقنين، وأشباه ذلك من علامات التائبين الصادقين.

وعن الحسن في معنى النصوح، قال: أن تبغض الذنب كما أحببته، وأن لا تعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

و عن عكرمة قال: يعني ناصحاً لأنفسكم.

و عن جنيد قال: الندم الصادق والحياء المحقق و ترك العقد.

و عن الشبلي قال: الإقبال على أمر الله و إثارة محاب الله و شدة الحياء من الله.

و النصح مأخوذ من: نصح الرّفا، و هو إصلاح ما يخرق من الثوب. و بالتوبة يصلح

العبد ما أفسد من عمره و ضيّع من أيامه؛ فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: بقية عمر المؤمن لا ثمن لها. قيل: و لم ذاك؟ قال: لأنّه يدرك بها ما فات و يحيي بها ما قد أمارت^١.

و فيما يؤثر عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: التائب يستبين عليه أثر

التوبة، و ليس هو بتائب حتّى يرضي خصماءه و يعيد صلاته الفائتة [و] ينهى نفسه عن

الشّهوات [و] يتواضع لجميع الخلق [و] يهزل رقبتة بقيام الليل، و يخصص بطنه بقلة

الأكل، و يذيب عظامه شوقاً إلى الجنة، و يقوّس ظهره^٢ مخافة من النار، فهذا التائب هو

الناصح لنفسه^٣.

و ضدّ التوبة الإصرار، و هو إرادة المعصية في مستقبل العمر حسب ما كان يفعل في

ماضي العمر. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا: هِيَ الزَّنَا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾

بمقدّماته ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ يعني وعده و وعيده و أطلّاعه على العبد ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ و هو

إرادة المغفرة منه بالتوبة النّصح ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَصِرْوا﴾ معطوف على قوله:

﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني لم يقيموا على مثل ما فعلوا ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم يصرون ﴿أُولَئِكَ

جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ يعني ستر و تجاوز ﴿وَجَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يعني بساتين

النّعمة و معادن الكرامة، تجري تحت شجرها و سررها أنهار الماء و اللبن و الخمر

و العسل من ينابيع القدرة و عيون القدس ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني مقيمين دائمين في النّعمة،

لا يعزلون عنها و لا يحجبون. و قيل: لا يموتون فيها و لا يخرجون منها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ

١. راجع الدعوات للزاوندي: ١٢٢ و روضة الواعظين: ٣٩٤.

٢. في الأصل: نفسه.

٣. جامع الأخبار: ٢٢٦.

العاملين^١ يعني ثواب المستغفرين النادمين.

وفيما يؤثر عن رسول الله ﷺ قال: المستغفر من الذنوب والمصرّ عليه كالمستهزئ بربه^٢.

وقال ﷺ: ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة^٣.

وقال أبيي وأمي: إنه ليغان على قلبي فأستغفر^٤. والإغانة: غيم خفيف ولا ظلمة له. فاختلّفوا فيه، فمنهم من قال: هو ثقل مطالبة الحقّ على قلب النبي ﷺ عند حضور ما أمر به، يدلّ عليه قوله لبلال إذا حضر وقت الصلاة: أرحنا يا بلال، أرحنا يا بلال^٥. وقد يوجد في أسرار المؤمنين ثقلاً على قلوبهم عند حضور الأوامر تعظيماً لها وإجلالاً للأمر بها، فكان يستغفر تعبداً لا من زلل تقدّمت. وإلى هذا ذهب^٦.

[وقيل: استغفاره لأتمته] على ما تحدث في أتمته من الفتن والبلايا، فكان يستغفر لهم، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن أبي طاهر الأبهري^٧.

والإغانة: خواطر تخطر على قلب العبد، وكان خواطر النبي ﷺ [الهيئاً] واستغفاره ودعاؤه لإظهار الحاجة وخضوع العبوديّة.

وفي المأثور عنه ﷺ أنه كان يقول: اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وهزلي وجدّي وكلّ ذلك عندي. اللهم اغفر لي ما قدّمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كلّ شيء قدير. ربّ أعني ولا تعن عليّ،

١. آل عمران: ١٣٥.

٢. راجع الكافي: ٥٠٤/٢ و ٤٣٥ و الجامع الصغير: ٥٢٠/١.

٣. جامع الأخبار: ١٤٧ و مستدرک الوسائل: ١٢٢/١٢ و ١٣٨.

٤. راجع المجازات النبويّة: ٣٩٠ و صحيح مسلم: ٧٢/٨.

٥. راجع بحار الأنوار: ١٦/٨٣ و المعجم الكبير: ٢٧٧/٦.

٦. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

٧. في الأعلام: ٢٢٥/٦. محمّد بن عبد الله بن محمّد بن صالح، أبو بكر التميمي الأبهري. شيخ المالكية في

العراق، سكن بغداد، له تصانيف، مات سنة ٣٧٥هـ.

وانصرتني ولا تنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرتني على من بغى عليّ. رب اجعلني شكاراً لك ذكراً لك راهباً لك مطوعاً لك محبباً إليك أواهاً منياً. رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واستر عورتني وأقل عثرتني وأجب دعوتني واقض حاجتي وثبت حجّتي واهد قلبي وسدّد لساني واسلل سخيمة قلبي وأصلح نيتي يا أرحم الراحمين^١.

كُل ذلك منه صلى الله عليه وآله دلالة على الافتقار إلى الله والتضرّع إليه والتذلل في مقام الخدمة والاعتراف بالعجز عن قضاء الحق والقيام بالأدب على إقدام الحياء في بساط الخدمة معتذراً بلسان الخجل من تقصير الشكر.

وقيل: الاعتراف يهدم الاقتراف، والتوبة تغسل الحوبة.

وقيل: التائب تبكيه خطيئته، والزاهد تبكيه غربته، والعارف يبكيه خوف زوال الإيمان.

وقيل: التائب يرتع في مرج الحكماء، والزاهد يرتع في مرج العلماء، والمريد يرتع في بستان العرفاء، والعارف يرتع في ميدان الأولياء^٢. قال من كسر الشّباب على نفسه وكسر الدنيا على رأس الشّيطان ولزم الفطام حتّى أتاه الحمام.

وينبغي للعبد أن يجدد التوبة كل ساعة ولا يسوّفها لحظة، فإنّ الخطر عظيم والأمر قريب والفوت أت لا محالة، فهناك لا إقالة من عثرة ولا رجعة لتوبة. طويت الصّحف وجفت الأفلام وأغلق الباب وختم الكتاب وكشف الحجاب ورفع العتاب وتقطعت الأسباب وبرد الجنان وخرس اللسان وانقطع البيان وظهرت الحقائق وبطلت الدقائق ولا ينفع الاعتذار من عظيم الأوزار والويل لأهل الإصرار، فطوبى لمن ندم على ذنبه قبل منيته واعتذر من خطيئته قبل قضيتها وقدم من صالح الأعمال ولم يركن إلى أحسن الأحوال. فقد قيل: الدنيا خمر الشّيطان؛ من سكر منها لم يفيق إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين.

١. راجع مستند أحمد: ٢٢٧ و سنن ابن ماجه ١٢٥٩/٢ و سنن الترمذي: ٢١٤/٥.

٢. هنا سقط من الأصل سطر واحد.

و من دعاء أمير المؤمنين عليه السلام في التوبة: اللهم صيرنا إلى محبوبك من التوبة وأزلنا عن مكروهك من الإصرار. اللهم ومتى ما وقفنا بين نقصين في دين و دنياً فأوقع النقص بأسرعهما فناءً و اجعل التوبة في أطولهما بقاءً، وإذا هممنا بهمين يرضيك أحدهما عنا و يسخطك الآخر علينا، فمل بنا إلى ما يرضيك عنا و أوهن قوتنا عما يسخطك علينا، و لا تخل في ذلك بين نفوسنا و اختيارنا، فإنها مختارة للباطل إلا ما عصمت، أمانة بالسوء إلا ما وقيت. اللهم إنك من الضعف خلقتنا و على الوهن بنيتنا و من ماء مهين ابتدأتنا و لا حول لنا إلا [بقوتك]. و لا قوة لنا إلا بعونك، فأيدنا بتوفيقك و سدّدنا بتسديدك، و أعم أبصار [قلوبنا عما خالف محبتك و لا تجعل لشيء من جوارحنا نفوذاً في معاصيك. اللهم اجعل همسات قلوبنا و لمحات أعيننا و حركات أعضائنا و لهجات ألسنتنا في موجبات ثوابك حتى لا نفوتنا حسنة نستحقّ بها جزاءك و لا تبقى^١ لنا سيئة نستوجب بها عقابك^٢.

١. في الأصل: تنفذ.

٢. هذا هو الدعاء التاسع من الصحيفة السجادية مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

ذكر الورع والتقوى

قال الحافظ:

الورع كَفَّ النَّفْسَ عَنِ الشَّبَهَاتِ، وَهُوَ غَايَةُ التَّحَرُّجِ. يُقَالُ: وَرَعْتَهُ، أَي كَفَفْتَهُ. وَرَجُلٌ وَرَعٌ، أَي كَافٍ. وَفِي الْحَدِيثِ^١: وَرَعَ اللَّصَّ وَلَا تَرَاعَهُ، أَي اكْفَفَهُ بِمَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ.

والتَّقْوَى هُوَ الْحَذَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَخَشْيَةُ اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِذِكْرِ عِظْمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ، وَالتَّنَزُّهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ خَوْفَ الْعِقَابِ وَرَجَاءِ الثَّوَابِ.

وَقَالَ صَاحِبُ الْمِيزَانِ^٢: الْوَرَعُ سِتْرٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الشَّبَهَاتِ، وَالتَّقْوَى سِتْرٌ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْحَرَامِ، وَلَا يَقَعُ الْعَبْدُ فِي الْحَرَامِ مَا دَامَ تَقِيًّا، وَلَا فِي الشَّبَهَةِ مَا دَامَ وَرِعًا، وَوَجَدْتَ مَخْرَجَهُمَا مِنَ الْخَوْفِ إِذَا كَانَ الْخَوْفُ بِمَكَانٍ تَوَلَّدَ مِنْهُ التَّقْوَى وَالْوَرَعُ، وَعَلَامَتُهُ فِي الظَّاهِرِ تَرْكُ الْحَرَامِ وَالشَّبَهَةِ.

وَسئِلُ طَلِقِ بْنِ حَبِيبٍ^٣ عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ: عَمَلٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ رَجَاءً وَثَوَابًا مِنَ اللَّهِ، وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ مَخَافَةَ عِقَابِ اللَّهِ.

وَقِيلَ: التَّقْوَى طَهَارَةٌ وَبِرَاءَةٌ مِنَ الشَّرْكِ الْخَفِيِّ وَالْجَلْبِيِّ وَالْمُتَّقِي الْمُسْتَفِي^٤ مِنْ

١. انظر لسان العرب: ٢٧٣/١٥.

٢. لم نعرف هذا الكتاب ومؤلفه.

٣. ذكره القشيري في الرسالة القشيرية: ١٩٠ ونقل عنه: التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

٤. أو: المنتقي.

الشرك الخفي والجلي، وهو المتقي الحقيقي وهو أولى بالإمامة لقوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾^١ والأتقياء هم الأولياء، إن أولياءه إلا المتقون^٢.

١. الفرقان: ٧٤.

٢. كذا في الأصل، وهنا سقط منه بقدر سطر أو أكثر.

ذكر العبرة والتفكر

قال الحافظ:

العبرة وزن الأشياء بميزان العقل ليظهر الرجحان والنقصان، وهي النظر في الموجودات بعين الفناء، وأجل المواعظ العبر، وأعظم العبر الموت. قال الله تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾^١.

وقيل: من عبر الدنيا يكفيك الموت، ومن شغل الدنيا يكفيك الطاعات، وأفضل العلم معرفة الله، وأصل المعصية حب الدنيا.

وقيل: اتعظ بما تسمع واعتبر بما ترى قبل أن تصير عبرة للناظرين وعظة للسامعين.

وقال الحسن رحمة الله عليه: رحم الله عبداً [نظر فتفكر، و] تفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر، وأبصر فصبر، فوالله لقد أبصر أقوام فما أصابوا ما أرادوا ولا استطاعوا الرجعة^٢.

وقيل: إن التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب المنطق في الحكمة فيسمع له أقوال يخضع لها العلماء ويعجب منها الفقهاء ويعظمها الحكماء ويتعظ بها الأتقياء ويسرع إليها الأدباء ويستضيء بها البصراء. وأصل التفكر ذكر ما مضى بالندم وذكر الحال بالإتمام وذكر العواقب بالانتظار.

١. الحشر: ٢.

٢. راجع نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٣ وشرح ابن أبي الحديد: ١٤٨/٥.

وهو عندي تردّد القلب في المملكة بالنظر العقلي في محكم الصّنع ومتقن الحجّة
ومركّب الطّبع إذ الفكرة ستحتلّ^١ في مالكتها، وأجلّ الأفكار مطالعة الأسرار بعين
الأنوار.

والتّفكّر على وجوه:

منها التّفكّر في النّفس وما فيها من العجائب، فإنّها أقرب الأشياء إلى الإنسان
وأولاها بالتّفكّر.

ومنها التّفكّر في^٢ ومراتبهم وتفاوت أطباعهم وتباعد ما بينهم في المذاهب
والهمم والإرادات.

ومنها التّفكّر في الأحوال وهي على أربعة أوجه: طاعة ومعصية ونعمة وشدّة.

ومنها التّفكّر في الأمر والنهي فيعظهما للايتمار والانتهاز.

ومنها التّفكّر في الوعد والوعيد فيذكرهما للرغبة والرّهبة.

ومنها التّفكّر في العواقب والنّهيات للتأهب والاستعداد.

ومنها التّفكّر في المجازاة والمكافاة للجهد والطلب.

ومنها التّفكّر في الثّواب والعقاب للخوف والرّجاء.

وقيل: ما جلّيت القلوب بمثل الأحران، ولا استنارت بمثل التّفكّر.

وفيما يؤثّر عن المصطفى عليه السلام قال: التّفكّر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة^٣.

وقال: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة^٤.

وسئل الفيلسوف بم يتّضح الرّأي وتتمّ البصيرة؟ قال: بإدامة الفكرة في العواقب
وإدمان مجالس الحكماء.

١. في الأصل: يستخل.

٢. هنا كلمه لاتقرأ.

٣. راجع غرر الحكم: ١٤٧ وجامع السعادات: ٥/٢.

٤. راجع تفسير العيّاشي: ٢٠٨/٢ و فقه الرضا عليه السلام: ٣٨٠ ومصباح الشريعة: ١٧١.

وسئل بعضهم عن العبرة والفكرة، قال: العبرة الاطلاع على غائب ما لم يظهر. وقيل: التفكير أفضل أعمال الحكماء وأشرف أحوال العلماء، به يبصر العبد العواقب ويميز بين الأشكال والأضداد ويطلع على الحقائق ويغوص بحر الفطن ويستخرج لثالي الحكمة [و] يكشف شبه المتحيرين ويسهل السبيل على المرتادين، وقد مدح الله المتفكرين وجعله أفضل نعوت المخلصين وأعلى درجات المستبصرين، فقال عز ذكره: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ثم ختم أحوالهم بأفضل أعمالهم فقال ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١ فيستدلون على خالقها و^٢.

١. آل عمران: ١٩٠.

٢. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

[حَقَّ الأَوْلَاد]

...[منها إرضاع الأم ولدها حولين كاملين] قال الله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهنَّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمَّ الرِّضَاعَةَ﴾^١.

وفي المأثور عن رسول الله ﷺ قال: رحم الله والدأ أعان ولده على برّه^٢. وعنه ﷺ قال: إنَّ من حقِّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه إذا ولد، ويزوجه إذا أدرك، ويعلمه الكتاب إذا عقل^٣.

وقال أبوي وأمي ﷺ: سمّوا أولادكم بأسماء الأنبياء، وأحسن الأسماء عبد الله و عبد الرحمن، وأصدقها همام و حارث، وأقبحها حرب و مرّة.

وقال النبي ﷺ للأمهات: لا تعذبنَّ^٤ أولادكنَّ بالدغر. وهو الوجع الذي يجده الصبي عند إدخال الإصبع في فيه^٥.

وعن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: إذا بلغ الصبيان سبع سنين أمروا بالصلاة، فإذا بلغوا تسع سنين ضربوا عليها، فإذا بلغوا عشر سنين فرّق بين الجوارى والغلمان في المضاجع، فإذا بلغوا اثنتي عشرة سنة كتب لهم الحسنات، ولم يكتب عليهم السيئات،

١. البقرة: ٢٣٣.

٢. الكافي ٥٠/٦. عنه الوسائل ٤٨١/٢١ وانظر أيضاً الكافي ٤٨/٦.

٣. راجع الجامع الصغير: ٥٧٨/١ وروضة الواعظين: ٣٦٩ ومكارم الأخلاق: ٢٢٠.

٤. في الأصل: لا تغذين.

٥. الفائق: ٣٧٠/١.

فإذا بلغوا خمس عشرة سنة جرت عليهم الأقسام^١.

وحدّ التربية التّخيير للتّطف والعقد بالشريعة والبناء بالسنة والصحة بالعلم والوطن بالأدب وتفريغ الخواطر عن الشبه والإنفاق من الحلال الطيب وصيانة النفس في وقت الحمل والصدقة في حين الوضع والشكر على الصحة والإرضاع بالرفق والعقيقة مع التطهير يوم السابع وتحسين الاسم وحلق الشعر والتصدق بوزنه ذهباً أو فضة أو ما كان، وتمهيد السنة وتحريكه باللفظ وتنظيفه عن الأذى وتلقينه الألفاظ الجميلة أيام الرضاع وستره عن أبصار الحسد وإتمام رضاعه إلى الحولين إن كان ذكراً، وإن كان أنثى خار إلى الحول ونصفه، ومنع ألبان الفاسدات عنه وتسليمه إلى المكتب وقت النطق وتأديبه بالسفقة وتوفير الأجرة على مؤدبه وتعليمه القرآن ابتداءً. ثم من الآداب ما يستعين به على العلم الديني وحمله إلى مجالس العلماء الراشدين ليقتبس من علومهم وتعليمه الشرائع والأحكام وحمله على إقامتها قبل البلوغ، وزجره عن الملاهي وأسباب اللعب، وإسماعه ألفاظ الحكماء وتلقينه سير الأدباء وحفظه على سنن الأنبياء وإحضاره المشايخ والكبراء وتكليفه آداب الملوك العادلة، وتواضع السوق المنصفة وتبعيده عن تيه الأغنياء ومذلة الفقراء وأمره بالبر والتقوى ونهيه عن الفحش والخنا وإرشاده إلى أسباب المعاش، وعرض شرائط الدين عليه كل وقت وتعليمه الخط والسباحة والفروسيّة والرّمي والحيل المطلقة للعباد، وهي الجرف التي جعلت سبباً للمعاش، وتزهيده في دار الفناء وترغيبه في دار البقاء وتمييز الفرش^٢ بعضها من بعض وترك ذكر الطيبات بين يديه ومنعه عن مجالس الخلوة وتوقير أهل الفضل بحضرته ذكراً ومعاملة، وتكليفه الأعمال الشاقة عسى هو يحتاج إليها يوماً أمكنه، ولبسه الثياب الجميلة حين يعرف مقدارها، وترك الانبساط مع الرجال والنساء كيلا يقتدي به المولود، وضربه على سوء الأدب وتعظيم المناهي

١. راجع الكافي: ٤٠٩/٣ و ٤٦٦ و الفقيه: ٢٨٠/١ و مسند أحمد: ٤٠٤/٣.

٢. كذا في الأصل.

في عينه و تصحيح الأنساب له و تحذيره ركوب الشهوات و اللذات و تنبهه عن غفلة الصبيان و شطارة السببان و تعيين^١ رأس مال له ليقبل عليه إذا احتاج إليه، و تزويجه من الأكفاء كيلا يقع في الحرام إذا بلغ .

و هذه الآداب لابدّ منها لكلّ ذكر و أنثى، فإنّ الأدب أولى بالمرء من النسب، و هو أعدل شاهد على الحسب.

وقيل: من الأدب^٢.

١. في الأصل: تبيين.

٢. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

[ذكر الدنيا]

[قال الحافظ:]

[عن أمير المؤمنين عليه السلام] أنه قال: الدنيا دار عناء وفناء وغيّر وغيّر، فمن عنائها أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبنى ما لا يسكن، ومن فنائها أنك ترى الدهر موتراً قوسه مفوقاً نبله يصيب الصحيح بالسقم والسقيم بالموت، ومن غيّرها أنك ترى المغبوط مرحوماً والمرحوم مغبوطاً ليس بينهما إلا نعيم زلّ أو بؤس نزل^١، ومن عيبرها أنك ترى المرء يشرف على أمله فيخطفه دنو أجله^٢.

وسميت الدنيا لدنوها من الخلق، والآخرة لتأخرها عنهم. قال الله تعالى: ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ وهي أقرب طرف الوادي ﴿وهم بالعدوة القصوى﴾^٣ وهي أبعد طرفها. وقال أبو يزيد البسطامي: وجدت الناس على أربع في حديث الدنيا: طالب فاجر، وطالب صالح، وزاهد تارك، وصدّيق محبّ. فالفاجر يحدثك عن الجهل والفجور، والصالح يحدثك عن الورع وأبواب البرّ، والزاهد يحدثك عن إظهار عيوبها وإيثار الآخرة عليها، والصدّيق نبّل عقله وكرمت نفسه عن أن يحدثك بدار الخراب. وقيل: الدنيا غفلة وشهوة؛ فالغفلة حجاب الطاعة، والشهوة حجاب المعرفة. وقيل: الدنيا خطوة تحت قدم العارف، وذرة عند الموحد.

وبعد، فأنا أصفها بأدنى ما عندي دون الاستقصاء، فأقول مستعيناً بالله: الدنيا تُخلق

١. في الأصل: ذلّ أو بؤس ترك، وفي النهج: زلّ ونزل، وفي التحف: زال ونزل.

٢. نهج البلاغة الخطبة ١١٠. تحف العقول: ٢١٨ مع الاختلاف الذي يدلّ على اختصاصه بمصدر آخر غير

نهج البلاغة. وراجع مصادر نهج البلاغة ٢٥٢/٢.

٣. الأنفال: ٤٢.

الأبدان و تجدد الآمال و تقرب المنية و تفرق الأحبة، أعمارها قصيرة و أخطارها حقيرة، محنها مقبلة و نعمها مدبرة، بناؤها للخراب و صاحبها للتراب، غناؤها بلاء و بنيانها منهدم و شجرها منهشم، إمانة زائلة و إمانة مصيبة جارية و إمانة قاضية، لا يفرح بها إلا الجهال و لا يفخر بها إلا الرذال، من رغب فيها استعبده و من مال إليها صرعه و من حرص عليها فضحته و من أحبها قتلته و من استعان بها خذلته، طالبها متعوب و جامعها مكروب و صاحبها محجوب، مثلها الحكماء بالعروس المحلّة تشوّقت لخطأبها و فتنت بغرورها، فالعيون إليها ناظرة و القلوب عليها والهة و النفوس لها عاشقة، و هي لأزواجها قاتلة. ما أشبهها بالمرأة المسافحة؛ متزوجها مذموم نادم و مطلقها محمود سالم، زرعها محصود و جمعها مكدود و يومها مفقود و عزّها مردود، تاركها في راحة و سرور و جامعها في تعب و غرور، أولها خيال و أوسطها ضلال و آخرها وبال، أمسها موعظة و يومها غنيمة و غدها لا يدري من صاحبه؟ من تفكّر فيها أبصر و من اعتبر فيها صبر و من صبر فيها ظفر، نيلها ويل و وصلها فصل و ملكها هلك. فطوبى لمن أصبح فيها راضياً بتربة أرض تقلّه و سماء تظله، كسرة تكفيه و خرقة تواريه، زاده التقوى و همته^١ سيرته الوفاء و زينته الحياء، لباسه الصبر و مركبه الشكر، سبيله الحقّ و طريقه الصدق، رفض الدنيا إلى أربابها و لم يركن إليها مع طلابها و لم يتمتّع بأسبابها، ينتظر الموت و يتهيأ له كالمسجون في السجن يترقب كلّ ساعة رسول السلطان، لا يسكن من روعته و لا يطمئن من اضطرابه حتّى يعبر قنطرة الهلاك أو النجاة. العالم بأسباب الدنيا، العارف بفنائها، المنتظر لزوالها، الزاهد في شهواتها، التارك للذات، لا يزال ينتظر رسول الموت، ينجو من فتن الدنيا و يقبل إلى نعيم الأبد لأنّه في جهد العبادة و طلب النجاة و تجرّع الغصص و ترك الشّهوات و احتمال^٢.

[هذا آخر ما وجدناه من هذا الكتاب القيم، و الحمد لله رب العالمين].

١. هناكلمة لاتقرأ.

٢. هنا سقطت من الأصل صفحتان أو أكثر.

الفهارس الفنيّة للمتن

فهرس الأحادس

الصفحة	القائل	الحديث
٢٠٦	رسول الله ﷺ	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ...
١٨١	رسول الله ﷺ	أجد نفس ربكم من قبل اليمين
٢٣٣	عيسى بن مريم عليه السلام	أخرج الطمع من قلبك تحل القيد من رجلك ...
٣١	أمير المؤمنين عليه السلام	إخواننا بغوا علينا
٢٧٩	رسول الله ﷺ	إذا أحب الله عبداً ضرب وجهه بالبلايا كما ...
٩٣	أمير المؤمنين عليه السلام	إذا أضرت النوافل بالفرائض فارضوها
٣٣٤	الإمام الباقر عليه السلام	إذا بلغ الصبيان سبع سنين أمروا بالصلاة، فإذا بلغوا ...
٢٢٧	الله جل جلاله	إذا رأيت المتواضعين من عبادي فتواضعوا لهم ...
١٩١	أمير المؤمنين عليه السلام	إذا شكأ أحدكم بطنه فليسأل من صدق امرأته ...
١٥١	الله جل جلاله	إذا وجهت إلى عبد من عبادي مصيبة فاستقبل ذلك ...
٣٣	رسول الله ﷺ	إذا ولد جعفر بن محمد فسموه الصادق لأنه يولد منه ...
٢٦٥	رسول الله ﷺ	أربعة بالمرء سعادة: أن تكون له زوجة موافقة ...
٣٢٦	رسول الله ﷺ	أرحنا يا بلال، أرحنا يا بلال
٢٥٨	رسول الله ﷺ	استروا على المؤمن ما لم يضر مسلماً
١٦٨	الإمام الصادق عليه السلام	استوى له ملكوت كل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء

الصفحة	القائل	الحديث
٣٢٠	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اصبر [صبر] الأحرار وإلا سلوت سلو الأعمار
٢٦٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اعرف الحقّ تعرف أهله، و اعرف الباطل تعرف أهله
٢٢٧	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اعلم يا بني، إن تواضعك في شرفك أشرف ...
١٤٨	الله جلّ جلاله	أقرب الخلق غداً من الله ثلاث: المستحي من ...
٨٧، ٤٧	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	الأئمة من قريش ما بقي منهم اثنان ...
٧٩	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	ألا إن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين ...
١٥٩	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	الأمينة لا تستسكنه؛ لأنه لو كان في محلّ دون محلّ ...
٣٥	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	الأنصار أحبائي، وفي الدين إخواني، وعلى ...
٣٢٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم اجعل همسات قلوبنا ولمحات أعيننا وحركات ...
٣٢٦	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وهزلي ...
٣٢٦	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ...
٢٤١	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	اللهم أغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وجملي ...
٣٠٩	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم اقض لنا بالخيرة وألهمنا معرفة ...
٢٩٠	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الصبر ...
٣٢٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم إنك من الضعف خلقتنا وعلى الوهن بنيتنا ...
١٤٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم أيدنا بتوفيقك، وسدّدنا بتسديدك
٢٠٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائل بحقّ إماما ظاهر مكشوف و ...
٢٩	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم تولني في جيرانني بإقامة سنّتك ...
٣٢٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم صبرنا إلى محبوبك من التوبة ...
٢٦٦	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم لك الحمد على حسن قضائك ما صرفت عني ...
٢٥٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك ...
٣١٣	داود النبي <small>عليه السلام</small>	اللهم لك الحمد كما تحبّ أن تحمد

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٤٠	رسول الله ﷺ	اللهم من أحبني وأطاع أمرى فأقلل له المال والولد ...
٢٣١	رسول الله ﷺ	اللهم وال من والاه و عاد من عاداه
٢٨	رسول الله ﷺ	إلى أقربهما منك باباً
١٢٠	رسول الله ﷺ	أمرت أن أكلّم الناس على قدر عقولهم
٣٤	رسول الله ﷺ	إن إخواني من أولي العزم صبروا على ما هو ...
٢٣٧	الله جلّ جلاله	أنا عند ظنّ عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ...
١٨٠	أمير المؤمنين عليه السلام	إن الأرضين على رأس الملك، والملك على الصخرة ...
٢٦٨	أمير المؤمنين عليه السلام	إن الحق لا يعرف بالرجال ...
٢٦٠	رسول الله ﷺ	إن العدل ميزان الله في الأرض؛ فمن أخذه قاده إلى الجنة ...
١٩٠	رسول الله ﷺ	إن العسل شفاء ألا وهي سمّ الله القاتل
٢٠٥	رسول الله ﷺ	إن القلوب أواني الله في الأرض، فأحبّها إلى الله ...
٢٨٠	رسول الله ﷺ	إن الله إذا أبغض عبداً بعث إليه ملكاً ...
١٥٨	رسول الله ﷺ	إن الله تبارك وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا لثلاث ...
١٧٢	رسول الله ﷺ	إن الله زين أربعاً بأربع؛ السماء بالنجوم ...
١١٩	رسول الله ﷺ	إن الله سبحانه رفع لي الدنيا فرأيت ما يكون في أمّتي ...
١٥١	رسول الله ﷺ	إن الله لا يعمل حتى تملوا
٢٤٤	رسول الله ﷺ	إن المؤمن لا يسكن روعته ولا يطمئن من اضطرابه حتى ...
٢٨٠	رسول الله ﷺ	إن أشدّ البلايا في الدنيا للأنبياء ثم الأمثل ...
٢٦٦	رسول الله ﷺ	إن أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ...
٢١٣	أمير المؤمنين عليه السلام	إن أعلم الناس بالله وأنصحهم لله أشدّهم تعظيماً ...
٢٤٤	المسيح عليه السلام	إن خشية جهنّم وحب الفردوس يورثان الصبر ...
١٤٧	الصادقين عليهم السلام	إن روح القدس موكل بالأنمة من آل رسول الله ﷺ يؤيدهم ...

الصفحة	القائل	الحديث
٣٢٠	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن ...
٧٢	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن علياً أول من آمن بي وصدقني، وأول ...
٣٣	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ...
١٨٣	أحد المعصومين <small>عليه السلام</small>	إن فوق السموات حجب من بحار وأستار أودية ...
٢١٧	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن للقرآن ظهراً وبتناً وهدى ومطعماً ...
٥٣	الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>	إن لله وجوهاً في خلقه خلقها لقضاء حوائج عباده ...
١٣٨	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	إنما تنشأ الفتن من أهواء تُتَّبَعُ وآراء تُبْتَدَعُ ...
٩٨	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن من البرِّ كتمان المصائب
٩٣	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	إن من العبادة تركاً لها
١٨٨	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن من العلم شيء مكنون لا يعلمه إلا ...
٣٣٤	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن من حقِّ الولد على الوالد أن يحسن اسمه إذا ولد ...
٢١٦	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إنها ستكون بعدي فتنة ...
٢٠٧	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ...
٣٢٦	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إنه ليغان على قلبي فأستغفر
٣٠٠	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إن يسير الرناء شرك
١٨١	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إنِّي لأجد نفسَ الرِّحمان من قبل اليمن
٢٣٠	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إياكم والحسد فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما ...
٧٤	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	إياكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور ...
٢٩٠	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	أبى الله أن يجعل أرزاق المتقين إلا من حيث لا يحتسبون
١٩٢	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	أجيعوا أكبادكم وأعروا جنوبكم وشعثوا ...
٢٩٦	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	أخلص دينك لله، يكفك القليل من العمل
١٨٨	رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>	أرأيتم نفساً إن نعمها صاحبها وفتقها ذمته غداً ...

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٦٥	رسول الله ﷺ	أربع خصال من الشّفاء: جمود العين وقساوة ...
٨٧	أمير المؤمنين عليه السلام	أطع الإمام وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً ...
٣١٣	رسول الله ﷺ	أفضل الذّكر لا إله إلا الله، وأفضل الدّعاء الحمد لله
١٠٤	رسول الله ﷺ	أفضل الكلام أربعة هنّ من القرآن وليس بالقرآن ...
٢٢٩	رسول الله ﷺ	ألا إنّما الدّين النّصيحة لله ولرسوله ولأئمّة ...
٣٠٥	رسول الله ﷺ	ألا إنّ سيّكون بعدكم زمان لا يصلح فيه الملك ...
٣٠٥	رسول الله ﷺ	ألا إنّ من رغب في الدنيا وطال فيها أمله ...
٣٠٤	رسول الله ﷺ	ألا إنّ من زهد وقصّر فيها أمله ...
٢٢١	رسول الله ﷺ	ألا وإنّ الله خلق مائة رحمة فخرن منها تسعة وتسعين ...
٣١٣، ١٠٣	رسول الله ﷺ	أما إنّ ربّك يحبّ الحمد فأكثر الحمد لله
١٥٠	الله جلّ جلاله	أما علمت أنّ من أسمائي الصّبور
١٣٨	أمير المؤمنين عليه السلام	أما والله لو خلص الباطل لم يقبله أحد ...
١٣٨	أمير المؤمنين عليه السلام	أما والله لو خلص الحقّ لم ينكره أحد ...
٦٩	رسول الله ﷺ	أمرت أن أكلم الناس على قدر عقولهم
٨٨	الله جلّ جلاله	أنا الله لا إله إلا أنا، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي ...
١٥٧	أمير المؤمنين عليه السلام	أنا جنب الله، وأنا حجة الله، وأنا الطّريق إلى الله
١٧٠	أحد المعصومين عليه السلام	أنّ إسرافيل موكل باللوح ينظر فيه، ينتظر متى ...
٤٣	رسول الله ﷺ	أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ...
٣١	أمير المؤمنين عليه السلام	أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصّديق الأكبر ...
٣١١	الله جلّ جلاله	أنا والجنّ والإنس في نبأ عظيم؛ أخلق وبعبد غيري ...
٣٣	الإمام الرضا عليه السلام	أنت أخي ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا إخاء بيني وبينك
٦٣	رسول الله ﷺ	أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٠٢	رسول الله ﷺ	أنين المريض تسبيح، وصياحه تهليل ...
١٧٧	أمير المؤمنين ؑ	أيها الخلق المطيع، الذائب السريع ...
٢٧٥	أمير المؤمنين ؑ	أيها الدائم للدنيا، أنت المجترم عليها أم هي ...
٢١٧	رسول الله ﷺ	بالقرآن وبمثليه ...
٩٧	رسول الله ﷺ	البر لا يبلى، والذنب لا ينسى ...
١٣٨	رسول الله ﷺ	بعثت داعياً ومبلغاً وليس إليّ من الهدى شيء ...
٣٢٥	أمير المؤمنين ؑ	بقية عمر المؤمن لا ثمن لها
٩٣	أمير المؤمنين ؑ	بينكم وبين الموعدة حجاب والغفلة
٣٢٥	رسول الله ﷺ	التائب يستبين عليه أثر التوبة وليس ...
١٠٩	رسول الله ﷺ	تعلموا العلم فإن في تعلمه لله سبحانه حسنة وطلبه عبادة و ...
٣٣٢	رسول الله ﷺ	تفكر ساعة خير من عبادة سنة
٣٣٢	رسول الله ﷺ	التفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة
٢٤٠	رسول الله ﷺ	تلمص الفقير عند شهوة يشتهيها ولا يقدر عليها خير ...
٩٩	الإمام الصادق ؑ	التوحيد أن لا تجوز على الله سبحانه ...
٢٣١	رسول الله ﷺ	ثلاثة لا يغفل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة ...
٢٢٧	رسول الله ﷺ	ثلاثة يحبهم الله من عباده: من تواضع لله ...
٢٨	رسول الله ﷺ	الجار أحق بصقبه
٦٠	رسول الله ﷺ	جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ...
٣١١	الله جلّ جلاله	جنا أسنانك من نعماي، وكلّ لسانك من شكواي
٥٣	أحد المعصومين ؑ	الجنة دار الأسخياء، والنار دار البخلاء
٦١	الإمام الصادق ؑ	حببونا إلى أمة جدنا ﷺ لعن الله من بغضنا ...
٢٧	رسول الله ﷺ	حرمة الجار كحرمة الأم

الصفحة	القاتل	الحديث
٤٣	رسول الله ﷺ	الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما خير منهما
١٢٣	رسول الله ﷺ	الحكمة ضالّة المؤمن حيث ما وجدها قيّدها ...
١٦٧	رسول الله ﷺ	حملة العرش طعامهم التّسبيح وشرابهم ...
٢٠٢	رسول الله ﷺ	حمى ليلة كفّارة سنة
١٥٥	رسول الله ﷺ	خلق الله آدم بيديه، ثمّ أكرمه بسجود ملائكته ...
١٦٢	رسول الله ﷺ	خيرهِ وشرّه من الله (في القدر)
٣٣٧	أمير المؤمنين عليه السلام	الدّنيا دار عناء وفناء وغيّر وغيّر، فمن عانها ...
٢٢٧	أحد المعصومين عليه السلام	ذكر الله بالعشيّ والأبكار أفضل من حطم السيّوف في سبيل الله
٢٤٦	رسول الله ﷺ	راحة نفسي مع أصحابي، وقرّة عيني في الصلاة ...
١٢٣	رسول الله ﷺ	رأس الحكمة مخافة الله، وخير ما ...
١١٨	رسول الله ﷺ	رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة النّاس و ...
٣٤	رسول الله ﷺ	رجم الله أخي لوطاً؛ كان يأوي إلى ركن شديد
٣٤	رسول الله ﷺ	رحم الله أخي يوسف؛ لو دعيت إلى ما دعي إليه ...
٣٣٤	رسول الله ﷺ	رحم الله والدّ أغان ولده على بزه
٢٨٧	رسول الله ﷺ	الرزق مقسوم مفروغ وهو يأتي ابن آدم على أيّ سيرة سارها ...
١١٧	الإمام الصادق عليه السلام	ركّب الله تعالى العقل في الملائكة بغير الشهوة، وركّب ...
١٢٠	رسول الله ﷺ	زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاريها، وسيبلغ ...
٩٩	أمير المؤمنين عليه السلام	سبحان من جعل معرفة العارفين بعجزهم عن الشكر شكراً ...
٧٦	أحد المعصومين عليه السلام	سبحان من دانت لعظمته رقاب العظماء
١٧١	رسول الله ﷺ	سبق العلم وجفّ القلم وتمّ القضاء ...
٥٠	رسول الله ﷺ	السخاء جمال المؤمن
٥٠	رسول الله ﷺ	السّخيّ قريب من الله قريب من النّاس قريب من ...

الصفحة	القائل	الحديث
١٤٨	رسول الله ﷺ	سَدُّواو قاربوا واجتهدوا، فلن يدخل الجنة أحد إلا ...
٣٥	أمير المؤمنين عليه السلام	السرور سبعة: سرور ساعة، و سرور يوم ...
٢٧٥	الإمام الباقر عليه السلام	سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يذم الدنيا ...
٣٣٤	رسول الله ﷺ	سموا أولادكم بأسماء الأنبياء، وأحسن الأسماء ...
٦٩	رسول الله ﷺ	شاهد الزور لا يرفع قدمه عن موضعه حتى يلعنه الرب ...
٣٠٠	رسول الله ﷺ	الشرك أخفى في أمتي من ديب النملة السوداء ...
٢٦٦	جبرئيل عليه السلام	شقي عبد أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له، وشقى ...
٢٦٥	رسول الله ﷺ	الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد ...
٣٢٠	رسول الله ﷺ	الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة ...
٧٤	رسول الله ﷺ	الصدق طمأنينة، والكذب رية
٥٠	رسول الله ﷺ	طعام الشحيح داء، وطعام السخي دواء
٣١٦	رسول الله ﷺ	طوبى لمن هدى إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً ...
٩٤	أمير المؤمنين عليه السلام	عالمكم مسوف و غافلکم مزداد
٩٠	الله جل جلاله	عبدي، إن لم تفعل أمري فلا تأكل من رزقي، وإن عصيتني ...
١٩٢	رسول الله ﷺ	عرض عليّ ربّي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً و فضة ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	العلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة ...
١١٢	رسول الله ﷺ	العلم ثلاثة: آية محكمة، و سنّة قائمة، و فريضة ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	العلم خير من المال ...
٧٤	رسول الله ﷺ	عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر ...
١٥٣	رسول الله ﷺ	العين حق؛ تغلى منها القدر ...
٢٠٠	الله جل جلاله	الغريب من ليس له مثلي حبيب، و المريض من ليس له مثلي ...
٢٧٦	أمير المؤمنين عليه السلام	فأيها الدّام للذّنيا المغترّ بتغريرها المتخدع بباطل ...

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٣١	رسول الله ﷺ	فربّ حامل فقهه لا فقه له، وربّ حامل فقهه ...
٢٥٥	الإمام الصادق عليه السلام	فضلي من فضل آبائي، وفضل آبائي فضل لي ...
٢٤٠	رسول الله ﷺ	الفقر أزين بالمؤمن من العذار الجيّد على خدّ ...
٢٨٠	أمير المؤمنين عليه السلام	القتل والفاقة أسرع إلى شيعتي من ركض البراذين
٩٣	أمير المؤمنين عليه السلام	قد تكذب الهيوف أصحابها ولا يفتش العقل من انتصحه
٩٤	أمير المؤمنين عليه السلام	قد قطع القرآن عذر المغتترين
٢١٧	الإمام الصادق عليه السلام	القرآن واحد، نزل من عند واحد على واحد ...
١٥٨	أمير المؤمنين عليه السلام	قربه قربه، وبعده عظمته، ونزوله إلى ...
٢٤٦	رسول الله ﷺ	قزة عيني في الصلاة ...
٣٠١	الإمام الصادق عليه السلام	القصد إلى الله بالقلوب أفضل من القصد إليه ...
١٥٦	رسول الله ﷺ	قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرّحمان ...
٩٣	أمير المؤمنين عليه السلام	قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه
١٨٨	أمير المؤمنين عليه السلام	قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدره
٤١	رسول الله ﷺ	كانت الأرواح جنوداً مجنّدة؛ فما تعارف هنا ...
١٨٩	أحد المعصومين عليه السلام	كان جبرائيل يقعد بين يدي رسول الله ﷺ قِعدَةَ العبد ...
٢١٦	رسول الله ﷺ	كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما يرد بعدكم ...
٦٣	الإمام الصادق عليه السلام	كفارة عمل السّلطان الإحسان إلى الإخوان
٩٤	أمير المؤمنين عليه السلام	كلّ معجّل يسأل الانتظار، وكلّ مؤجّل يتعلّل بالتسويق
٨٤	رسول الله ﷺ	كلّ مولود يولد على الفطرة ...
٩٧	رسول الله ﷺ	كما تدين تدان
٣٠١	المسيح عليه السلام	كم من سراج أطفأها الزّيح، وكم من عالم أفسده العجب
٢١٤	الله جلّ جلاله	لا إله إلاّ الله حصني، من دخل حصني أمن من عذابي

الصفحة	القائل	الحديث
٣١٣	رسول الله ﷺ	لا تساكنا الكفور فإن ساكن الكفور كساكن القبور
١٦٢	رسول الله ﷺ	لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر
١٨١	رسول الله ﷺ	لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمان
٦٨	الله جل جلاله	لا تشهد بما لا يعيه قلبك و لم يحط به علمك، فإنني ...
٦٩	المسيح ﷺ	لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلمها، ولا تمنعها ...
٢٠٨	رسول الله ﷺ	لا تطرحوا الدرّ في أفواه الكلاب
٣٣٤	رسول الله ﷺ	لا تعذبين أولادكنّ بالذغر
٣٤	رسول الله ﷺ	لا تفضّلوني على أخي يونس بن متى
١٩٠	رسول الله ﷺ	لا تكرهوا أربعاً فإنها لأربع: لا تكرهوا الرّمذ ...
٢٣٠	رسول الله ﷺ	لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله علماً ...
٢٨٠	رسول الله ﷺ	لا يحبك إلا مؤمن و لا يبغضك إلا منافق، فلو نثرت ...
٢٢٨	رسول الله ﷺ	لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر
٢٣١	رسول الله ﷺ	لا يذلّ من واليتّ و لا يعزّ من عاديتّ
٢٣٠	أمير المؤمنين ﷺ	لا يغشّ العقل من انتصحه
٣٣	الإمام الرضا ﷺ	لعلك غرّك سفلة أهل الكوفة حيث ...
٦٦	رسول الله ﷺ	لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله، فمن قالها ...
٢٨٢	أمير المؤمنين ﷺ	لكلّ أمر من الأمور نهاية، فمعالجته قبل نهايته زيادة في ...
٢١١	رسول الله ﷺ	لكلّ مؤمن أربعة أعين: عينان في الرّأس، و عينان ...
١٧٠	أحد المعصومين ﷺ	لما خلق الله القلم قال: اكتب. قال ...
١٢٩	أمير المؤمنين ﷺ	لم تره الأبصار مشاهدة العيان و لكن رأته القلوب ...
٢٩١	رسول الله ﷺ	لو أتكلتم على الله حقّ توكله لأكلتم رغداً غير ...
٢٨٧	رسول الله ﷺ	لو أن إنساناً هرب من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٦٠	رسول الله ﷺ	لو أنّ الله عَذَّبَ أهل سمانه وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ...
١٤٠	رسول الله ﷺ	لولا أنّ الملائكة تَدَبَّ عنكم الشيطان كما تَدَبَّ ...
٢١٣	رسول الله ﷺ	ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في الموت ...
٣٢٢	رسول الله ﷺ	ليس للمؤمن المستقيم غم الموت ولا ...
٢٤١	رسول الله ﷺ	ما استغنى أحد بالله إلا احتاج الناس إليه
٣٢٦	رسول الله ﷺ	ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرّة
٢١١	رسول الله ﷺ	ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
٩٤	رسول الله ﷺ	ما أوجي إليّ: أن اجمع المال وكن من التاجرين، ولكن ...
٢٨٩	الإمام الصادق عليه السلام	ما أجمل في الطلب من ركب البحر
٦٠	أمير المؤمنين عليه السلام	ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه؛ لأنّ الله تعالى ...
١٣٣	رسول الله ﷺ	ما أخاف على أمّتي إلا ضعف اليقين
٢٨	الإمام الصادق عليه السلام	ما ترك الله شيئاً من الحكم
٢٦٠	رسول الله ﷺ	ما خلق الله على ظهر الأرض أقلّ من العدل ...
١٢٩	أمير المؤمنين عليه السلام	ما كنت لأعبّد شيئاً لم أراه
١٩٢	رسول الله ﷺ	ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات ...
١٥٦	رسول الله ﷺ	ما من عسكرين يلتقيان إلا وكفّ الله بينهما، فإذا أراد ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	محبّة العالم دين يدان به ...
٣٢٦	رسول الله ﷺ	المستغفر من الذنوب والمصرّ عليه كالمستهزئ بربه
٥٩	رسول الله ﷺ	المسلمون تتكافأ دماؤهم، يعقد أولهم على آخرهم ...
٤٢	الإمام السجاد عليه السلام	معرفة ساعة مودّة، وثلاثة أيام قرابة
٢٨٢	الإمام الصادق عليه السلام	المتحن كالمتوخل، كلما ارتاد تخلّصاً ازداد ...
١٦٢	الله جلّ جلاله	من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر لنعمائي ...

الصفحة	القائل	الحديث
٢٥٨	رسول الله ﷺ	من أطلع على سيئة مؤمن فأفشاها عليه ولم يكتمها ...
٣٠١	رسول الله ﷺ	من أجاع بطنه و لبس الصوف واستطال بذلك ...
٢٨٠	أمير المؤمنين عليه السلام	من أحبني فليعدْ عُدَّةً للبلَاء
٢٩٦	رسول الله ﷺ	من أخلص العبادة لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع ...
١٩١	أمير المؤمنين عليه السلام	من أراد البقاء - ولا بقاء - فليباكر الغداء، وليخفف ...
٢٠٤	رسول الله ﷺ	من أراد أن ينظر إلى النشور فلينظر إلى الزبيح ...
٢٥٨	رسول الله ﷺ	من أصاب منكم هذه القاذورات فليستر لستر الله ...
٨٩	رسول الله ﷺ	من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلواته ...
٣٤	الإمام الباقر عليه السلام	من أطاع الله فهو لنا وليّ و من عصى الله ...
٢٤٠	رسول الله ﷺ	من أنصف الناس فقد ظفر بالجنة العالية القصوى ومن كان ...
١٩٢	رسول الله ﷺ	من بات في خيفة من الطعام والشراب ...
٤٦	رسول الله ﷺ	من باع عبداً و له مال؛ فماله للبايع إلا ...
٦٦	أحد المعصومين عليه السلام	من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه
٢٩١	رسول الله ﷺ	من توكّل و قنع و رضي، كفي الطلب
٢٦٨	أمير المؤمنين عليه السلام	من جمع ستّ خصال لم يدع للجنة مطلباً و لا عن النار مهرباً ...
١٧٧	رسول الله ﷺ	المنجم عند الله عاص و عند الناس متهم
٥٩	رسول الله ﷺ	من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه
٢٤٦	الله جلّ جلاله	من خاف غير عدلي و رجا غير فضلي، لم يعرفني حق المعرفة
٣٠٨	رسول الله ﷺ	من رضي بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد نبياً ...
١٦٨	الإمام الصادق عليه السلام	من زعم أنّ الله من شيء فقد جعله مخلوقاً، و من ...
٣٠٦	رسول الله ﷺ	من سعادة ابن آدم استخارة الله ...
٢٩٦، ٧٠	رسول الله ﷺ	من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة

الصفحة	القاتل	الحديث
١٦٣	رسول الله ﷺ	من شهد أن لا إله إلا الله، وأتى رسول الله، وأنه مبعوث ...
٣٠٠	رسول الله ﷺ	من صلى رياء فقد أشرك، و من صام رياء ...
٢٣٠	أحد المعصومين عليه السلام	من غشنا فليس منا
١٠٤	رسول الله ﷺ	من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كل يوم مائة مرة ...
٦٦	رسول الله ﷺ	من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، وجبت له الجنة
٢٤٠	رسول الله ﷺ	من كان الفقير أحب إليه من الغنا فلو اجتهد عباد الحرمين ...
٦٩	رسول الله ﷺ	من كتم علماً سئل عنه، ألجم بلجام من النار
٢٠٢	رسول الله ﷺ	من مريض مريضاً ليلة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه
٣٠	الإمام الصادق عليه السلام	المؤمن أخ المؤمن لأب وأم، أبوه نور وأمّه ...
١١٥	رسول الله ﷺ	المؤمن يتأدّب بأدب الله سبحانه
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة ...
١٤٥	الإمام الصادق عليه السلام	نحن حرم الله الأكبر ...
١٤٥	الإمام الصادق عليه السلام	نحن ذمة الله ...
١٤٥	الإمام الصادق عليه السلام	نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ...
٢٠٧	الإمام الحسن عليه السلام	نحن عترة رسول الله وولاية أمر الله ...
١٤٥	الإمام الصادق عليه السلام	نحن عهد الله؛ من وفى عهدنا فقد وفى ...
١٤٥	الإمام الصادق عليه السلام	نحن ودیعة الله في عباده ...
١٨١	رسول الله ﷺ	نصرت بالصبأ، وأهلكت عاد بالدبور
٢٣١	رسول الله ﷺ	نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ...
٢٢٣	رسول الله ﷺ	نعمتان عظيمتان مغبون فيهما كثير من ...
٢٢٣	أمير المؤمنين عليه السلام	النعم ستة: أولها الإسلام، والثانية ...
٣١١	الإمام الصادق عليه السلام	النعم وحشية فاشكّلوها بالشكر

الصفحة	القائل	الحديث
٢٣٢	رسول الله ﷺ	نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ وَنِيَّةُ الْفَاجِرِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ
٢٢٢	رسول الله ﷺ	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، اللَّهُ أَرْحَمُ بَعْدَهُ مِنَ الْوَالِدَةِ ...
٣٤	الإمام الباقر عليه السلام	وَاللَّهُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ قَرَابَةٌ، وَلَا اللَّهُ مَعَ أَحَدٍ هَوَادَةٌ ...
٣٤	الإمام الباقر عليه السلام	وَاللَّهُ مَا يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالطَّاعَةِ
٤٨	الله جل جلاله	وَعِزَّتِي وَجَلَالِي ... لِأَقْطَعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤْمَلٍ غَيْرِي ...
٣٠٠	رسول الله ﷺ	وَيْلٌ لِلصَّائِمِ، وَيْلٌ لِلقَانِمِ، وَيْلٌ لِصَاحِبِ الصَّوْفِ ... إِلَّا مَنْ ...
٣٠٤	رسول الله ﷺ	هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُ الْعَمَى وَيَجْعَلَهُ بَصِيرًا
٣٠٤	رسول الله ﷺ	هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُ اللَّهُ عِلْمًا بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ ...
١٨٢	أمير المؤمنين عليه السلام	هِيَ أَمَانٌ مِنَ الطَّوْفَانِ بَعْدَ الْغُرُقِ وَ ... (فِي قَوْسِ اللَّهِ)
٢٧٧	الله جل جلاله	يَا ابْنَ آدَمَ، الْقَصْرَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لِلخِرَابِ، وَعَمْرَكَ ...
١٩٩ ٢٣٧	الله جل جلاله	يَا ابْنَ آدَمَ، مَنْ ذَكَرَنِي بِالطَّاعَةِ ذَكَرْتَهُ بِالرَّحْمَةِ ...
٤٣	الله جل جلاله	يَا دَاوُدَ، أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَمُحَمَّدٌ رَسُولِي ...
٢٨٦	الله جل جلاله	يَا دَاوُدَ بْنَ فَاغْرِحَ وَبِذَكَرِي فَتَنْعَمَ، فَعَنْ قَرِيبٍ أُخَلِّي ...
٢٨٠	رسول الله ﷺ	يَا عَلِيَّ، لَا يَبْغِضُكَ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا دَعَايَ ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادَ، الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادَ، إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا ...
٢٠٨	رسول الله ﷺ	يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادَ، أَوْلَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ وَعَمَّالِهِ فِي أَرْضِهِ ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادَ، مَاتَ خَزَانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ...
٢٠٧	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادَ، مَحَبَّةُ الْعَالَمِ دِينَ يَدَانِ بِهِ ...
٢٥٨	رسول الله ﷺ	يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَخْلُصِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تَتَّبِعُوا ...
٢٦٣	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا مَنْ تَحَمَّدَ إِلَى عِبَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ وَعَامَلَهُمْ بِالْمَعْرِ ...
٢٣٨	أمير المؤمنين عليه السلام	يَا مَنْ ذَكَرَهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شَكَرَهُ ...

الصفحة	القاتل	الحديث
٢٦١	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	يا من لا يرغب في الجزاء و يا لا يندم على العطاء ...
٢٠٠	الله جلّ جلاله	يا موسى، أتدري من الغريب [والمريض والفقير]...
١٥٧	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	يا واسع المغفرة
٣١	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
٩٣	أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small>	اليقين معدن الرسالة
٣٢	رسول الله <small>صلى الله عليه وآله</small>	يكون في آخر الزمان أقوام إخوان العلانية...

فهرس الأثار

الصفحة	القائل	الأثر
٣٣١	—	أتعظ بما تسمع و اعتبر بما ترى قبل أن ...
١٩٨	الحارث بن كلدة	احتجم في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم و النفس ...
٨٧	—	احتمال الأذى في خلاف الهوى ... (تعريف حقيقة الطاعة)
٢٠٧	كميل بن زياد	أخذ بيدي أمير المؤمنين ... فخرج بي إلى ناحية الجنان ...
٢٨١	جنيد	إذا جاء أمر الله و أمر رسوله فقد خرج من باب التفويض ...
٣٥	—	إذا صحّ الإخاء سقط التّجمل
٣٨	—	إذا لبس الصّوف على الصّفاء، و ... (متى يكون الرجل صوفياً)
٩٢	الشبلي	استعجم فنانك على أوصافك، و اشتغال الكلّ منه ...
٣١١	—	استوثقوا من عُرى النّعمة بالشّكر الذي جعله الله ...
٣٩	جنيد	اصلنا اصلنا... ثلاثة ...
٢٢٨	—	أطيب العيش ما كان فيه أربع خصال: الرّضا ...
٩٨	—	أفضل البرّ أربعة: الحلم في الغضب ...
٣٠١	—	الإبقاء على العمل أشدّ من العمل ...
٣٥	—	الإخاء بلا نصح كالطّعام بلا ملح
١١٥	—	الأدب أربعة أشياء: عرفان وقت كلامك، و الإيجاز ...
١١٥	—	الأدب أولى بالمرء من النّسب، و هو أعدل شاهد على الحسب

الصفحة	القائل	الأثر
٣٢٧	—	الاعتراف يهدم الاعتراف، و التوبة تغسل الحوبة
٣٢٥	الشبلي	الإقبال على أمر الله وإيثار محابّ الله ... (في معنى النصح)
١٨٦	—	الإنسان هو العالم الصّغير، وهو أفضل ...
١٦١	ابن عباس	الإيمان بالقدر نظام التّوحيد، فمن وحد الله ...
١٦٩	—	الله متمكّن على العرش وقدماه على الكرسيّ ...
١١٧	المؤلف	إنّ أبلغ ما احتجّ الله به على عباده العقل ...
٣٣١	—	إنّ التفكّر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب ...
١٩٧	—	إنّ الحارث بن كلدة الثّقفي قصد كسرى أنوشروان، فأذن له ...
١٩٥	بقراط	إنّ الحركة والصّمور قبل الطّعام توقدان نار المعدة ...
٢٠٥	—	إنّ الحكماء قهارة الله في الأرض، قلوبهم ...
٢٠٢	كعب الأحبار	إنّ الحمى لتأكل ذنوب المؤمن كما تأكل النّار حَبَث ...
١٦٩	—	إنّ العرش مظهر الرّبّ والكعبة معلمه ...
٢٧٢	—	إنّ الفقر للأولياء كرامتهم، وطاعة الله حلاوتهم ...
١٩٢	يحيى بن الحسن	إن أردت أن لا تحتاج إلى طبيب فاجعل الحلق ميزان البطن ...
١٦١	ابن عباس	إنّ أوّل ما كتب الله له في اللوح المحفوظ ...
١٩٤	جالينوس	إنّ حفظ الصّحة يكون بإذن الله على وجهين ...
٢٠٦	—	إنّ خزائن الرّبّ في مشيئته، وباب خزائنه رحمته ...
٣١٣	—	إنّ داود صلّى الله عليه قال ذات يوم ...
٤٦	—	إنّ رجلاً من أصحاب الشّافعيّ ... دخل على الشّيخ أبي الحسن ...
٩٣	—	إنّ عمر بن الخطّاب كان جالساً ذات يوم وحواله ...
١٩٩	—	إنّ عيسى ويحيى <small>عليهما السلام</small> دخلا قرية ونزل عيسى على الفجّار ...
٢٣٢	الحسن البصري	إنّما خلد أهل الجنّة الجنّة وأهل النّار النّار النّيأت

الصفحة	القائل	الأثر
١٩٥	بقراط	إِنَّ مِمَّا يَبِينُ عَلَى الصِّحَّةِ أَنْ لَا يَأْكُلَ الرَّجُلُ حَتَّى يَتَعَبَ ...
٢٠٠	—	إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ <small>عليه السلام</small> شَكَا إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ ...
٢٩٠	—	اهْتِمَامَكَ لِلرِّزْقِ يَذْهَبُكَ عَنِ الْحَقِّ وَيُلْجِنُكَ إِلَى الْخَلْقِ
١٩٨	الحارث بن كلدة	إِيَّاكَ وَالْمَرْأَةَ الْمُؤَلِّيَةَ فَإِنَّهَا كَالشَّنِّ الْبَالِي ...
٩٨	لقمان	إِيَّاكَ وَمَا يَعْتَدِرُ مِنْهُ كَيْمَا تَعْلُو وَتَهْتَدِي
٣١٧	—	أَبْعَدَ النَّاسَ مِنَ الْغَفْلَةِ مَنْ دَبَّرَ أَمْرَ الدُّنْيَا بِالْقَنَاعَةِ ...
٣١٦	—	أَرْوَحُ الرُّوحِ الْقَنَاعَةَ، وَهِيَ أَقْصَى رَتْبَةِ الْفَقِيرِ ...
١٢٧	—	أَسَاسُ الْمَعْرِفَةِ الْعِلْمُ بِالْقُدْرَةِ وَالْعَقْدُ عَلَيْهِ بِالْيَقِينِ
٢٨٦	المؤلف	أَصْلُ الدَّوْلَةِ اسْتِقَامَةُ الْأَسْبَابِ وَانْفِتَاحُ الْأَبْوَابِ وَقَهْرُ ...
٨٨	الجاسبي	أَصْلُ الطَّاعَةِ الْوَرَعُ، وَأَصْلُ الْوَرَعِ التَّقَى ...
٩١	بعض الصالحين	أَصْلُ الْعِبَادَةِ أَرْبَعَةٌ: صِحَّةُ الْإِرَادَةِ، وَقَصْرُ الْأَمَلِ ...
١١٠	مؤلف الكتاب	أَصْلُ الْعِلْمِ إِدْرَاكُ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ. وَضَدُّهُ ...
٥٣	—	أَفْضَلُ الْبِرِّ أَرْبَعَةٌ: الْحِلْمُ فِي الْغَضَبِ ...
٥٣	العباس بن عبدالمطلب	أَفْضَلُ الْمَالِ مَا أَفَادَ ذَخْرًا، وَ أُوْرَثَ ذَكَرًا ...
٥٣	—	أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الْأَحْرَارِ: السَّخَاءُ وَالْحَيَاءُ ...
٣٠٤	إبراهيم بن الأدهم	أَقْرَبُ الزَّهَادِ مِنَ اللَّهِ أَشَدَّهُمْ لَهُ خَوْفًا، وَأَحَبُّ ...
٣٢٤	الحسن البصري	أَنْ تَبْغِضَ الذَّنْبَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ، وَأَنْ لَا تَعُودَ (فِي مَعْنَى النَّصُوحِ)
٣٥	سلمان	أَنْتُمْ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجِيرَانُ فِي ...
١٥٤	أبويكر	أَنْتَ مَنْطِقُ الْحَيَّةِ وَمَعْدَنُ الرِّسَالَةِ ...
٢١٦	ابن عباس	أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ ...
١١٦	—	أَوْصَى أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ ابْنِهِ، فَقَالَ ...
٣٠٢	ابن أبي الحواري	أَيُّ شَيْءٍ الزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا (سُئِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ الشَّامِي)

الصفحة	القائل	الأثر
٥٣	—	بالسّخاء يكسب العبد جميل الذّكر و جزيل الذّخر ...
١٣٣	الحسن البصري	باليقين يبلغ العبد الجنّة و باليقين يهرب من النّار
٢٨١	—	البلوى محنة الدّعوى، فإذا اشتغل العبد ...
٢٧٣	ذوالنون المصريّ	بيناً أنا سائر على شاطئ النّيل إذ سمعت ...
٣٢٧	—	التائب تبكيه خطيئته، و الزّاهد تبكيه غربته و ...
٣٢٧	—	التائب يرتع في مرج الحكماء، و الزّاهد ...
٥٣	—	التبرّع بالمعروف و الإعطاء قبل المسألة (تعريف الجود)
١٠٣	المؤلّف	التّجريد هو تصفية العقد و القول و الفعل
٣٧	الشبليّ	ترويح القلوب بمراوح الصّفا، و تجليل ...
٣٨	—	تصفية القلب عن موافقة البريّة، و مفارقة ... (تعريف التّصوّف)
٣٧	المؤلّف	التّصوّف إطاعة المحبوب و اجتناب المكروه ...
١٠٣	المؤلّف	التفريد إثبات الفردانية للفرد الحكيم ...
٣٣٣	—	التفكّر أفضل أعمال الحكماء و أشرف أحوال ...
٣٢٩	—	التقوىّ طهارة و براءة من الشّرك الخفيّ ...
٣١٣	—	تمام شكر الشّاكر دوام ذكر الذّاكر، و الشّاكر ...
١٠٠	—	التّوحيد لفظ جامع يجمع معاني الوحدانيّة ...
٩٩	جنيد	توحيدنا أفراد القدم عن الحدث و نفي ما علم ...
١٠٢	محمّد بن سليمان الحنفي	التّوحيد هو أصل الدّين و أوّله، و الكلام ...
١٤٦	المؤلّف	التّوفيق هو لطف من الله تعالى يحصل الفعل من العبد ...
٢٩٢	جنيد بن محمّد	التّوكّل اعتماد جواهر القلوب على الله بإزالة الأطماع ...
٢٨١	جنيد بن محمّد	ثلاثة مقرونة بثلاث: الفتنة مقرونة بالتمنّي ...
٩٧	—	ثلاثة من أخلاق الأبرار: الاستعداد للموت ...

الصفحة	القائل	الأثر
٢٨١	—	جفت الأقلام بعسر الأحرار، و جرت المقادير بمحنة الأختيار
١٩٢	—	الجوع سحابة تمطر الحكمة، و الشَّبيع غطاء يمنع الرِّحمة
١٩٢	—	الجوع شدة مع سبعين راحة، و الشَّبيع راحة مع سبعين داء
٢٤٦	—	الحزن يمنع عن الطَّعام، و الخوف يمنع عن الذَّنوب و ...
٢٩٣	—	حسبك من التَّوَكَّل على الله إذا لم تطلب لنفسك ناصراً غيره ...
٢٨	—	حسن الجوار عمارة الدَّار
٢٨١	جنيد	حسن الظنِّ بالله من صنيعة الأبرار
٣٧	جنيد	حقيقة التَّصَوِّف أن لا تنظر إلى أحد بعين الإنكار ...
١٢٣	—	الحكمة إخراج عواقب الأمور عن الغيوب عند ابتدائها
١٢٣	—	الحكمة الإصابة و وضع الأشياء مواضعها
١٢٣	—	الحكمة الصَّبْر في التَّوائب و النَّظَر في العواقب
١٢٤	—	الحكمة سلَّم إلى الباري، من عدمها عدم ...
١٢٤	يحيى	الحكمة عرائسي فإذا وجدتُ واحدة منهنَّ قيدتها ...
١٢٣	—	الحكمة على ثلاثة أوجه: حكمة القول و ...
١٢٠	المؤلف	خاتمة العاقل السَّعادة، و عاقبة الجاهل الشَّقاوة
٣٠٤	أبو سعيد الخدري	خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه، فقال ...
٢٠٤	ابن عباس	خزائن السَّماوات المطر، و خزائن الأرض النَّبات
٢٥٨	البراء بن عازب	خطبنا رسول الله ﷺ فنأدى بأعلى صوته حتَّى سمع العواتق ...
٢٤٦	أبو يزيد البسطامي	الخلق ثلاثة: خائف و راج و محبّ ...
٩٨	—	خمسة من كنوز البرِّ: كتمان الفقر، و كتمان المرض ...
٢٤٦	—	خوف الخالق أمن، و الأمن منه كفر و ...
٩٧	—	دخل ابن السَّمَّك على هارون فقال له: عظني ...

الصفحة	القاتل	الأثر
٢٠٢	محمد بن زياد	دخلت على كعب الأحبار وهو مريض، فقلت له ...
٢٨١	جنيد بن محمد	الدعوى محنة والمعنى راحة ...
٣٢١	—	الدنيا العافية والشباب الصحة والمرّة الصبر ...
٣٣٧	المؤلف	الدنيا تُخلق الأبدان وتجدد ...
٣٣٧	—	الدنيا خطوة تحت قدم العارف، وذرة ...
٣٢٧	—	الدنيا خمر الشيطان؛ من سكر منها لم يفق ...
٢٨٤	—	الدنيا دول، فما كان منها لك أتاك على ضعفك، وما كان ...
٣٣٧	—	الدنيا غفلة وشهوة؛ فالغفلة حجاب الطاعة ...
٢٢٩	—	الدنيا لمن تركها، والآخرة لمن طلبها، والنصيحة ...
٣٠١	—	دوام الفقر إلى الله مع التخليط أفضل ...
٢٦	—	الذهر يفيد من دارى ويبيد من مارى ...
٢٣٧	—	الذاكر ناعم سالم غانم؛ ناعم بالذكر ...
٣٠١	بعض المريدين	ذنب أفتقر به إليه أحب إليّ من طاعة ...
١٢٤	—	راحة الحكماء في وجود الحق، وراحة السفهاء ...
٢٢٩	—	رأس الذين النصيحة، ووسطه القسط و...
٢٦٩	—	رأى رسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار يقال له: حارثة، فقال ...
١٧٩	ابن عباس	رب كل ذي روح على وجه الأرض (في تفسير رب العالمين)
٢٤٦	—	الرجاء أقوى من الخوف لأنه ...
٣٣١	الحسن البصري	رحم الله عبداً [نظر فتفكر، و] تفكر فاعتبر ...
٣٠٨	عبدالواحد بن زيد	الرضا بالقضاء باب الله الأعظم وجنة الدنيا ...
١٢٠	المؤلف	رؤية العاقل تفيد الحكمة، ورؤية الجاهل تبيد ...
٣٠٤	—	الزاهد في الدنيا نظره بالعبرة وسعيه بالتفويض ...

الصفحة	القائل	الأثر
٣٠٣	—	الزاهد قوته ما وجد، و مسكنه حيث أدرك ...
٣٠٤	—	الزاهد يأكل بغير طمع و يعيش بغير أمل ...
٣٠٢	عبد الملك الشامي	الزهد على ثلاثة أوجه: زهد في المحرّمات ...
٣٠٤	—	الزهد في الدنيا يريح القلب و البدن ...
٢٠٧	—	سئل الحسن بن عليّ عن صفة العترة الطاهرة ...
١٢٨	—	سئل الشبلي: أي شيء أعجب؟ قال ...
٣٧	—	سئل الشبلي عن التّصوّف ...
٢٤٩	—	سئل الشبلي عن العشق، فقال: هو ملك عسوف ...
٩٩	—	سئل الصادق <small>عليه السلام</small> عن التّوحيد و العدل؟
٣٣٢	—	سئل الفيلسوف بم يتّضح الرّأي و تتمّ البصيرة
٢٢٣	—	سئل الفيلسوف ما خير الأشياء للإنسان؟ قال ...
١٢٧	—	سئل أبو يزيد البسطامي عن حقيقة المعرفة، فقال ...
٥٥	—	سئل أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> عن الفتوة ...
١٨٢	—	سئل أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> هل للسموات قفل و هل للقفل مفتاح
١٢٠	—	سئل بعض الحكماء: ما حرفة العارف و ما ...
١٠٠	—	سئل بعض المريدين عن حقيقة التّوحيد و أقسامه، فقال ...
٨٧	—	سئل بعض المريدين عن حقيقة الطّاعة ...
٣٨	—	سئل بعضهم عن التّصوّف، فقال ...
٥٣	—	سئل بعضهم عن الجود، قال: التبرّع ...
٣٨	—	سئل بعضهم عن الصّوفيّ، قال ...
٣٣٣	—	سئل بعضهم عن العبرة و الفكرة، قال ...
٢٢٥	—	سئل جنيد عن التّواضع، فقال: تذلّل ...

الصفحة	القائل	الأثر
٩٩	—	سئل جنيد عن التَّوحيد، فقال ...
٣٢٩	—	سئل طلق بن حبيب عن التَّقوى، فقال ...
١٦٩	—	سئل محمد بن الحنفية <small>عليه السلام</small> عن الكرسي ...
١٢١	—	سئل مطرف بن عبدالله: ما الذي لا تعلم له ...
١٢٨	—	سأل أعرابي أمير المؤمنين ... هل رأيت الله؟
٣٧	أبو موسى الدبيلي	سألت أبا يزيد طيفور بن عيسى البسطامي عن التصوف ...
٥٣	—	السُّخاء من أخلاق الخليل، واعتقاد الذَّبَّيح، وسيرة ...
١٢٤	—	سمع ابن جريج كلمة حكمة، فقال: ضالَّتِي ...
٣١٢	—	الشُّكر إجابة الدَّعوة وحصن النُّعمة وثمر الزَّيادة ...
٣١٢	—	شكر النُّعم ذكرها يعني ابتداءً من الله دون الأسباب ...
٣١١	—	الشُّكر تجارة رابحة ومكسبة فاضلة، ومفتاح ...
٣١١	—	الشُّكر ثلاثة أقسام: رؤية القلب ...
٣١٣	—	الشُّكر ذكرك أحداً بإحسان أو لأكه ...
٣١٣	—	الشُّكر فريضة، والحمد نافلة
٣١٢	—	الشُّكر معرفة وأبلغ الشُّكر غلبة الاعتراف ...
٣١١	—	الشُّكر هو استقامة العبد على طاعة الله ...
٣١١	ابن عباس	الشُّكر هو الطَّاعة بجميع الجوارح لربِّ ...
٢٤٧	—	الشُّوق يقلق، والحبُّ ينطق، والحياء يسكت ...
٨٨	أبو يزيد البسطامي	شيطان من الله تعالى وشيطان من العبد؛ فمن الله ...
٢٨٤	—	صاحب الدَّولة بالغ غايته، فمن ساءه فليصبر
١٢٠	المؤلف	صحبة العاقل طرب، و صحبة الجاهل كرب
٣٢٤	—	صدق التَّوبة دوام الجهد وإدمان الدُّكر ...

الصفحة	القائل	الأثر
٧٤	—	الصدق قوّة والكذب عجز، والصدق ...
٢٠٦	—	الصدور خزائن الأخبار، والقلوب خزائن الأسرار ...
٢٦	المؤلف	صَفُو العيش مع المداراة، وكَدَّر العيش ...
٨٨	السري السقطي	طاعة الرّحمان بأرخص الأثمان مع راحة الأبدان ...
٨٨	—	طاعة الله شرف مبين، والاعتصام به حصن متين
٨٨	—	طاعة المتّقي جنة المجتزي
٨٨	—	الطّاعة مخزونة في خزائن الله، مفتاحها الدّعاء ...
٢٥٥	بعض المريدين	طلب الأعراس على الطّاعات من نسيان الفضل ...
٨٩	—	طلب الرّئاسة رأس حبّ الدّنيا ...
٩٧	ابن السمك	طلبت العلم سنين فتفكّرت في إبليس فاستغنيت عن العلم ...
٢٣٣	—	طمع الطّامع قفل على قلب المطموع فيه، لا يطمع فيمن بيده ...
١٢٠	—	العارف يناجي ربّه بنور المعرفة، والعافل يدبّر أمر خدمته ...
١٢٠	—	العافل عطّار عطره فائح وودّه لائح
٢٠٠	—	العالم طيبب الدّين والعلم دواؤه والمال دأؤه ...
١٩٩	—	العالم طيبب معالجته دواء ومجالسته شفاء
٣٣٣	—	العبرة الاطلاع على غائب ما لم يظهر
٤٩	ذوالنون المصري	عرف المطيعون عظمتك فحضعوا لك و ...
١١٨	—	العقل أن تتقدّم في كلّ أمر يستقبلك قبل حلوله بك ...
١١٨	—	العقل على وجهين: مطبوع ومسموع ...
١١٨	—	العقل هو العلم بدقائق الأمور
١١٨	—	العقل هو عقد عن الباطل لصاحبه يشرح الحقّ له ...
٢٩٦	ربيع بن أنس	علامة الدّين الإخلاص لله، وعلامة العلم ...

الصفحة	القائل	الأثر
١٣١	مؤلف الكتاب	علامة العارفين عشرة أشياء ...
١١٤	—	العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه
٢٠٨	—	العلم خزائن وفتحها السّؤال
١١٢	—	العلم علمان: علم الفقه لصالح الأديان، وعلم الطبّ ...
١٢٩	—	العلم علم جهل، والمعرفة معرفة إنكار، والتّوحيد ...
١٩٢	ابن مسعود	عليكم بالشفاء: ين: العسل والقرآن
٢٨٤	—	عند اختلاف الدّول تظهر اخطار الرّجال
٢٣٧	بعض العارفين	عند ذكر الباري تنزل طرف الفوائد في تلك المشاهد ...
٢٣٧	الثوري	عند ذكر الصّالحين تنزل الرّحمة
١٤٩	—	غضب الله أشدّ من عقوبته، ورضى الله أكبر من الجنة
٢٤١	وهب بن منبه	الغنا والعزّ خرجا بجولان، فلقيا القناعة فاستقرّوا
٢٤٠	يحيى بن الحسن	الفقر ثلاثة أشياء: دلالة واختيار ورضا ...
٢٩٣	—	فَوَضَّ الأمر إلى الله تسترح
١٠٦	—	الفهم وقوع القلب بنور العقل على الصّواب على ...
١٢٣	—	في الحكمة إصابة الحقّ ومعرفة الخلق وإقامة الصّدق
١٤٩	—	قال الصادق في معنى قوله عزّ ذكره: (و من يحلل عليه ...) ...
١٢٤	بعض السلف	قالت الحكمة: إذا طلبتني فلم تجدني فانظر ...
٢٣١	جبير بن مطعم	قام النبي ﷺ بخيف مني فقال ...
١٦٩	جنيد	القلب هو العرش، والصّدر هو الكرسي ...
٢٠٦	—	القلوب جوّالة إمّا حول العرش وإمّا حول الحشر
١٧٨	المؤلف	قمرىّ السّيق والسّرعة، عطاردىّ ... (في وصف أمير المؤمنين)
٣١٧	علي بن عبيدة	القناعة من أخلاق الصّالحين وأثار الصّديقين ...

الصفحة	القائل	الأثر
٣١٦	علي بن عبيدة اللطفي	القناعة نعمة جسيمة ورزق واسع و حصن ...
٢٤٧	—	قيل لبعضهم: أتشتاق إلى الله؟ قال ...
٣٠١	عبدالواحد بن زيد	كان الحسن يجلس للناس في علم الظاهر فإذا خلا ...
١٥٩	أنس بن مالك	كان الرجل منا إذا قرأ سورة البقرة و آل عمران جدّ في ...
١٠٤	—	كان رسول الله ﷺ إذا صلى الوتر قال ثلاثاً: سبحان الملك ...
٢٢٨	—	الكبر عدوّ الإيمان؛ عدوّ جائر شديد القهر ...
٢٨١	جنيد	كتمان الحاجة من كنوز البرّ و يورث ...
٣١٣	—	كفر النعمة إجابة العدوّ و سبب الزوال ...
٢٤٩	—	كفّر يحيى بقوله: أنا عاشق و الرّبّ معشوق في
٢٣٣	الحسن	كلّ عمل من أعمال الإسلام لم تحضره فقد أجزأت النية ...
٧٧	—	كما تدين تدان
٢٦٤	—	لا تأكل رزقك إلا بعرق الجبين
٢٨٩	الحسن البصريّ	لا تجاهد الطلّب جهاد المغالب و لا تتكل على القدر ...
١٩٨	الحارث بن كلدة	لا تدخل الحّمّام شعباناً و لا تغش أهلك سكراناً ...
٢٤١	—	لا فاقة بعد الجنة و لا غناء بعد النار، و من أغناه الله بدخول ...
٢٢٩	—	لا يبلغ العبد درجة النّصيحة حتّى يبذلها ...
٢٨١	أبو بكر	لا يحبكم إلاّ عظيم السّعادة، و لا يبغضكم إلاّ رديّ الولادة
٢٦	—	لا يحسن خلق المرء إلاّ بالنظر في آداب الملوك ...
١١٤	محمّد بن الحسن	لا يدرك علمنا هذا - يعني الفقه - إلاّ مكفّي زكيّ ...
٢٨٤	—	للباطل صولة، و ليس له دولة
٣٠٣	عبدالملك الشامي	للزّاهد علامات: الاكتفاء بالقوت، و ترك الفضول ...
٧٩	—	لن يكمل عبد حتّى يؤثر دينه على شهوته ...

الصفحة	القائل	الأثر
١٣٣	الثوري	لو أنّ اليقين ثبت في القلب كما ينبغي ...
٢٦١	—	لو عامل السيّد بعدله مع المذنبين لما عفى عنهم ولو بكوا ...
١٥٩	ابن عباس	لو علمت الجنّ أنّ العرب تسمّي أب الأب جدّاً ما قالت ...
٣٠٨	—	ليس شيء أروح للبدن من الرّضا بالقضاء ...
٢٨١	جنيد	ليس للعارف إلاّ غمّ واحد ...
٢٣٨	—	ما أقيح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك طرفه عين
٣١٣	أبو يزيد البسطاميّ	ما أتاني نعمة من الله إلاّ وشكرت فضله الأوّل ...
٢٢٦	—	ما أحسن الأستاذ أن تراه يخدمك بحسمه ويؤدّبك بقلبه ...
٢٥٦	يحيى بن معاذ	ما أقول في طينة عجنّت بماء الوحي و غريس غرس ...
٢٨	أبو حنيفة	ما ترك العرب شيئاً من المثل
١١٤	بعض السلف	ما جاءني ذو فنّ إلاّ غلبي ولا ذو فنون إلاّ غلبته
٣٣٢	—	ما جليتّ القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت ...
٥١	جابر	ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال لا
١٤١	ابن مسعود	ما من أحد من ابن آدم إلاّ وله لمتان: لمة ...
٢٩٨	ابن جريج	ما وافق الحقّ فهو تثبيت
١٣١	—	مثل المعرفة في القلب كمثل شجرة نابتة في أرض سبخة ...
٢٤٨	الشبليّ	المحبّة الفراغة للحبيب، و ترك الإعراض عن قريب
٢٤٨	—	المحبّة انقطاع إلى الحقّ مع نسيان الخلق
٢٤٨	ذوالنون المصري	المحبّة خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة
٢٤٨	—	المحبّة معانقة الطاعة و ملازمة الفاقة
٢٤٨	أبو يزيد البسطاميّ	المحبّة معيار الله في الأرض، يظهر فيه القريب من البعيد
٢٤٨	—	المحبّة نور للقلب، و شفاء للصدور، و راحة للنفس و ...

الصفحة	القائل	الأثر
٢٢٠	—	المحكّمات الأصول المتّفقة عليها، و المتشابهات ...
٢٢٠	—	المحكّمات ما أوجبه ظاهر الكتاب والأخبار المتواترة و...
٢٢٠	ابن عبّاس	المحكّمات ناسخه و حلاله و حرامه و حدوده ...
٢٨١	—	المحنة جوهرة الخبرة؛ تظهر الدّفائن و تبرز الكوامن ...
٣٨	أبو العبّاس بن عطاء	مذهب التّصوّف مبنيّ على عشر دعائم ...
٥٤	—	المروّة الحلم عند الغضب، و العفو عند القدرة
٥٥	—	المروّة مروّتان: مروّة سفر، و مروّة حضر ...
٢٨١	جنيد	المريد يعبد على الرّجاء و العارف على الرّضا ...
٣٠٤	شقيق بن إبراهيم	مسكين صاحب الدّنيا، يجمع بالحرص و يمنع ...
١٢٨	—	المعرفة انقطاع العبارة و الإشارة، و ظهور ...
١٢٧	—	المعرفة انكشاف الشّبّهة و انجلاء الظّلّمة
١٢٨	—	المعرفة رؤية الربّ من طريق الدّلالة
١٢٨	—	المعرفة رؤية المنة في إظهار الخلقة و تحسين ...
٣١٣	—	المعرفة شكر، و الحمد زيادة
١٢٧	ذوالنون المصري	المعرفة على ثلاثة أوجه: معرفة بالوحدانيّة ...
١٢٩	—	المعرفة كشف الحجب الجسمانيّة و رفع الأستار ...
١٢٩	—	المعرفة مشاهدة الحقّ و نسيان الخلق، و ...
١٢٩	—	المعرفة مع المؤانسة، و المؤانسة مع الوحشة ...
١٢٦	المؤلف	المعرفة نور يبصر به العبد حقيقة الإسلام و بطلان الشّرك ...
١٢٩	—	المعرفة ورود الأنوار على الأسرار فتضييق ...
٢٠٨	—	مفاتيح قلوب الحكماء حسن سؤال الأتقياء
٢٤٧	الثوري	المكر لا يعرفه إلا صاحب الوصل، و المريد ...

الصفحة	القائل	الأثر
١١٤	—	من اكتفى بالكلام دون الفقه والزهد تزندق، و من اكتفى ...
٢٦٨	ابن مسعود	من أتاك بحق فاقبله وإن كان بغيضاً بعيداً، و من أتاك ...
١٩٧	الفرس	من أخذ في كلّ غداة جوزتين و ثلاث تينات مع ورقات من ...
١٩٧	الفرس	من أدمن شمّ المرزنجوش و استعمل دهنه لم يصبه ...
٢٨	—	من أعظم الذنّب أن تزني بحليلة جارك
١٩٧	الفرس	من أكثر المشي حافياً أمن من الثّقرس
١٩٧	الفرس	من أكل الحليث و استعمله أمن من حمى الرّبع ...
١٩٦	الفرس	من أكل في كلّ شهر سبعة مثاقيل زبيب لم يخف البلغم ...
١٩٧	الفرس	من أكل في كلّ غداة من أيام الشّتاء ثلاث لقم من الشّهد ...
١٩٧	الفرس	من أكل في كلّ غداة من أيام الصّيف خيارة واحدة ...
١٩٦	الفرس	من أمسى و ليس في بطنه ثقل لم يخف الفالج ...
٢٩٨	الثوري	من أنفق الحرام في طاعة الله فهو كمن طهر ثوبه بالبول ...
١٣٥	بعض الصالحين	من أيقن أنّ الله لا يشارك في التّدبير استعتق من ...
١١٤	الشافعي	من تعلّم القرآن عظمت قيمته، و من تعلّم الفقه نبّل ...
٢٨١	جنيد	من تفكّر في برّ المعبود هانت عليه خدمته ...
٢٦	المأمون	من حسن خلقه ساءت آداب خدمه
٣٠٦	—	من رضي بالقضاء نال أفضل المنى
٣١٣	—	من شكر المنعم الكريم [أن] لا تستخفوا بالألاء ...
٧٤	—	من صدق لسانه و صفا عمله و عقل بقلبه عن الله تعالى، فهو ...
٢٦١	—	من عامل مع الله بالجور عامل الله معه بالعدل ...
٣٣١	—	من عبّر الدّنيا يكفيك الموت، و من شغل الدّنيا ...
١٢٤	—	من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

الصفحة	القائل	الأثر
١٣٠	—	من عرف نفسه فقد عرف ربه
٩٢	الشبلي	من فني الفناء عن أوهامه، أدرك البقاء بتمامه
١٠٢	—	من كان في توحيده ناظراً إلى نفسه، لم ينجح توحيده من النار ...
٣٨	—	من لا ينقض الله عهداً ولا يخلف له وعداً ... (تعريف الصوفي)
٨٣	الحسن	من لم يكرم ضيفه فليس من محمّد ولا من إبراهيم
٢٠٨	—	من منع الحكمة أهلها فقد ظلمهم، ومن ...
٩٧	ابن السماك	من يزرع الشوك لا يحصل العنب ...
١٢٠	المؤلف	موت الجاهل خيرة، وموت العاقل حسرة
٩٣	—	النّاس في العبادة على ثلاث طبقات ...
٣٢٥	جنيد	النّدم الصّادق والحياء المحقّق ... (في معنى النصوح)
٦٢	—	النّظر إلى العبادة يورث الامتان ...
٢٠٠	—	نظر بعض المتعنّتين إلى عالم من المتقدّمين، فقال ...
٢٨	—	النّظر في الدّور والحجرات من تضييع الأمانات
٢٥٢	—	النّعمة المكفورة هي النّعمة المستورة، فلا تعرّض ...
١٨٨	—	النّفس عدوٌّ لا تحذر، وعداوتها ظاهرة لا تستر
٢٦٩	—	نور الحقّ مشرق مضيّ، وظلمة الباطل مستتر خفيّ
١٩٦	بقراط	النوم بعد الطّعام يغذي ويقوي لأنّه ...
٢٨٧	بعض الحكماء	وجدت الحكمة ربيع الأرواح والأطعمة ربيع الأشباح ...
٣٣٧	أبو يزيد البسطاميّ	وجدت النّاس على أربع في حديث الدّنيا ...
٣٢٩	—	الورع ستر بين العبد وبين الشّهات ...
٢٧٤	—	وليّ الله صدره مشروح، وبدنه مطروح، وهواه مذبوح
٥٠	الفيلسوف	هو أفضل درجات القبول وأشرف المنازل في النّفس ... (في السخاء)

الصفحة	القائل	الأثر
٨٨	لقمان	يا بني، اتّخذ طاعة الله تجارة يأتيك الأرباح...
٢٨	لقمان	يا بني، الجار ثمّ الدّار، الزّفيق ...
٢٣٤	لقمان	يا بني، إن أردت أن تتقرّب إلى ربّك و تنقطع إليه ...
٩٧	لقمان	يا بني، إن أردت أن تكون من الأبرار فأثر محبّة ...
١٩٢	أحد الفلاسفة	يا بني إنّما أطلب الغذاء حرصاً منّي على البقاء ...
١١٦	أبو العباس ثعلب	يا بني، عظّمت الملوك أباك وكان أحد ...
٨٩	لقمان	يا بني، عليك بالدّعاء و التّضرع إلى ربّك ...
١١٦	أبو العباس ثعلب	يا بني، لولا أدب أبيك لكان للملوك بمنزلة العبيد ...
٢٨	عائشة	يا رسول الله، إنّ لي جارين؛ إلى أيّهما أهدّي؟
٣١٧	علي بن عبيدة	يا نفس، لا تسلّكي سبل الاستكثار من المال ...
١٤٠	—	يقول الشّيطان: كيف يفلت منّي ابن آدم؟! فإذا غضب طرت ...
١٣٣	مؤلّف الكتاب	اليقين هو الطّمانينة بالشّيء و استقرار القلب عليه
١٩٤	جالينوس	ينبغي للرجل إذا انتبه من نومه أن يتمشّي قليلاً ...

فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	القافية	صدر البيت
١١٦	أبو العباس ثعلب	ثناء	خير ما ورث الرجال بنهم
٢٧٣	—	لباه	حبّ عبد بحبّ مولاه
٢٣٠	أمير المؤمنين	أقرب	لا تنصحنّ لمن يراك غششته
١٦٨	محمد بن الحسن الشيباني	لمقتعد	لم يخلق الله خلقاً يستقلّ به
٩٥	—	المُبِير	إذا تعاطى الرجال مجداً
١٦٤	—	حمير	إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم
٩٧	الطائي	فجرا	اقبل معاذير من يأتيك معذراً
١٦٩	العجاج	ألبسا	يا صاح هل تعرف رسماً مكراً
٩٢	الشبلي	الموصوفة	غبت عنيّ فما أحسّ بنفسي
١٦٥	الأخطل	مهراق	قد استوى بشر على العراق
١٦٨	—	مخلوق	مالي بغيبك كرسى أكاتمه
٧١	—	صدّقا	وليث يعبث بصطاد الليوث إذا
٣٧	الشبلي	نحوكا	القرب منك تباعد
٢٥٠	—	حريم	وإن أتاه خليل يوم مسغبة
٧٦	—	ديني	تقول إذا درأت لها وضيئي
١٥٨	ذو الرمة	عينها	علفتها تبناً وماءً بارداً
٧٧	—	ريحانا	كما يدين الفتى يوماً يدان به

الصفحة	القائل	القافية	صدر البيت
٧٦	عمرو بن كلثوم التغلبي	ندينا	وَأَيَّامَ لَنَا غَرَّ طَوَالٍ
٢٠٠	—	عليل	وغير تقى يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتَّقَى
١٦٤	أوس بن حجر	إخلال	لَعَمْرُ مَا قَدَّرَ أَجْدَى بِمَصْرَعِهِ
٢٧٣	—	يخْلِئُهَا	مَنْ كَانَتْ هَمَّتُهُ الدُّنْيَا لِيَعْمَرَهَا

فهرس الأعلام

* نقدَم أسماء المعصومين عليهم السلام

٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢،
 ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨،
 ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٢،
 ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٤.
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام =
 المرتضى: ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٥١، ٥٥،
 ٦٠، ٧٢، ٨٧، ٩٣، ٩٩، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤،
 ١٤٨، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠،
 ١٨٢، ١٨٨، ١٩١، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٢٧،
 ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٦،
 ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣،
 ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٢٨،
 ٣٣٧.
 فاطمة الزهراء عليها السلام: ٣٣، ٥١، ١٥٤، ٢٨٠، ٢٨٣،
 ٢٨٥.
 الإمام الحسن بن علي المجتبي عليه السلام: ٣٣، ٤٣،
 ٧٤، ١٤٤، ٢٠٧، ٢٥١.
 الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام: ٣٣،
 ٤٣، ١٤٤، ٢٥١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم = السيد المختار = المصطفى =
 محمد = الحبيب: ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٢، ٣٣،
 ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤،
 ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٩،
 ٦٠، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٩،
 ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٦،
 ٩٧، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٢، ١١٣، ١١٥،
 ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٣، ١٣٤،
 ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧،
 ١٤٨، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨،
 ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦،
 ١٧٧، ١٨١، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢،
 ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨،
 ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
 ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧،
 ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧،
 ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤،
 ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥،
 ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١.

- الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: ٤٢، ١٤٤.
- ابن أبي الحواري: ٣٠٢.
- ابن أبي عيينة: ٢٩٥.
- ابن جريح: ١٢٤، ٢١١، ٢٤٠، ٢٩٨.
- ابن سلام: ٥٢.
- ابن عباس = عبد الله بن عباس: ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٩، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢٤.
- ابن عمر: ١٧١، ٢٢٧، ٢٨٠.
- ابن مسعود: ١٤١، ١٥٦، ١٦٠، ١٩٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٨.
- ابن ملجم: ٢٦٦.
- ابن يامين: ٣٢.
- أبو هريرة: ٢٣٧.
- إدريس = أخنوخ: ١٧٥، ٢١٥.
- إسحاق: ٥٧، ٨١.
- إسرافيل: ١٧٠، ٢٠٦.
- إسماعيل بن إبراهيم = الذبيح: ٣١، ٣٩، ٥٣، ٥٧، ٧٣، ٨٢، ٣٠٦.
- إسماعيل = صادق الوعد: ٧٣.
- إلياس: ٢٨٥.
- أنس بن مالك: ١٧٧.
- أويس القرني: ١٨١.
- أبو الحسن الكرخي: ٤٦.
- أبو الدرداء: ٢٠٢.
- أبو العباس بن عطاء: ٣٨.
- الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ٣٤، ١٤٤، ٣٣٤.
- الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٥٣، ٦١، ٦٣، ٩٩، ١١٧، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٣، ١٦٨، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٠١، ٣١١.
- الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: ١٤٤.
- الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٣٣، ١٤٥، ٢١٤، ٢٥١.
- الإمام محمد بن علي النقي الجواد عليه السلام: ١٤٥.
- الإمام علي بن محمد النقي الهادي عليه السلام: ١٤٥.
- الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام: ١٤٥.
- الإمام الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام = القائم: ١٤٥، ٢٨٥، ٢٨٦.
-
- آدم عليه السلام: ٤٣، ٦٥، ١١٣، ١١٧، ١٤٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٧، ٣٠٦، ٣١١.
- إبراهيم عليه السلام = الخليل: ٣٩، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٣، ١٠٥، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٠، ١٧٦، ١٨٣، ١٩١، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٥٣، ٣٠٦، ٣١٨.
- إبراهيم بن الأدهم: ٣٠٤.
- ابن السمك: ٩٧.

- أبو العباس ثعلب: ١١٦.
- أبو أمامة: ٢٦٠.
- أبو بكر بن أبي طاهر الأبهري: ٣٢٦.
- أبو بكر (بن أبي قحافة): ٣١، ١٥٤، ٢٨٠.
- أبو حنيفة: ٢٨.
- أبو ذر: ٧٢.
- أبو سعيد الخدري: ٣٠٤.
- أبو موسى الذنبلي: ٣٧.
- أبو نضرة: ٣٠٤.
- أبو هاشم بن أبي عليّ الجبائي: ٢٩٢.
- أبو يزيد البسطامي: ٨٨، ١٢٧، ٢٤٦، ٢٤٨.
- ٣١٣، ٣٣٧.
- أنس: ٢٤٧، ٣٢٢.
- أنس بن مالك: ١٥٩.
- أيوب: ٣٩.
- البراء بن عازب: ٢٥٨.
- بقرات: ١٩٥، ١٩٦.
- بلال: ٣٢٦.
- جابر: ٥١.
- جابر بن عبدالله الأنصاري: ١٠٣، ٣١٣.
- الجباسي: ٨٨.
- جالينوس: ١٩٤.
- جبرئيل عليه السلام: ٦٣، ٦٦، ١٨٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٧.
- ٢٤٠، ٢٦٦، ٢٨٥، ٣٠٧.
- جبير بن مطعم: ٢٣١.
- الجريري: ٣٠٤.
- جعفر الكذاب: ٣٤.
- جعفر بن أبي طالب: ٢٥١.
- جنيد بن محمد: ٣٧، ٣٩، ٩٩، ١٦٩، ٢٢٥، ٢٨١.
- ٢٩٢، ٣٢٥.
- الحارث بن حوت: ٢٦٧.
- الحارث بن كلدة التَّقفي: ١٩٧.
- حارثة: ٢٦٩.
- الحسن: ٨٣، ١٣٣، ٢١٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٠١.
- ٣٢٤، ٣٣١.
- الحسن البصري: ٢٨٩، ٢٩٦.
- الحسن بن حمزة العلوي: ٣٣.
- الحسين بن منصور: ٣٩.
- حمزة بن حمزة العلوي: ٢٥٥.
- حمزة بن عبدالمطلب: ٢٥١.
- الخصر: ٢٨٥.
- داود عليه السلام = الأواب: ٤٣، ٤٣، ١٢٢، ١٧٥، ٢١٥.
- ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣١٣.
- ذو النون بن إبراهيم المصري: ٤٩، ١٢٧، ٢٤٨.
- ٢٧٣.
- ربيع بن أنس: ٢٩٦.
- الرّضوان (خازن الجنة): ٢٠٦.
- الزبير: ٣١، ٢٦٨.
- زكريّا: ٣٩.
- زيد بن موسى: ٣٣.
- سرى السَّقطي: ٨٨.
- سعيد بن عطاء الشيباني: ٣٨.

- سفيان الثوري: ٢٩٨، ٢٤٧، ٢٣٧، ١٣٣.
 سليمان: ٣١٠، ٢٨٥، ٢٥٥، ٢٥٣، ١٧٥، ٥٦، ٣٥.
 سويد بن غفلة: ٨٧.
 الشافعي: ٤٦، ١١٤.
 الشبلي: ٣٧، ٩٢، ٢٤٨، ٢٤٩، ٣٢٥.
 شعيب: ٨١، ٣٢.
 شقيق بن إبراهيم: ٣٠٤.
 شيث بن آدم: ٢١٥.
 صالح: ٣٢.
 الصفار: ٣٨، ٢٤٩.
 الضحّاك: ٢٢١.
 الطائي: ٩٧.
 طلحة: ٣١، ٢٦٨.
 طلق بن حبيب: ٣٢٩.
 طيفور بن عيسى البسطامي: ٣٧.
 عائشة: ٢٨.
 العباس بن عبدالمطلب: ٥٣.
 عبدالرحمان بن عوف: ٣١.
 عبدالله بن سعد بن أبي سرح: ٥٢.
 عبدالملك الشامي: ٣٠٢.
 عبدالواحد بن زيد: ٣٠١، ٣٠٨.
 عثمان بن عفان: ٣١.
 العذراء البتول ﷺ = مريم: ١٩١.
 عطاء: ٢٤٠.
 عكرمة: ٣٢٥.
 علي بن عبيدة اللطفي: ٣١٦، ٣١٧.
 عمر بن الخطاب: ٩٣، ٣١.
 عيسى بن مريم ﷺ = المسيح: ٥٦، ٥٣، ٣٩.
 ٥٧، ٦٩، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٩٦، ١٢٢، ١٤٧، ١٧٥.
 ١٩١، ١٩٩، ٢١٥، ٢٣٣، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٨٥.
 ٢٠١، ٣١٨.
 فرعون: ٦٦.
 قارون: ٩٧.
 القنّاد: ٢٤٩.
 كسرى أنوشروان: ١٩٧، ١٩٩.
 كعب الأحبار: ٢٠٢.
 كميل بن زياد النخعي: ٢٠٧، ٢٠٨.
 لقمان: ٢٨، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ٢٣٤.
 لوط: ٣٤، ٧١.
 ماجد بن محمّد: ١٠٢.
 مالك (خازن النار): ٢٠٦.
 المأمون: ٢٦، ٣٣.
 محمد بن الحسن الشيباني: ١١٤، ١٦٨.
 محمّد بن الحنفية = ابن الحنفية: ١٦٩، ٢٢٧.
 محمّد بن زياد: ٢٠٢.
 محمّد بن سليمان الحنفي: ١٠٢.
 مسيلمة: ٥٢.
 مطرف بن عبدالله: ١٢١.
 معاذ: ٦٦، ١٠٩، ٢٤٤.
 معاوية (بن سفيان): ٢٦٨.

- موسى بن عمران = الكلبي: ٥٦، ٥٥، ٥٣، ٣٩، يحيى: ٢٤٩، ١٢٤.
- ٥٧، ٦٨، ٧٧، ٧٨، ١٠٥، ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، يحيى بن الحسن: ١٩٢.
- ١٧٥، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٥٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣١٨، يحيى بن الحسين: ٢٤٠.
- ميكانيل: ٢٨٥.
- نمرود: ٨٢، ١٤٣، ١٩١، ٢٢٧، يحيى بن معاذ الرّازي: ٢٥٦، ٢٥٥.
- يعقوب: ٥٧، ٨١، يوسف = الصديق: ٣٢، ٣٤، ٥٣، ٧١، ٧٦، ٨١.
- نوح: ٣١٨، ٢٥٣، ٢١٥، ١٧٥، ٧٨، وهب بن منبه: ٢٤١.
- ١٧٥، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٨٤، ٣٠٢، هارون: ٥٦، ٩٧.
- يونس: ٦٥، هود: ٣٢.
- يونس بن متى: ٣٤، يحيى عليه السلام: ٣٩، ٤٣، ٩٦، ١٩٩.
- يهودا بن يعقوب: ٨٢.

فهرس الطوائف والقباائل والفرق

الرّوم: ١٩٦.	آل إبراهيم: ١٢٢، ٢٢٩، ٢٨٤.
الصّابئين: ٧٧.	آل الرّسول: ٢٠٧، ٩٠.
الصّوفيّة = التصوّف: ٣٧، ٣٨، ٣٩، ١١٢، ١٢٨،	آل المصطفى: ٣٤، ٢٨٥.
١٦٧، ١٧٠، ٢٩٢.	آل رسول الله: ١٤٧.
صوفيّة: ٣٨.	آل عمران: ١٥٩.
عاد: ٣٢، ١٨١.	آل محمد: ٢٥١.
فارس = الفرس: ١٩٦.	الأمويون: ٣٢.
الفلاسفة: ٤٢.	الأنصار: ٩٣، ٣٥، ٢٦٩.
قريش: ٣١، ٣٢، ٤٧.	أهل التصوّف: ١٧٩.
المتفلسفة: ٣٠٧.	أهل التّنجيم: ١٧٥، ١٨٠.
المجوس: ٧٧، ٣٠٧.	أصحاب الكهف: ٨١.
مدين: ٣٢.	أصحاب صقّين: ٣١.
المعطلّة: ٣٠٦.	أياد: ١٦٤.
المنجّمة: ٣٠٧.	بنو إسرائيل: ٦٦، ١٦٠، ٢٨٥.
المهاجرون: ٩٣.	بنو مروان: ١٦٤.
النصارى = النصرانيّة: ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٣٠٧.	ثمود: ٣٢، ٢٦٦.
الهاشميون: ٣٢، ٤٧.	الثّنويّة: ٧٧، ٣٠٦.
الهند: ١٩٦.	حمير: ١٦٤.
اليهود = اليهوديّة: ٧٧، ٨٢، ٨٤، ١٥٤، ٣٠٧.	الدّهريّة: ١٦٣، ٣٠٦.

فهرس الأماكن والبلدان

الطّور: ١٤٨.	بابل: ١٩٣.
طوى: ١٠٥.	البصرة: ٣٣.
العراق: ١٦٥.	بلخ: ٢٥٥.
الكعبة: ١٢٤، ١٦٨، ١٦٩، ٣٠٧، ٣٠٨.	بيت الحرام: ٦٧.
الكوفة: ٣٣.	البيت المعمور: ١٨٢.
مكة: ١٩٢، ٨٢.	البيت المقدس: ١٠٥.
اليمن: ١٨١.	الجنان: ٢٠٧.
	خيف منى: ٢٣١.

فهرس الكتب

.٢١٧ .٢١٦ .٢١٥ .٢٠٥ .١٩٢ .١٧٦ .١٦٥

الاعتقاد: ١٧١ .

.٢٧٧ .٢٧٤ .٢٧٢ .٢٦٤ .٢٥٤ .٢٢٣ .٢١٩

الإنجيل: ١٢٢، ٢١٥ .

.٣٣٥ .٣١١ .٣٠٨ .٣٠٧

التوراة: ٨٨ ٨٩ ١٢٢ ، ٢١٥ ، ٢٣٧ ، ٢٧٧ .

المفتخر: ٣٣ .

الزبور: ٢١٥ ، ٢٥٥ ، ٢٨٥ .

الميزان: ٢٠٦ ، ٢٧٢ ، ٣٢٩ .

القرآن: ٢٥ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ،

٩٥ ، ١٠٤ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ .

فهرس مصادر التخرىج

- إحقاق الحقّ وملحقاته للقاضي نورالله و آية الله
المرعشي .
إحياء العلوم للغزالي .
أسد الغابة لابن الأثير .
الاحتجاج للطبرسي .
الاختصاص المنسوب إلى الشيخ المفيد .
الأدب المفرد للبخاري .
الإرشاد للشيخ المفيد .
الاعتقادات للصدوق .
الأعلام للزركلي .
الإقبال لابن طاوس .
الأمالى للشجري .
الأمالى للشيخ المفيد .
الأمالى للصدوق .
الإيضاح لابن شاذان .
إلزام النَّاصب للحائري البار فروشي .
اللباب لابن الأثير .
أمالى الشيخ الطوسي .
بحار الأنوار للعلامة المجلسي .
بحر الجواهر في اللغة .
البداية والنّهاية لابن كثير .
البرهان للبحراني .
بشارة المصطفى للطبري .
بصائر الدّرجات للصفار .
البيان والتّبيين للجاحظ .
تاريخ اليعقوبي .
تاريخ بغداد للخطيب .
تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر .
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .
التبيان للشيخ الطوسي .
تحف العقول لابن شعبة .
تذكرة الموضوعات للمولى علي القاري .
تفسير الثعلبي = الكشف والبيان .
تفسير الصّنعاني .
تفسير العياشي .
تفسير القرطبي .
تفسير أبي الفتوح الرّازي .
تفسير علي بن إبراهيم القمي .

- تفسير فرات الكوفي . سنن البيهقي .
 التمهّص للإسكافي . سنن الترمذي .
 تنبيه الخواطر أو مجموعة ورام . سنن الدارمي .
 التوحيد للصدوق . سنن النسائي .
 التهذيب للشيخ الطوسي . سنن أبي داود .
 ثواب الأعمال للصدوق . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .
 جامع الأخبار للسبزواري . شواهد التنزيل للحسكاني .
 جامع الأصول لابن الأثير . صحيح البخاري .
 جامع البيان للطبري = تفسير الطبري . الصحيح لابن خزيمة .
 جامع السعادات للنراقي . صحيح مسلم .
 الجامع الصغير للسيوطي . الصحيفة الجامعة للسيد الموحّد الأبطحي .
 الجعفریات . الصحيفة السجّادية .
 جوامع الجامع للطبرسي . الصراط المستقيم للبياضي .
 حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني . صفات الشيعة للصدوق .
 الخرائج للزاوندي . الطرائف لابن طاوس .
 الخصال للصدوق . عدّة الداعي لابن فهد الحلبي .
 الخلاف للشيخ الطوسي . علل الشرائع للصدوق .
 الدر المنثور للسيوطي . عوارف المعارف للسهروردي .
 الدعوات للزاوندي . عوالي اللئالي للأحساني .
 رجال النجاشي . عيون الحكم والمواعظ لابن شرفيّة .
 الرسالة القشيرية للقشيري . عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق .
 روضة الواعظين للفتال النيشابوري . غاية المرام للبحراني .
 زاد المسير لابن الجوزي . الغدير للعلامة الأميني .
 سنن ابن ماجة . غريب الحديث لابن سلام .

- غريب الحديث لابن قتيبة .
 الفائق للزمخشري .
 فتح الأبواب لابن طاووس .
 فضائل الأشهر الثلاثة للصدوق .
 فقه الرضا عليه السلام .
 فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي .
 قرب الإسناد للحميري .
 قصص الأنبياء للزاوندي .
 الكامل لابن عدي .
 الكشاف للزمخشري .
 كنز العمال للمفتي الهندي .
 لسان العرب لابن منظور .
 لسان الميزان لابن الحجر .
 المجازات النبوية للشريف الرضي .
 مجمع البيان للطبرسي .
 مجمع الزوائد للهيتمي .
 المحاسن للبرقي .
 المحاضرات للزاعب .
 المحتضر للحسن بن سليمان الحلبي .
 مستدرک الوسائل للنوري .
 المستدرک للحاكم النيشابوري .
 مسند الشاميين .
 مسند الشهاب .
 مسند أحمد .
- مشكاة الأنوار للطبرسي .
 مصادر نهج البلاغة للسيد عبد الزهراء
 الخطيب .
 مصباح الشريعة .
 مصباح المتجهّد للشيخ الطوسي .
 المصنّف لابن أبي شيبة .
 المصنّف لعبد الرزاق .
 معاني الأخبار للصدوق .
 المعجم الأوسط للطبراني .
 المعجم الكبير للطبراني .
 معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام .
 معجم ألفاظ غرر الحكم .
 مكارم الاخلاق للطبرسي .
 مناقب الخوارزمي .
 المناقب لابن شهر آشوب .
 كتاب من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق .
 ميزان الاعتدال للذهبي .
 المؤمن للأهوازي .
 نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار .
 نور الثقلين للحويزي .
 النهاية لابن الأثير .
 نهج البلاغه للشريف الرضي .
 نهج السعادة للمحمودي .
 وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي .

فهرس المطالب

٥	مقدمة المحقق
٥	تعريف الكتاب و وصفه
١١	شكر و تذكّار
١٣	مقدمة الأستاذ واعظزاده الخراساني حفظه الله
١٨	نماذج من تصوير النسخة الأصل
٢٦	[ذكر حسن الخلق]
٢٧	ذكر حسن الجوار
٣٠	ذكر الأئمة
٣٧	ذكر التصوّف
٤١	ذكر معاملات فاضلة تجري بين العباد لابد من حفظها والوقوف عليها
٤٥	ذكر الحسب والنسب
٤٨	[ذكر السخاء]
٥٤	ذكر المرؤة والفتوة
٥٧	[في ذكر الإسلام]
٦٠	ذكر الإحسان
٦٥	ذكر الإقرار
٦٨	[في ذكر الشهادة]
٧١	ذكر التصديق
٧٣	ذكر الصدق
٧٦	ذكر الدين ومعناه
٨١	ذكر الملة

٨٤ ذكر الفطرة
٨٦ ذكر الطاعة
٩١ ذكر العبادة
٩٥ ذكر البر
٩٩ ذكر التوحيد
١٠٣ ذكر معاني سنيّة
١٠٦ ذكر العلم
١٠٩ ذكر بيان العلم
١١١ [في ذكر أنواع العلم]
١١٥ ذكر الأدب
١١٧ ذكر العقل
١٢٢ ذكر الحكمة
١٢٦ [في ذكر المعرفة]
١٣٣ [في ذكر اليقين]
١٣٦ ذكر الهدى
١٤٠ [في ذكر الإلهام]
١٤٢ [في ذكر الحجّة]
١٤٦ [ذكر اللطف والتوفيق والحرمان والعصمة والخذلان والتأييد والتسديد و...]
١٤٩ [الغضب والسخط والبغض والرّحمة والرّضا والحبّ والأسف والضّحك و...]
	ذكر أوصاف نطق به القرآن في صفة القديم مثل النّفس والذّات والعين والوجه واليد والجنب والساق
١٥٢ والسّعة والقوّة والمجيء والإتيان والجدّ
١٦٠ [ذكر القضاء والقدر]
١٦٤ ذكر العرش والكرسيّ
١٧٠ ذكر اللوح والقلم
١٧٢ ذكر الأفلاك والكواكب

٣٨٧	فهرس المطالب
١٧٩	ذكر العالم
١٨٥	ذكر النفس الأمانة واللؤامة والمطمئنة
١٨٦	[ذكر النفس والروح والقلب]
١٩٠	ذكر الطب وطبائع الإنسان
٢٠٢	ذكر الأمراض وأجر المريض
٢٠٤	ذكر الخزائن
٢١٠	ذكر الغيب
٢١٣	ذكر دعوة الحق
٢١٥	ذكر الكتب المنزلة
٢٢١	[في ذكر الرحمة والرفقة]
٢٢٣	ذكر نعم الله
٢٢٥	ذكر التواضع والكبر
٢٢٩	ذكر إرادات شريفة لا بد للعبد من حفظها واجتناب أضرارها
٢٣٦	ذكر أقسام الذكر وأنواعه
٢٣٩	ذكر الفقر والغناء
٢٤٣	ذكر منازل المؤمنين
٢٥١	[في ذكر النعمة]
٢٥٣	ذكر فضل الله
٢٥٧	ذكر العفو
٢٦٠	ذكر الفضل والعدل
٢٦٤	ذكر السعادة والشقاوة
٢٦٧	ذكر الحق ومعناه
٢٧٢	ذكر الأولياء والأعداء
٢٧٥	ذكر دار المحنة
٢٧٨	ذكر المحنة

٢٨٤ ذكر الدّولة
٢٨٧ ذكر الرّزق وسببه
٢٩١ ذكر التّوكّل والتّفويض والتّسليم
٢٩٥ ذكر الإخلاص
٣٠٢ ذكر الزّهد والرّغبة وصفة الزّاهد والرّاعب
٣٠٦ ذكر الرّضا والسّخط
٣١٠ ذكر الشّكر والكفران
٣١٥ ذكر القناعة
٣١٨ ذكر الصّبر ومعناه
٣٢٢ ذكر الاستقامة
٣٢٤ ذكر التّوبة وشرائطها
٣٢٩ ذكر الورع والتّقوى
٣٣١ ذكر العبرة والتفكّر
٣٣٤ [حقّ الأولاد]
٣٣٧ [ذكر الدّنيا]

الفهارس الفئتيّة للمتن

٣٤١ فهرس الأحاديث
٣٥٦ فهرس الآثار
٣٧٢ فهرس الأشعار
٣٧٤ فهرس الأعلام
٣٧٩ فهرس الطوائف والقبايل والفرق
٣٨٠ فهرس الأماكن والبلدان
٣٨١ فهرس الكتب
٣٨٢ فهرس مصادر التّخريج
٣٨٥ فهرس المطالب